أنطون تشيخوف

الأعمال المختارة

المجلد الرابع

المسرحيات



دار الشروق



الأعمال المختارة

المجلد الرابع

المسرح

دار الشروق


أنطون تشيخوف

الطبعـة الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٩٣٤١/٢٠٠٨
ISBN 978-977-09-2525-4

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢)
e-mail: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

المحتـــويـــات

حول مضار التبغ ٩
الدبّ ١٧
النورس ٤٣
الخال فانيا ١٣٧
الشقيقات الثلاث ٢١٢
بستان الكرز ٣٣٣

حول مضار التبغ

مشهد ـ منولوج فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

إيفان إيفانوفتش نيوخين[1] زوج
زوجته وهى صاحبة مدرسة موسيقية وبنسيون حريمى

ـ المسرح هو منصة حفلات فى أحد النوادى الريفية

*

نيوخين: (**بسوالف طويلة، بدون شوارب، فى حلة فراك قديمة بالية. يدخل فى عظمة، ينحنى محييًا وهو يسوى صدريته**)، سادتى الكرام، وسيداتى الكريمات.. على نحو ما (**يمشط سوالفه**). لقد عرضت علىَّ زوجتى أن أقرأ محاضرة هنا لغرض خيرى. حسنًا، فلتكن إذًا محاضرة، فالأمر بالنسبة لى سيان تمامًا. أنا بالطبع لست أستاذا، وبعيد عن الألقاب العلمية، إلا أننى، رغم ذلك، وعلى امتداد ثلاثين عاما، دون انقطاع، ويمكن القول، معرضا صحتى للضرر وخلافه، أعمل فى قضايا ذات طابع علمى بحت، أعمل الفكر، بل وحتى أكتب أحيانا، تصورا، مقالات علمية، ولا أعنى علمية تماما، ولكن، وأرجو المعذرة على هذا التعبير، وهكذا، شبيهة بالعلمية، وبالمناسبة كتبت منذ أيام مقالة هائلة

(١) ملاحظة: نيوخين اسم اشتقه الكاتب، من باب الفكاهة، من فعل «نيوخات» ويعنى فى الروسية: شم، ويمكن أن يقابله فى العربية «شمام» ـ المعرب.

بعنوان «حول مضار بعض الحشرات». وقد حازت إعجاب بناتى الشديد، وخاصة ما كتبته عن البق. أما أنا فقرأتها ثم مزقتها. فعلى أى حال ومهما كنت، فلا غنى عن المسحوق الفارسى[1].

البق عندنا معشش حتى فى البيانو.. لقد اخترت لمحاضرتى اليوم موضوع، يعنى، الضرر الذى يعود على البشرية من تعاطى التبغ. أنا شخصيا أدخن، ولكن زوجتى أمرتنى أن أقرأ اليوم محاضرة عن مضار التبغ، وعليه، فلا معنى هنا للجدل، ما داموا يريدون عن التبغ، فليكن عن التبغ، الأمر بالنسبة لى سيان تماما، أما أنتم السادة الكرام، فأقترح عليكم أن تنظروا إلى محاضرتى هذه بالجدية اللازمة، وإلا فقد يحدث ما لا تحمد عقباه. ومن يخاف من المحاضرة العلمية الجافة، ومن لا تعجبه، فبإمكانه ألا يستمع إليها وأن يخرج (**يسوى صدريته**). وأرجو اهتماما خاصا من السادة الأطباء الحاضرين هنا، الذين يمكنهم أن يستقوا من محاضرتى الكثير من المعلومات المفيدة، لأن التبغ، إلى جانب مفعوله الضار، يستخدم أيضا فى الطب، فعلى سبيل المثال، لو وضعتم ذبابة فى علبة سعوط؟؟، فسوف تنفق فى الغالب بسبب اضطراب الأعصاب. إن الطباق هو بالدرجة الأساسية نبات.. عندما ألقى محاضرة أغمز عادة بعينى اليمنى، فلا تلقوا بالًا، فهذا بسبب الانفعال. إننى شخص عصبى جدا بصفة عامة، بدأت أغمز بعينى عام ١٨٨٩. فى ١٣ سبتمبر، فى نفس اليوم الذى ولدت فيه لزوجتى، على نحو ما، الابنة الرابعة فرفارا. كل بناتى ولدن بتاريخ ١٣ وعموما (**ينظر إلى ساعته**) ونظرًا لضيق الوقت دعونا لا نبتعد عن موضوع المحاضرة. ينبغى أن أذكر لكم أن زوجتى تملك مدرسة موسيقية وبنسيونا خاصًا، ولا أقصد أنه بنسيون يعنى، بل

---

(١) مسحوق. كان يستخدم لمكافحة الحشرات المنزلية مثل البق وغيره. (المعرب).

هكذا، شيء من هذا القبيل. وبينى وبينكم زوجتى تهوى التشكى؟؟ من ضيق الحال، ولكنها تخفى بعض المال، حوالى أربعين أو خمسين ألفا، أما أنا فلا أملك كوبيكا واحدا. ليس عندى قرش، ولكن ما جدوى الكلام! أنا أعمل فى ذلك البنسيون مشرفا على الشئون المعيشية، أشترى التموين، وأفتش على الخدم، وأسجل المصروفات، وأصنع من الأوراق دفاتر، وأكافح البق، وأفسح كلبة زوجتى، وأصطاد الفئران..ومساء الأمس كان من واجباتى أن أصرف للطاهية الدقيق والزيت، إذ كان من المقرر إعداد شطائر. حسنًا، وباختصار، جاءت زوجتى اليوم إلى المطبخ بعد أن أعدت الشطائر، لتقول لى إن ثلاثا من المربيات لن يأكلن شطائر، لأن اللوز عندهن محتقنة. وهكذا اتضح أننا أعددنا عدة شطائر زيادة، فهلا أخبرتمونى ماذا نفعل بها؟ فى البداية زوجتى أمرت بحملها إلى القبو. وبعد أن فكرت قالت «كل أنت هذه الشطائر، أيها الفزاعة»، وهى تسمينى «الفزاعة» أو «إبليس» أو «الشيطان» عندما تكون معتلة المزاج. فأى شيطان أنا؟ وهى دائما معتلة المزاج. لم آكلها بل ازدردتها دون مضغ، لأننى دائما جائع. بالأمس، مثلا، لم تقدم لى الغداء وقالت «لا داعى لإطعامك أيها «الفزاعة..»، ولكن مهلًا. (**ينظر إلى ساعته**) لقد أخذتنا الثرثرة وابتعدنا قليلا عن الموضوع. دعونا نواصل، رغم أنكم تفضلون بالطبع لو استمعتم إلى أغنية عاطفية أو إلى سيمفونية يعنى هكذا، أو دور فى أوبرا (**يغنى**): «فى غمار الحرب لم يطرف لنا جفن..» لم أعد أذكر من أين هذا المقطع.. على فكرة، لقد نسيت أن أقول لكم إننى فى المدرسة الموسيقية التابعة لزوجتى، بالإضافة إلى الإشراف على الشئون المعيشية، مكلف أيضا بتدريس الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والتاريخ، والسولفيج، والأدب وخلافه.. وزوجتى تتقاضى أجرًا خاصًا مقابل

دروس الرقص والغناء والرسم، رغم أننى أنا الذى أدرس الرقص والغناء أيضا. ومدرستنا الموسيقية تقع فى حارة بيتى سوباتشى[1]، فى المنزل رقم ١٣، ويبدو أن السبب فى فشل حياتى يعود إلى أننا نعيش فى المنزل رقم ١٣، وبناتى ولدن فى تاريخ ١٣، ولدينا فى منزلنا ١٣ قطة.. وما جدوى الكلام! يمكنكم أن تجدو زوجتى فى البيت فى أى وقت للاتفاق معها، أما برنامج المدرسة، إذا رغبتم فى الحصول عليه، فيباع لدى البواب بـ ٣٠ كوبيكا للنسخة (**يخرج من جيبه عدة نشرات**) وإذا رغبتم فبوسعى أن أتقاسمها معكم النسخة بـ ٣٠ كوبيكا، من يرغب؟ (**فترة صمت**) لا أحد يرغب؟ حسنا، بـ ٢٠ كوبيكا! (**فترة صمت**) شىء، محزن. نعم إنه المنزل رقم ١٣! لا أوفق فى عمل شىء، كبرت وتبلدت. ها أنذا ألقى محاضرة، وأبدو مرحًا، بينما أود لو أصرخ بملء الصوت، أو.. أطير إلى مكان ما فى آخر الدنيا..وليس هناك من أشكو إليه، أود حتى أن أبكى وربما قلتم: والبنات.. ما لهن البنات؟ أنا أخاطبهن، أما هن فيضحكن.. لدى زوجتى سبع بنات.. كلا، عفوا، أظن ست بنات.. (**بحيوية**) سبع! كبراهن، آنا، فى السابعة والعشرين، والصغرى فى السابعة عشر.. سادتى الكرام (**يتلفت**) إننى إنسان تعيس، تحولت إلى أحمق، إلى شخص حقير، أما فى الواقع فترون أمامكم أسعد أب فى الدنيا. وهذا فى الواقع ما ينبغى أن يكون، وأنا لا أجرؤ أن أقول شيئا مخالفا. أه لو كنتم تعلمون! لقد عشت مع زوجتى ثلاثا وثلاثين سنة، وبوسعى أن أقول إنها كانت أسعد سنوات حياتى، ليس أسعدها بالضبط، ولكن بشكل عام. مرت يعنى باختصار وكأنها لحظة سعيدة، عليها اللعنة فى واقع الأمر! (**يتلفت**) ولكنها، كما أظن، لم تأت بعد. إنها ليست هنا، ويمكننى أن أقول

---

(١) تعنى الكلاب الخمسة ـ (المعرب).

ما أشاء.. إننى خائف جدا.. أخاف عندما تنظر إلىَّ. نعم إذن، أقول، إن بناتى بقين طويلا بلا زواج ربما لأنهن خجولات، ولأن الرجال لا يرونهن أبدًا. زوجتى لا تريد إقامة سهرات، ولا تدعو أحدًا لتناول الغداء.. إنها سيدة بخيلة للغاية وعبوس، ومتذمرة، ولذلك لا يزورنا أحد.. ولكن، يمكننى أن أبوح لكم بسر.. **(يقترب من مقدمة الخشبة)** يمكن رؤية بنات زوجتى فى الأعياد الكبيرة لدى خالتهن نتاليا سيمونوننا، تلك التى تعانى من الروماتيزم، وتسير مرتدية ثوبا أصفر، ببقع سوداء، وكأنما نثرت عليها صراصير. هناك يقدمون المقبلات. وعندما لا تكون زوجتى هناك يمكن تناول الـ.. **(ينقر بإصبعه على عنقه)**[1].. ينبغى أن أشير إلى أننى أثمل من أول كأس، وعندها أحس براحة نفسية، وفى الوقت نفسه أشعر بالحزن لدرجة يصعب وصفها. لسبب ما أتذكر سنوات الصبا، وأرغب لسبب ما فى الفرار.. آه لو تعلمون كم أرغب! **(باندفاع)** الفرار.. ترك كل شىء والفرار، بلا رجعة.. إلى أين؟ لا يهم إلى أين.. المهم الفرار من هذه الحياة الحقيرة، الوضيعة التافهة، التى جعلت منى عجوزًا بائسا أحمق، عجوزًا بائسًا أبله.. الفرار من هذه المقترة الحمقاء التافهة الشريرة، الشريرة، الشريرة، من زوجتى التى عذبتنى ثلاثة وثلاثين عاما.. الفرار من الموسيقى، من المطبخ، من نقود زوجتى، من كل هذه التوافه والوضاعات.. ثم التوقف فى مكان بعيد، بعيد، فى حقل مكشوف.. الوقوف هناك كشجرة، كعمود، كفزاعة طيور، تحت السماء العريضة والتطلع طوال الليل إلى القمر الساكن المنير فى الأعلى.. والنسيان.. النسيان..آه كم أود ألا أذكر شيئا.. كم أود أن أنزع عنى هذا الفراك الحقير الرث، الذى لبسته فى زفافى منذ ثلاثة وثلاثين عاما **(ينزع**

(١) إشارة شائعة تعنى تناول المشروبات الروحية ـ (المعرب).

عنه الفراك).. الذى ألقى فيه المحاضرات دائما لأغراض خيرية.. هاك ما تستحق! **(يدوس الفراك بحذائه)**.. هاك ما تستحق! أنا عجوز، فقير، بائس، مثل هذه الصدرية، بظهرها المستهلك المهترئ.. **(يكشف ظهره)** لست بحاجة إلى شىء! أنا أسمى وأطهر من ذلك، وكنت فى زمن ما شابا، ذكيا، درست فى الجامعة، وكنت أعد نفسى إنسانا..الآن لم أعد بحاجة إلى شىء! لا شىء سوى الراحة.. سوى الراحة! **(ينظر جانبا ويرتدى الفراك بسرعة)**.. وها هى زوجتى تقف خلف الكواليس.. وصلت ووقفت تنتظرنى هناك.. **(يتطلع إلى الساعة)**.. لقد مر الوقت.. إذا سألتكم فأرجوكم، من فضلكم، أخبروها أن المحاضرة كانت..وأن الفزاعة، أى أنا، كان سلوكى لائقا **(ينظر جانبا ويسعل)** إنها تتطلع نحوى.. **(يرفع صوته)**.. وانطلاقا من أن التبغ يحتوى على سم زعاف، وهو ما ذكرته لتوى، فلا يجوز التدخين بأى حال من الأحوال، وأسمح لنفسى، بصورة ما، أن آمل بأن تعود محاضرتى هذه «عن مضار التبغ» بالنفع. لقد قلت ما عندى.

Dixi et animam levavi[1]

ينحنى ويخرج بعظمة.

---

(١) قلتُ فسريت عن نفسى ـ باللاتينية فى الأصل.

الدب

مزحة فى فصل واحد

مهداة إلى

ن.ن. سولوفتسوف

شخصيات المسرحية

يلينا إيفانوفنا بوبوفا	أرملة شابة بغمّازتين في خديها، إقطاعية
جريجوري ستيبانوفيتش سميرنوف	إقطاعي غير عجوز
لوقـا	خادم بوبوفا، عجوز

ـ غرفة الجلوس في ضيعة بوبوفا

١

(بوبوفا ـ في ثياب الحداد الكاملة، لا تحول عينيها عن صورة فوتوغرافية ـ ولوقا).

لـوقـا: لا يجوز يا سيدتي.. تقتلين نفسك وحسب.. الخادم والطاهية ذهبتا لجمع الثمار، وكل حيٍّ يفرح، حتى القطة تدرك ما يسرها فتتنزه في الفناء، وتصيد فروخ الطيور، وأنت تجلسين في الغرفة طول النهار، وكأنك في دير، بدون أي متعة. نعم، حقا! سنة تقريبا مرت ولم تخرجي من البيت..!

بـو بـو فـا: ولن أخرج أبدا..لماذا؟ حياتي قد انتهت. هو ممدد في

القبر، وأنا دفنت نفسى بين أربعة جدران..نحن الاثنان متنا.

لوقا: يا سلام! دعيك من هذا الكلام، حقا! نيكولاى ميخايلوفتش توفى، فليكن، هكذا مشيئة الله. عليه الرحمة..كفاك حزنا، والتفتى إلى نفسك. لن تقضى العمر كله فى البكاء وملابس الحداد. أنا أيضا ماتت عجوزى من سنين.. فماذا فعلت؟ حزنت وبكيت شهرا، وكفاها ذلك. فلو أنى قضيت الدهر أشكو فإن العجوز لا تستحق ذلك. **(يتنهد)** نسيت جميع جيرانك.. لا تزورين أحدا ولا تسمحين باستقبال أحد. نعيش، عفوا، كالعناكب، لا نرى الدنيا. الفئران أكلت بدلة الخدمة..طيب، هذا مفهوم لو لم يكن هناك أشخاص طيبون، ولكن الإقليم ملىء بالسادة..وفى ريبلوف يعسكر فوج حربى والضباط كقطع الحلوى، لا تشبع العين منهم! وفى المعسكرات كل جمعة حفل راقص، وكل يوم تقريبا تعزف الفرقة العسكرية..آه يا سيدتى يا مولاتى! شابة، جميلة، قشطة وتفاح.. ما عليك إلا أن تعيشى على كيفك.. الجمال لا يدوم! ستمر عشر سنوات وبعدها تشائين أن تخطرى كطاووس لتفتنى السادة الضباط، ولكن لا، سيكون الوقت متأخرا.

بوبوفا: **(بحزم)** أرجوك ألا تحدثنى عن ذلك أبدا! أنت تعرف

أنه منذ وفاة نيكولاى ميخايلوفتش فقدت الحياة بالنسبة لى أى قيمة. يبدو لك أننى أعيش، ولكن هذا يبدو فقط! لقد قطعت على نفسى عهدا ألا أنزع ثياب الحداد أو أرى الدنيا حتى المهات.. هل تسمع؟ فلير ظله كيف أحبه.. نعم أنا أعرف، ليس سرا عليك أنه كثيرا ما كان يظلمنى، ويقسو علىّ و.. وحتى لم يكن مخلصا، ولكننى سأظل وفية له حتى القبر، وسأثبت له كيف أصون الحب. وهناك، وراء القبر، سيرانى كما كنت قبل وفاته..

لـــــوقـــا: بدلًا من هذا الكلام اخرجى أفضل إلى البستان وتمشى قليلا، أو مرى بتسريج «توبى» أو «عملاق» وانطلقى إلى الجيران فى زيارة..

بـــوبـــوفـــا: آه!..(تبكى)

لـــــوقـــا: سيدتى..مولاتى! ماذا بك؟ حرام عليك!

بـــوبـــوفـــا: كم كان يحب «توبى»! كان يركبه دائما لزيارة آل كورتشاجين وآل فلاسوف. كم كان يسوسه بروعة! أى رشاقة كانت فى هيئته عندما كان يشد اللجام بكل قوته! هل تذكر؟ توبى، توبى! مرهم أن يقدموا له اليوم حصة شعير زيادة.

لـــــوقـــا: حاضر!

(جرس حاد)

بـــوبـــوفـــا: (تنتفض) من هذا؟ قل لهم إننى لا أستقبل أحدًا!

لــــــوقــــــا: حاضر! **(ويخرج)**

٢

(بوبوفا وحدها)

بـــوبـــوفـــا: **(تنظر إلى الصورة)** سترى يا Nicolas كيف أصون الحب وكيف أغفر..لن ينطفئ حبى إلا بانطفائى، عندما يتوقف قلبى المسكين **(تضحك من خلال الدموع)** ألا تستحى؟ أنا زوجتك المخلصة، المطيعة، حبست نفسى بالمفتاح وسأبقى وفية لك حتى القبر، وأنت..ألا تستحى يا بطوطة؟ كنت تخوننى، وتثير المشاجرات وتتركنى وحدى أسابيع كاملة..

٣

(بوبوفا ولوقا)

لــــــوقــــــا: **(يدخل، قلقًا)** سيدتى، هناك شخص ما يطلبك. يريد أن يراك..

بـــوبـــوفـــا: ألم تقل له إننى لا أستقبل أحدًا منذ وفاة زوجى؟

لــــــوقــــــا: قلت، ولكنه لا يريد أن يسمع، يقول: أمر ضرورى جدا.

بـــوبـــوفـــا: أنا لا أستـ..ـقـ..ـبل!

لـــــوقـــــا: قلت له، ولكنه.. مثل شيطان.. يشتم ويندفع إلى الغرفة.. هو الآن فى غرفة الطعام..

بـــوبـــوفـــا: **(بعصبية)** حسنا، أدخله..قلة أدب!

(لوقا يخرج)

يالهم من ثقلاء، هؤلاء الناس! ماذا يريدون منى؟ لماذا يقلقون سكونى؟ **(تتنهد)** حقًا، يبدو أنه لا مفر من دخول الدير..**(تستغرق فى التفكير)** نعم، الدير..

٤

(بوبوفا ولوقا وسميرنوف)

ســمــيرنــوف: **(داخلًا، مخاطبا لوقا)**. مغفل، تهوى الكلام الكثير.. حمار! **(يرى بوبوفا فيقول باعتزاز)** سيدتى، أتشرف بتقديم نفسى: ملازم المدفعية المتقاعد، مالك الأراضى جريجورى ستيبانوفتش سميرنوف! مضطر إلى إزعاجك لمسألة هامة للغاية..

بـــوبـــوفـــا: **(دون أن تمد له يدها)** أى خدمة؟

ســمــيرنــوف: كان المرحوم زوجك، الذى تشرفت بمعرفته، مدينًا لى بألف ومائتى روبل قيمة كمبيالتين. ولما كنت مضطرًا إلى تسديد فوائد البنك العقارى غدًا، لذا أرجوك ياسيدتى أن تدفعى لى المبلغ اليوم.

بـــوبـــوفـــا: ألف ومائتان..وكيف أصبح زوجى مدينا لكم؟

سميرنوف: كان يشترى منى شعيرًا.

بوبوفا: (متنهدة، **مخاطبة لوقا**) إذن لا تنس يا لوقا أن تأمرهم بإعطاء «توبى» حصة شعير زيادة. (**لوقا ينصرف. مخاطبة سميرنوف**) إذا كان نيقولاى ميخايلوفتش مدينا لكم فسوف أرد لكم الدين بلا شك. ولكن، عفوا، أرجوك، ليس معى اليوم نقود زيادة. بعد غد سيعود وكيل أعمالى من المدينة وسآمره بأن يدفع لكم المبلغ المطلوب، أما الآن فلا أستطيع أن أستجيب لرغبتكم.. وعلاوة على ذلك فقد انقضى اليوم سبعة أشهر بالضبط على وفاة زوجى، أنا فى حالة مزاجية لا تجعلنى مستعدة أبدًا للاهتمام بمسائل مالية.

سميرنوف: وأنا الآن فى حالة مزاجية بحيث إذا لم أسدد الفوائد غدًا فسأطير فى ستين داهية. سيحجزون على ضيعتى!

بوبوفا: ستحصل على نقودك بعد غد.

سميرنوف: أنا بحاجة إلى النقود اليوم، لا بعد غد.

بوبوفا: عفوا، ولكنى لا أستطيع أن أدفع اليوم.

سميرنوف: وأنا لا أستطيع الانتظار إلى بعد غد.

بوبوفا: وما العمل، ليس عندى نقود الآن!

سميرنوف: إذن لا تستطيعين أن تدفعى؟

بوبوفا: لا أستطيع..

سميرنوف: إم... هذا آخر كلام؟

بوبوفا: نعم، آخر كلام.

سـمـيرنـوف: آخر كلام؟ أكيد؟

بـوبـوفـا: أكيـد.

سـمـيرنـوف: مع جزيل الشكر. فلنسجل فى المحضر (يهز كتفيه) وبعد هذا يريدون أن أكون بارد الأعصاب! قابلنى الآن، وأنا قادم، محصل الضرائب فسألنى: «لماذا أنت غاضب دائما يا جريجورى ستيبانوفتش؟» حنانيك، وكيف لا أغضب؟ أنا بحاجة ماسة إلى النقود.. رحلت من البيت منذ صباح أمس، فى الفجر، ومررت على جميع مدينىَّ، فلو أن واحدًا منهم فقط رد دينه! تبهدلت ككلب، والشيطان يعلم أين بت الليل.. فى حانة يهودية قذرة، بجوار برميل فودكا..وأخيرا أصل إلى هنا، على مسافة سبعين كيلو مترا من بيتى، على أمل الحصول على نقود، فإذا بهم يضيفوننى «مزاجيات»! فكيف لا أغضب إذن!

بـوبـوفـا: أعتقد أننى قلت بوضوح عندما يعود وكيل أعمالى من المدينة ستحصل على النقود.

سـمـيرنـوف: أنا لم أجئ إلى وكيل الأعمال، بل إليك! ما حاجتى إلى وكيل أعمالك، عليه اللعنة، وعفوا على هذا التعبير!

بـورفـا: عفوا يا سيدى المحترم، أنا لم أتعود على هذه الكلمات الغريبة، وهذه النبرة. لن أصغى إليك بعد. (تخرج بسرعة).

٥

(سميرنوف وحده)

سـمـيرنـوف: أما غريبة! مزاجي.. منذ سبعة أشهر مات زوجي! وأنا، هل ينبغي عليّ أن أسدد الفوائد أم لا؟ إنني أسألك: هل ينبغي أن أسدد الفوائد أم لا؟ حسنا، أنت زوجك مات، ومزاجك يعني وخلافه.. وكيل أعمالك رحل إلى مكان ما، فلتحفظه الشياطين، ولكن ماذا تأمرينني أن أفعل؟ أركب منطادا لأهرب من الدائنين أم ماذا؟ أم أجري وأضرب رأسي في الحائط؟ جئت إلى جروزديف فإذا به غير موجود، وياروشيفتش اختبأ، أما كوريتسين فقد تشاجرت معه إلى حد العراك وكدت ألقي به من النافذة. مازوتوف عنده نزلة معوية، وهذه عندها مزاج. لا يدفع منهم ولا لئيم واحد! كل ذلك لأنني دللتهم أكثر من اللازم، لأنني بريالة، خرقة، امرأة! أنا معهم رقيق أكثر من اللازم! طيب، مهلا!! ستعرفون من أنا! لن أسمح بالمزاج معي، يا للشيطان! سأبقى هنا ولن أتحرك حتى تسدد! بررر!.. كم أنا مغتاظ اليوم، كم أنا مغتاظ! من الغيظ ترتعش فرائصي وانحبست أنفاسي.. أف، يا إلهي، بل يغمى عليّ (**يصيح**) يا ولد!

٦

(سميرنوف ولوقا)

لـــــوقـــــا: **(يدخل)** ماذا تريدون؟

ســمــيرنــوف: هات كفاسًا أو مادا!

(لوقا يخرج)

يا سلام، يا للمنطق! أنت بحاجة ماسة إلى النقود، حتى لتفكر فى الانتحار، أما هى فلا تدفع لأنها، بسلامتها، غير مستعدة للاهتمام بالمسائل المالية!.. منطق نسائى فعلًا، منطق هوانم! ولهذا بالذات لم أحب أبدًا ولا أحب أن أتحدث مع النساء. من الأسهل علىَّ أن أجلس على برميل بارود من أن أتحدث مع امرأة. بررر!.. حتى بدنى يقشعر.. إلى هذا الحد أغاظنى ذيل الفستان هذا! ما إن أرى، ولو من بعيد، المخلوق الشاعرى حتى تصاب سمانتا ساقى بالتقلص من شدة الغيظ.. شىء يجنن.

٧

(سميرنوف ولوقا)

لـــــوقـــــا: **(يدخل ويقدم ماء)** السيدة مريضة ولا تستقبل أحدًا.

ســمــيرنــوف: امش!

(لوقا يخرج)

مريضة ولا تستقبل! لا داعى، لا تستقبلى.. سأبقى، وسأظل جالسًا هنا حتى تردى النقود. إذا مرضت أسبوعًا سأبقى هنا أسبوعًا.. إذا مرضت سنة،سأبقى سنَة..سآخذ حقى يا سيدتى! لن تؤثر فىَّ ثياب الحداد أو الغمازات فى الخدود..نحن نعرف هذه الغمازات! **(يصيح فى النافذة)** سيميون، فك العدة! لن نرحل قريبا! سأبقى هنا! قل لهم فى الإصطبل أن يقدموا الشعير للخيول! مرة ثانية يا حيوان تشتبك الفرس اليسرى فى السيور! **(مقلدا)** «بسيطة»..سوف أريك «بسيطة»! **(يبتعد عن النافذة)** يا للسوء!.. الحر لا يطاق، ولا أحد يدفع، ونمت نوما سيئا ليلة الأمس، وعلاوة على ذلك هذا الذيل الحدادى والمزاج.. رأسى مصدع.. هل أشرب فودكا؟ نعم، سأشرب. **(يصيح)** يا ولد!

لـــــوقــــــا: **(يدخل)** ماذا تريدون؟

ســمــيرنــوف: هات كأس فودكا!

(لوقا يخرج)

أف! **(يجلس ويتفحص نفسه)** يا سلام، ما أجملها هيئة! الغبار يغطيك، والحذاء قذر، والوجه غير مغسول، والشعر غير ممشط، وعلى الصديرى قش.. ربما تكون

الهانم قد اعتبرتنى قاطع طريق. **(يتثاءب)** ليس من التهذيب إلى حد ما الدخول إلى غرفة الجلوس فى منظر كهذا، ولكن لا بأس..أنا لست ضيفا هنا، أنا دائن، وليس ضروريا للدائن أن يهتم بمظهره..

لوقا: **(يدخل ويقدم الفودكا)** إنك تسمح لنفسك بالكثير ياسيدى...

سميرنوف: **(بغضب)** ماذا؟

لوقا: أنا.. لا أقصد.. أنا يعنى..

سميرنوف: مع من تتكلم؟! اخرس!

لوقا: **(جانبًا)** بلينا بهذه المصيبة، أى شيطان رماه علينا..

(لوقا يخرج)

سميرنوف: آه، كم أنا مغتاظ! مغتاظ لدرجة يخيل لى فيها أننى قد أسحق الدنيا كلها... حتى إنه يغمى علىَّ... **(يصيح)** يا ولد!

٨

(بوبوفا وسميرنوف)

بوبوفا: **(تدخل خافضة البصر)** سيدى المحترم، لقد نسيت فى عزلتى منذ وقت طويل الصوت البشرى ولا أتحمل الصياح. أرجوك رجاء حارًا ألا تزعج سكونى.

سميرنوف: ادفعى لى النقود وسأرحل.

بـــوبـــوفـــا: لقد قلت لكم باللغة الروسية: ليس معى الآن نقود زيادة. انتظر حتى بعد غد.

ســمـيرنــوف: وأنا أيضا تشرفت بالقول لكم باللغة الروسية: أنا بحاجة إلى النقود اليوم لا بعد غد. إذا لم تدفعى لى اليوم فسيكون علىّ غدا أن أنتحر.

بـــوبـــوفـــا: ولكن ما العمل إذا لم يكن معى نقود؟ شىء غريب!

ســمـيرنــوف: إذن فلن تدفعى الآن؟ كلا؟

بـــوبـــوفـــا: لا أستطيع..

ســمـيرنــوف: فى هذه الحالة سأبقى هنا وسأظل جالسًا حتى أحصل على النقود.. (ويجلس) ستدفعين بعد غد؟ ممتاز! سأجلس هكذا إلى بعد غد. هكذا سأبقى جالسا... (يقفز واقفا) إننى أسألك: هل علىّ أن أدفع الفوائد غدًا أم لا؟.. أم تظنين أننى أمزح؟

بـــوبـــوفـــا: أرجـوك يا سيدى المحترم، لا تـصرخ! ليس هذا إسطبلا!

ســمـيرنــوف: أنا لا أسألك عن الإسطبل بل هل ينبغى علىّ أن أدفع الفوائد غدًا أم لا؟..

بـــوبـــوفـــا: أنت لا تعرف كيف تتصرف وسط النساء!

ســمـيرنــوف: لا، بل أعرف كيف أتصرف وسط النساء!

بـــوبـــوفـــا: كلا، لا تعرف! أنت شخص غير مهذب، فظ! الناس المحترمون لا يتكلمون هكذا مع النساء!

سميرنوف: آه، شىء مدهش! كيف تأمرين بالكلام معك؟ بالفرنسية يعنى؟ (**يغتاظ ويقول ماطا شفتيه**) مدام، جى فوى برى.. كم أنا سعيد بعدم ردك النقود لى.. آه، باردون إذا كنت أزعجتك! ما أروع الطقس اليوم! وهذا الحداد لائق جدا عليك! (**يحك قدميه بالأرض محييا**)

بوبوفا: هذا سخيف وفظ.

سميرنوف: (**مقلدًا**) سخيف وفظ! أنا لا أعرف كيف أتصرف وسط النساء! سيدتى، لقد رأيت فى حياتى نساء، أكثر بكثير مما رأيت أنت عصافير! تبارزت ثلاث مرات من أجل النساء، هجرتُ اثنتى عشرة امرأة وهجرتنى تسع نساء! نعم! وكانت هناك فترة كنت فيها أتحامق، وأتسامح، وأتعاسل، وأفرش نفسى بساطًا، وأحك الأرض بقدمى.. كنت أحب، أتعذب، أتنهد متأملًا القمر، وأضعف، وأذوب، وأفتر.. كنت أحب بجنون، بوجد، وبشتى الصور، وكنت أثرثر كالوقوق، فليخطفنى الشيطان، عن تحرير المرأة، وأنفقت على هذه المشاعر الرقيقة نصف أموالى، أما الآن فاعفونى! الآن لن تخدعننى! كفى! العيون السود، العيون المشبوبة، الشفاه الوردية، غمازات الخدود، القمر، الهمس، الأنفاس المترددة... كل ذلك لا أدفع مقابله الآن يا

سيدتى قطعة خردة! أنا لا أقصد الحاضرات، ولكن كل النساء، من أصغرهن إلى أكبرهن، متدللات، متغنجات، متقولات، حسودات، كذوبات حتى النخاع، هوجاوات، تافهات، قاسيات القلب، منطقهن يثير السخط، أما فيما يخص هذا الشىء **(يضرب على جبينه)** فاعذرينى على الصراحة، فإن أصغر عصفور يكسب من أى فيلسوف فى تنورة عشر نقاط مقابل صفر! أحيانا تنظر إلى بعض هذه المخلوقات الشاعرية، فترى أمامك حريرًا، أثيرًا، نصف إلهة، مليون صيحة إعجاب، فإذا نظرت إلى روحها، وجدت تمساحا عاديا! **(يمسك بمسند كرسى فيطقطق الكرسى ويتحطم)** ولكن أكثر ما يثير السخط أن هذا التمساح يتصور لسبب غير معروف أن الشعور الرقيق هو تحفته وامتيازه واحتكاره! يا للشيطان، يا للعنة، علقونى من ساقى فى هذا المسمار إن كانت المرأة تعرف كيف تحب أحدًا غير كلاب البولونيز! وهى فى الحب لا تعرف إلا الشكوى والدموع! وبينما يتعذب الرجل ويضحى نجد حبها لا يتجلى إلا فى هزها لذيل فستانها وسعيها إلى إحكام القبضة على الأنف. من سوء حظك أنك امرأة، وبالتالى تعرفين من واقع حالتك طبيعة النساء. فلتخبرينى بصدق، هل رأيت فى حياتك امرأة صادقة،

مخلصة، وفية؟ لم ترى! المخلصات والوفيات هن العجائز والدميات وحدهن. الأسهل أن تجدى قطة بقرون أو دجاجة غابة بيضاء من أن تجدى امرأة وفية!

بوبووفا: اسمح لى، فمن إذن فى رأيك مخلص ووفى فى الحب؟ أهو الرجل؟

سميرنوف: نعم، الرجل!

بوبوفا: الرجل! **(تضحك بغيظ)** الرجل مخلص ووفى فى الحب! يا له من خبر! **(بحرارة)** بأى حق تقول هذا؟ الرجال مخلصون وأوفياء! طالما هكذا دعنى أقل لك إنه من بين جميع الرجال الذين عرفتهم وأعرفهم كان المرحوم زوجى هو الأفضل.. كنت أحبه بوجد، بكل كيانى، كما تقدر أن تحب امرأة شابة مفكرة. وهبته شبابى وسعادتى وحياتى ومالى، كنت أعيش على أنفاسه، وأصلى له كوثنية و.. و.. ماذا؟ كان هذا الأفضل يخدعنى فى كل خطوة بصورة فى غاية الدناءة! بعد وفاته وجدت فى مكتبه درجا مليئا كله بالخطابات الغرامية، وأثناء حياته ـ من الفظاعة أن أتذكر! ـ كان يتركنى وحدى أسابيع كاملة، وأمام عينى يغازل النساء الأخريات ويخوننى، ويبعثر نقودى ويهزأ بمشاعرى.. ورغم كل ذلك أحببته وأخلصت له.. بل والأكثر من ذلك أننى ما زلت مخلصة له ووفية حتى بعد وفاته. لقد

دفنت نفسى إلى الأبد فى هذه الجدران الأربعة، ولن أنزع ثياب الحداد إلى المات..

سميرنوف: (**يضحك باحتقار**) الحداد!.. لا أعرف من تتصورينني؟ وكأنما أنا لا أدرى لأى غرض ترتدين هذا الثوب الأسود وتدفنين نفسك بين أربعة جدران! ولِمَ لا! فهذا شيء غامض، شاعرى! ربما يمر بجوار داركم طالب حربى ما أو شاعر تافه فينظر إلى نوافذك ويفكر: «هنا تعيش تمارا الغامضة، التى دفنت نفسها بين أربعة جدران حبًا فى زوجها». نحن نعرف هذه الملاعيب!

بوبوفا: (**منفجرة**) ماذا؟ كيف تجرؤ على أن تقول هذا لى؟

سميرنوف: دفنت نفسك بين أربعة جدران، ومع ذلك لم تنسى أن تضعى البودرة!

بوبوفا: كيف تجرؤ على الكلام معى بهذا الشكل؟

سميرنوف: لا تصرخى من فضلك، أنا لست خوليك! واسمحى لى أن أسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية. أنا لست امرأة، وقد تعودت أن أعرب عن رأيى بصراحة! لا تصرخى إذن أرجوك!

بوبوفا: لست أنا التى تصرخ بل أنت! أرجوك دعنى وشأنى!

سميرنوف: ادفعى لى دينى وأنا أذهب.

بوبوفا: لن أدفع لك شيئا.

سميرنوف: بل ستدفعين!

بــوبــوفــا: نكاية فيك لن تحصل على كوبيك واحد! يمكنك أن تدعنى وشأنى!

سـمـيرنـوف: من حسن حظى أننى لست زوجك أو خطيبك، ولذلك أرجوك لا تفتعلى مشاجرة. (**يجلس**). أنا لا أحب هذا.

بــوبــوفــا: (**تختنق غيظا**) أنت تجلس؟

سـمـيرنـوف: جلست.

بــوبــوفــا: أرجوك اخرج!

سـمـيرنـوف: هاتى الفلوس.. (**جانبا**) أوه، كم أنا مغتاظ، كم أنا مغتاظ!

بــوبــوفــا: أنا لا أريد أن أتكلم مع وقح! تفضل، غُر من هنا!

(**صمت**)

بــوبــوفــا: ألن تخرج؟ لا؟

سـمـيرنـوف: لا.

بــوبــوفــا: لا؟

سـمـيرنـوف: لا!

بــوبــوفــا: طيب! مهلا! (**تدق الجرس**).

٩

(**هما ولوقا**)

بــوبــوفــا: لوقا، أخرج هذا السيد!

لــوقــا: (**يقترب من سميرنوف**) يا سيد، تفضل بالخروج عندما تؤمر! هيا من هنا..

سميرنوف: **(يقفز واقفا)** اخرس! مع من تتكلم! سأصنع منك سلاطة!

لوقا: **(يضع يده على قلبه)** يا ربى!.. الحقونى!.. **(ينهار على كرسى فوتيل)** آه، دخت، دخت! نَفَسى انكتم!

بوبوفا: أين داشا؟ داشا! **(تصيح)** داشا! بيلاجيًّا! داشا! **(تدق الجرس).**

لوقا: أوه! ذهبن لجمع الثمار.. لا أحد فى البيت.. أنا دايخ! ماء!

بوبوفا: تفضل وغر من هنا!

سميرنوف: ألا تتفضلين بأن تكونى أكثر أدبًا؟

بوبوفا: **(تعصر قبضتيها وتدق بقدميها)** أنت فلاح، دب غليظ! جلف! وحش!

سميرنوف: ماذا؟ ماذا قلتِ؟

بوبوفا: قلت إنك دب، وحش!

سميرنوف: **(مهاجما)** لو سمحتِ، بأى حق تهينيننى؟

بوبوفا: نعم أهينك.. وماذا بعد؟ أتظننى أخافك؟

سميرنوف: وأنت تظنين أنك إذا كنت مخلوقا شاعريًا يكون من حقك أن تهينى الناس دون عقاب؟ نعم؟ إلى الحاجز!

بوبوفا: يا ربى.. الحقونى.. ماء!

سميرنوف: لنتبارز!

بوبوفا: إذا كان لديك قبضات ضخمة وحلق ثور فلعلك تظن أننى أخشاك؟ هه؟ أيها الجلف المتوحش!

سميرنوف: إلى الحاجز! لن أسمح لأحد بإهانتى ولن أراعى أنك امرأة، مخلوق ضعيف!

بوبوفا: **(تحاول أن يطغى صياحها على صياحه)** دب! دب! دب!

سميرنوف: حان الوقت للتخلى عن الفكرة المتحيزة، بأن الرجال وحدهم هم الذين ينبغى أن يدفعوا ثمن الإهانة! المساواة إذن المساواة، بحق الشيطان! إلى الحاجز!

بوبوفا: تريد أن نتبارز؟ تفضل!

سميرنوف: فورًا!

بوبوفا: فورًا! ترك زوجى بعده مسدسات.. سآتى بها.. **(تنصرف بسرعة ثم تعود)**. بأى تلذذ سأرسل رصاصة إلى جبينك النحاسى! فليخطفك الشيطان! **(تخرج)**.

سميرنوف: سأرديها مثل كتكوت! أنا لست صبيا، لست جروا عاطفيا، لا توجد بالنسبة لى مخلوقات ضعيفة!

لوقا: يا سيدى الرحيم!.. **(يجثو على ركبتيه)** اصنع معروفا، ارأف بحالى أنا العجوز واذهب من هنا! أرهبتنى حتى الموت، وتريد أن تتبارز!

سميرنوف: **(لا يصغى إليه)** التبارز، هذه هى المساواة والتحرير! كلا الجنسين هنا متساويان! سأرديها كمبدأ! يا لها من امرأة! **(يقلدها)** «فليخطفك الشيطان.. سأرسل رصاصة إلى جبينك النحاسى..» يا لها من امرأة!

احمرت تماما، وعيناها تلمعان.. قبلت التحدى! أقسم بشرفى، أول مرة أقابل فيها امرأة كهذه.

لوقا: يا سيدى، اذهب! دعنى أصلى لك طول عمرى!

سميرنوف: هذه امرأة! امرأة حقيقية! هكذا النساء! ليست خائرة ولا مغفلة، بل نار، بارود، صاروخ! بل إن قتلها مؤسف!

لوقا: (يبكى) يا سيدى.. يا مولاى.. أرجوك اذهب!

سميرنوف: إنها تعجبنى بالتأكيد! أكيد! رغم غمازات خديها تعجبنى! مستعد حتى للتنازل عن الدين.. والغيظ انتهى.. امرأة مدهشة!

١٠

(هما وبوبوفا)

بوبوفا: (تدخل حاملة مسدسين) ها هى المسدسات..ولكن قبل أن نتبارز أرنى، لو تكرمت، كيف أطلق النار.. أنا لم أمسك مسدسًا فى يدى من قبل.

لوقا: رحمتك يا رب، أنقذنا.. سأذهب لأبحث عن البستانى والحوذى.. من أين نزلت هذه المصيبة على رؤوسنا.. (يخرج).

سميرنوف: (يفحص المسدسين) فى الواقع، توجد عدة أنواع من المسدسات.. توجد مسدسات «مورتيمير» المخصصة

للمبارزات، بكبسولة. وهذان المسدسان من طراز سميث وفيسون، ثلاثى الحركة، بملقط، مركزى الضرب.. مسدسان رائعان!.. ثمن المسدسين تسعون روبلا على الأقل.. ينبغى الإمساك بالمسدس هكذا.. (جانبًا) عيناها! امرأة لاهبة!

بـــوبـــوفـــا: هكذا؟

ســمــيرنــوف: نعم، هكذا.. ثم ترفعين الزناد..وتصوبين هكذا.. الرأس إلى الوراء قليلا! مدى يدك جيدا.. نعم، هكذا.. ثم بهذا الإصبع تضغطين على هذه القطعة..ولا شىء أكثر.. القاعدة الرئيسية: ألا تستعجلى وأن تسددى على مهل.. وحاولى ألا تهتز ذراعك.

بـــوبـــوفـــا: حسنا..المبارزة فى الغرفة غير مريحة، لنذهب إلى البستان.

ســمــيرنــوف: لنذهب.. لكنى أخطرك بأنى سأطلق النار فى الهواء.

بـــوبـــوفـــا: لم يكن ينقص إلا هذا! لماذا؟

ســمــيرنــوف: لأنه..لأنه..هذا يخصنى!

بـــوبـــوفـــا: هل جبنت؟ نعم؟ آه!.. لا يا سيد، لا تخاتل! تفضل واتبعنى! أنا لن أهدأ حتى أثقب جبينك.. هذا الجبين الذى أمقته! جبنت؟

ســمــيرنــوف: نعم، جبنت.

بـــوبـــوفـــا: كذاب! لماذا لا تريد أن تتبارز؟

سـمـيرنـوف: لأنه.. لأنك.. تعجبيننى.

بـوبـوفـا: (**تضحك بغيظ**) أنا أعجبه! ويجرؤ على أن يقول إننى أعجبه! (**تشير إلى الباب**) تفضل!

سـمـيرنـوف: (**يضع المسدس فى صمت ويتناول عمرته ويتجه نحو باب الخروج. يتوقف هناك، وينظر كل منهما إلى الآخر حوالى نصف دقيقة فى صمت. ثم يقول وهويقترب مترددًا من بوبوفا**) اسمعى.. أما زلت غاضبة؟.. أنا أيضا مستثار كالمسعور، ولكن أتدرين.. كيف أوضح لك.. القضية أنه، لو تعلمين.. شىء من هذا القبيل فى الواقع..(**يصيح**) طيب، وما ذنبى أنا إذا كنت تعجبيننى؟ (**يمسك مسند كرسى فيطقطق الكرسى ويتحطم**) يا للشيطان، ما هذا الأثاث السهل الكسر لديك! أنت تعجبيننى! أتفهمين؟ أنا.. أنا تقريبا وقعت فى حبك!

بـوبـوفـا: ابتعد عنى.. إننى أمقتك!

سـمـيرنـوف: يا إلهى، أى امرأة! لم أر فى حياتى مثل هذا أبدا! ضعت! هلكت! وقعت فى المصيدة، كالفأر!

بـوبـوفـا: ابتعد عنى وإلا أطلقت النار!

سـمـيرنـوف: أطلقى! أنت لا تستطيعين أن تدركى سعادة الموت تحت نظرة هذه العيون الساحرة، الموت بمسدس تمسك به هذه الذراع الصغيرة المخملية.. أنا جننت! فكرى وقررى

الآن، لأنى لو خرجت من هنا فلن نلتقى أبدا! قررى..
أنا نبيل، رجل مستقيم، دخلى عشرة آلاف فى السنة..
أستطيع أن أصيب بالمسدس قطعة نقود ملقاه فى الهواء..
عندى خيول ممتازة.. هل تريدين أن تكونى زوجتى؟

بوبوفا: (**بسخط، تلوح بالمسدس**) فلنتبارز! إلى الحاجز!

سميرنوف: أنا جننت..لا أفقه شيئا.. (**يصيح**) يا ولد، هات ماء!

بوبوفا: (**تصيح**) إلى الحاجز!

سميرنوف: جننت، وقعت فى حبها كصبى، كأحمق! (**يطبق على يدها فتصرخ من الألم**) أنا أحبك! (**يركع على ركبتيه**) أحبك كما لم أحب أبدا من قبل! هجرت اثنتى عشرة امرأة، وتسع نساء هجرننى، ولكنى لم أحب واحدة منهن كما أحبك..أصبحت بلا إرادة، تراخيت، تخدرت.. أركع على ركبتى كأحمق وأطلب القرب..يا للعار، يا للفضيحة! خمس سنوات لم أحب، قطعت عهدا على نفسى، وفجأة وقعت كنير المحراث فى صندوق الغير! أطلب القرب. نعم أم لا؟ لا تريدين؟ لا داعى! (**ينهض ويتجه إلى الباب بسرعة**).

بوبوفا: انتظر..

سميرنوف: (**يتوقف**) حسنا؟

بوبوفا: لا شيء، اذهب.. طيب انتظر.. كلا، اذهب، اذهب! أنا أمقتك! لكن لا.. لا تذهب! آه، لو تعلم كم أنا

مغتاظة، كم مغتاظة! **(تلقى بالمسدس على الطاولة)** أصابعى نمَّلت من هذا القرف.. **(تمزق منديلها غيظا)** ما لك واقف؟ غر من هنا!

سميرنوف: وداعا.

بوبوفا: نعم، نعم، اذهب!.. **(تصيح)** إلى أين؟ انتظر.. طيب، اذهب. آه، كم أنا مغتاظة! لا تقترب منى، لا تقترب!

سميرنوف: **(مقتربا منها)** كم أنا مغتاظ من نفسى! وقعت فى الحب كتلميذ، وركعت على ركبتى.. إن بدنى يقشعر.. **(بخشونة)** أنا أحبك! كما لو كنت بحاجة إلى أن أحبك! علىّ غدا أن أسدد الفوائد، والحصاد بدأ، وأنت هنا.. **(يطوق خصرها)** لن أغفر لنفسى هذا أبدا..

بوبوفا: ابتعد عنى! ارفع يديك! أنا أ.. أمقتك! إلى الحـ.. ا.. جز!

(قبلة طويلة)

١١

(هما ولوقا يحمل فأسا، البستانى بمجرفة والحوذى بمذراة وعمال يحملون العصى).

لوقا: **(يرى الاثنين يتبادلان القبلات)** يا ربى!..

(صمت)

بوبوفا: **(تخفض بصرها)** لوقا، قل لهم هناك فى الإسطبل ألا يقدموا اليوم الشعير لتوبى إطلاقا.

(ستار)

النورس
ملهاة فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

إيرينا نيكولايفنا أركادينا	(تريبليفا حسب عائلة زوجها) ممثلة
قسطنطين جافريلوفتش تريبليف	ابنها، شاب
بيوتر نيكولايفتش سورين	شقيقها
نينا ميخايلوفنا زاريتشنايا	فتاة شابة،ابنة إقطاعى ثرى
إيليا أفناسيفتش شمرايف	ملازم متقاعد، خولىّ عند سورين
بولينا أندريفنا	زوجته
ماشا	ابنته
بوريس أليكسيفتش تريجورين	كاتب
يفجينى سرجيفتش دورن	طبيب
سيميون سيميونوفتش	
مدفيدينكو	مدرس
ياكوف	عامل
طاه	
خادم	

ـ الأحداث تجرى فى ضيعة سورين. يمضى على الأحداث بين الفصل الثالث والرابع عامان .

الفصل الأول

(جزء من حديقة فى ضيعة سورين. ممر واسع يتجه من النظارة إلى عمق الحديقة نحو البحيرة، تحجبه خشبة مسرح شيدت على عجل لعرض منزلى بحيث لا ترى البحيرة مطلقا. على يسار ويمين خشبة المسرح خمائل. بضعة كراسى، طاولة صغيرة. الوقت بعد الغروب مباشرة. خلف الستار المسدل على خشبة المسرح يقف ياكوف وعمال آخرون. يتردد سعال ودق. ماشا ومدفيدينكو قادمان من اليسار عائدين من نزهة).

مدفيدينكو: لماذا ترتدين السواد دائما؟

ماشا: حدادا على حياتى. أنا تعيسة.

مدفيدينكو: لماذا؟ (متفكرا) لست أفهم..أنت صحيحة، ووالدك إن لم يكن ثريا فهو ميسور. أنا أعيش حياة أصعب من حياتك بكثير. أتقاضى ٢٣ روبلا فقط فى الشهر، ويخصمون منى لصندوق المساعدات، ومع ذلك لا ألبس الحداد.

(يجلسان)

ماشا: ليست القضية فى النقود. الفقير أيضا بوسعه أن يكون سعيدا.

مـدفيـدينكـو : هذا نظريا: أما فى الواقع فالصورة هكذا: أنا، وأمى، وشقيقتاى، وأخى الصغير، والراتب ٢٣ روبلا لا غير. والأكل والشرب ضرورى؟ والشاى والسكر؟ والتبغ ضرورى؟ دبّر أمورك إذن!

مــــاشـــــا: **(تتلفت إلى الخشبة)** قريبا يبدأ العرض.

مـدفيـدينكـو : نعم. ستقوم زاريتشنايا بالتمثيل، أما المسرحية فمن تأليف قسطنطين جافريلوفتش. إنهما يعشقان بعضهما البعض، وستتحد روحاهما اليوم سعيا إلى تقديم نفس الصورة الفنية. أما روحى وروحك فليس لديهما نقط تماس. أنا أحبك، ولا أستطيع من الشوق أن أبقى فى البيت، أقطع كل يوم ستة كيلومترات إلى هنا وستة فى العودة، فلا ألقى منك سوى اللامبالاة. هذا مفهوم. أنا بلا موارد، وأسرتى كبيرة.. فمن ذا يرغب فى الزواج من شخص، لا يجد هو نفسه ما يأكله؟

مــــاشـــــا: كلام فارغ. **(تستنشق التبغ)** أنا أشعر بالتأثر من حبك، ولكنى لا أستطيع أن أبادلك الحب، وهذا كل ما هنالك. **(تمد له علبة التبغ)** تفضل.

مـدفيـدينكـو : لا أريد.

(صمت)

مــــاشـــــا: الجو خانق. يبدو أن العاصفة ستهب ليلا. أنت دائما تتفلسف أو تتحدث عن النقود. وفى رأيك لا توجد

مصيبة أكبر من الفقر، ولكنى أرى أنه من الأسهل ألف مرة أن تسير فى الأسمال وتشحذ من أن.. وعموما فلن تفهم هذا..

(من اليمين يدخل سورين وتريبليف)

سورين: (**معتمدا على عصا**) أنا يا أخى لا أشعر بالارتياح فى الريف، ومفهوم طبعا أننى لن أتعود هنا أبدا. بالأمس رقدت فى العاشرة، واستيقظت صبح اليوم فى التاسعة بإحساس وكأن مخى، بسبب النوم الطويل، قد التصق بجمجمتى وخلافه. (**يضحك**) وبعد الغداء نمت ثانية دون قصد، والآن أحس بأنى كلى محطم، وأشعر بكابوس، وفى نهاية الأمر..

تريبليف: صحيح، ينبغى لك أن تعيش فى المدينة (**يرى ماشا ومدفيدينكو**) ياسادة، عندما بدأ العرض سيدعونكما، أما الآن فممنوع الجلوس هنا. انصرفا من فضلكما.

سورين: (**لماشا**): ماريا إيلينتشنا، اصنعى معروفا واطلبى من والدك أن يأمر بإطلاق سراح الكلب لأنه يعوى. أختى لم تنم مرة أخرى طوال الليل.

ماشا: تحدث مع أبى بنفسك، أنا لن أفعل. اعفنى أرجوك. (**لمدفيدينكو**) هيا بنا!

مدفيدينكو: (**لتريبليف**) أرسل من يدعونا قبيل البداية.

(**ينصرفان**)

سورين: وإذن سيعوى الكلب طول الليل مرة أخرى. يا لها من حكاية. لم أعش فى الريف أبدا مثلما كنت أرجو. أحيانا كنت آخذ إجازة ٢٨ يومًا وآتى إلى هنا لأرتاح وخلافه، ولكنهم يرهقونك بشتى التفاهات حتى تشعر بالرغبة من الهرب من أول يوم. **(يضحك)** دائما كنت أرحل عن هنا بسرور.. أما الآن فأنا متقاعد، لا مهرب أمامى، فى نهاية الأمر. عليك أن تعيش شئت أم أبيت..

ياكوف: **(لتريبليف)** سنذهب للاستحمام يا قسطنطين جافريليتش.

تريبليف: حسنا، لكن بعد عشر دقائق تكونون فى أماكنكم. **(ينظر إلى الساعة)** سنبدأ قريبا.

ياكوف: حاضر **(ينصرف)**.

تريبليف **(يشمل خشبة المسرح بنظرة)** ها هو ذا المسرح. الستار، الكواليس الأولى، ثم الثانية، وبعدها مساحة خاوية. ليس هناك أية ديكورات. المنظر يتكشف مباشرة على البحيرة والأفق. سنرفع الستار فى الثامنة والنصف تماما، عندما يطلع القمر.

سورين: رائع.

تريبليف: إذا تأخرت زاريتشنايا فسيضيع طبعا كل تأثير. حان وقت مجيئها. أبوها وزوجته يحرسانها، حتى إن الإفلات من البيت فى صعوبة الإفلات من السجن

(يصلح رابطة عنق خاله). لحيتك وشعرك مشعثان. أعتقد عليك أن تحلق..

سورين: (يمشط لحيته) مأساة عمري. حتى فى شبابى كانت سحنتى تبدو وكأننى أغرقت فى الشراب وخلافه. النساء لم يحببننى أبدا. (يجلس) لماذا تبدو أختى معتلة المزاج؟

تريبليف: لماذا؟ تضجر. (يجلس بجواره) تغير. إنها تقف الآن ضدى، وضد العرض، وضد مسرحيتى لأن زاريتشنايا قد تروق لصاحبها الكاتب. إنها لا تعرف مسرحيتى ولكنها أصبحت تمقتها.

سورين: (يضحك) كم تختلق..

تريبليف: إنها تشعر بالأسى لأنه على هذه الخشبة الصغيرة ستحظى بالنجاح زاريتشنايا لا هى. (ينظر إلى الساعة) يالها من مفارقة سيكولوجية أمى هذه. إنها بلا شك موهوبة، ذكية، قادرة على البكاء إذ تقرأ كتابا، وتسمعك نيكراسوف[1] كله عن ظهر قلب، وترعى المرضى كملاك. ولكن فلتحاول أن تمدح أمامها دوزيه[2]! أو ـ هو ـ ه! ينبغى أن تمدحها هى فقط، ينبغى أن تكتب

---

(١) نيكولاى نيكراسوف (١٨٢١ ـ ١٨٨٧) شاعر روسى من الديمقراطيين الثوريين. المعرب.

(٢) أليانورا دوزيه (١٨٥٨ ـ ١٩٢٤) ممثلة إيطالية شهيرة، أحيث حفلات فى روسيا فى تسعينيات القرن التاسع عشر. المعرب.

عنها وحدها، وأن تصرخ وتعجب بأدائها الخارق فى "La dame aux camélias" أو «دخان الحياة»[1]، ولكن بما أن هذا المخدر ليس موجودا هنا، فى القرية، فهى تضجر وتغضب، وكلنا أعداؤها، كلنا مذنبون. وفوق ذلك فهى متطيرة، تخاف الشموع الثلاث، ورقم ثلاثة عشرة. إنها بخيلة. لديها فى البنك فى أوديسا سبعون ألف روبل. أعرف ذلك عن يقين. ولو سألتها سلفة لبكت.

سورين: لقد تصورت أن مسرحيتك لا تعجب أمك وها أنت ذا تضطرب وخلافه. اطمئن، أمك تعبدك..

تريبليف: (**يقطع أوراق زهرة**) تحبنى، لا تحبنى، تحبنى، لا تحبنى. تحبنى، لا تحبنى. (**يضحك**) انظر، أمى لا تحبنى، وكيف لا! إنها تريد أن تعيش، وتحب، وترتدى البلوزات الزاهية، ولكن أنا فى الخامسة والعشرين، وأذكرها دائما بأنها لم تعد صبية. عندما لا أكون موجودًا فهى فى الثانية والثلاثين فقط، أما فى حضورى فهى فى الثالثة والأربعين. ولهذا فهى تمقتنى. وهى تعلم أيضا أننى لا أعترف بالمسرح. إنها تحب المسرح. ويخيل إليها أنها تخدم البشرية والفن المقدس، أما أنا فأعتبر المسرح المعاصر

---

(١) «غادة الكاميليا» ـ مسرحية ألكسندر دوماس الابن المأخوذة عن رواية بنفس العنوان، و«دخان الحياة» مسرحية للكاتب الروسى ماركيفتش (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤)، وكان كاتبا رجعيا هاجم فى رواياته الآراء التحررية والديمقراطية. المعرب.

روتينا، خزعبلات. عندما يرتفع الستار، وفى ضوء المغيب، فى غرفة بثلاثة جدران، يقوم هؤلاء الموهوبون العظام، كهنة الفن المقدس، بتصوير كيف يأكل الناس ويشربون ويحبون ويسيرون ويرتدون ستراتهم.. عندما يحاولون أن يستخرجوا من العبارات والصور المبتذلة عبرة، عندما يقدمون لى بألف تنويع نفس الشىء، نفس الشىء، نفس الشىء.. عندئذ اركض واركض هربا، كما هرب موباسان من برج إيفل الذى كان يضغط بابتذاله على عقله.

سورين: بدون المسرح لا يمكن.

تريبليف: مطلوب أشكال جديدة. أشكال جديدة مطلوبة، فإذا لم تكن موجودة فالأفضل لا شىء. (**ينظر إلى الساعة**) أنا أحب أمى، أحبها جدا. ولكنها تعيش حياة مشوشة، وتعاشر هذا الكاتب بشكل سافر، والصحف تلوك سيرتها دائما.. وهذا يرهقنى. وأحيانا تفصح عن نفسها. فىّ مجرد أنانية الإنسان العادى. أشعر بالأسف لأن أمى ممثلة مشهورة، ويخيل إلىّ أنها لو كانت امرأة عادية، لكنت أسعد. قل لى يا خالى، هل هناك وضع أسوأ وأحمق من التالى: إذ يحدث أن يجتمع فى ضيافتها المشاهير فقط، الفنانون والأدباء، وأنا وحدى التافه بينهم، ويتحملوننى فقط لأنى ابنها. فمن أنا؟ وماذا أنا؟ تركت الجامعة فى الصف الثالث لأسباب خارجة

عن إرادة هيئة التحرير كما يقال، بدون أية مواهب، ولا خردة، أما حسب الهوية فبرجوازى صغير من كييف. فأبى أيضا برجوازى صغير من كييف، رغم أنه كان ممثلا مشهورا. وهكذا فعندما كان كل هؤلاء الفنانين والكتاب فى صالونها يوجهون إلىّ انتباههم الرحيم، كان يخيل إلىّ أنهم يقيسون بنظراتهم تفاهتى.. كنت أخمن أفكارهم فأعانى من المهانة..

سورين: بالمناسبة، قل لى من فضلك. أىّ إنسان كاتبها هذا؟ أنا لا أفهمه. صامت دائما.

تريبليف: إنه شخص ذكى، بسيط، سوداوى إلى حد ما. رجل قويم جدا. لن يبلغ الأربعين قريبا ولكنه مشهور بالفعل وشبعان.. شبعان حتى الحلق..وهو الآن لا يشرب إلا البيرة ويستطيع أن يحب الكهلات فقط. أما بخصوص كتاباته فـ..ماذا أقول لك؟ لطيفة، موهوبة.. ولكن..بعد تولستوى وزولا لا تشعر بالرغبة فى قراءة تريجورين.

سورين: أما أنا يا أخى فأحب الأدباء. فى وقت ما كنت أرغب بشغف فى شيئين: أن أتزوج، وأن أصبح أديبا، ولكنى لم أوفق لا إلى هذا ولا إلى ذاك. نعم. لطيف أن تكون ولو أديبا صغيرا فى نهاية الأمر.

تريبليف: (**يصغى**) أسمع خطوات.. (**يعانق خاله**) أنا لا أستطيع أن أعيش بدونها..حتى وقع خطواتها رائع..أنا سعيد

بجنون. **(يسرع لملاقاة نينا زاريتشنايا وهى تدخل)** ياساحرتى، يا حلمى..

نـيـنـا: **(باضطراب)** لم أتأخر..طبعا، لم أتأخر..

تـريـبـليـف: **(يقبل يديها)** كلا، كلا، كلا..

نـيـنـا: كنت قلقة طوال النهار، كم شعرت بالفزع! كنت أخشى ألا يتركنى أبى أذهب.. لكنه رحل الآن مع زوجته. السماء حمراء، وقد بدأ القمر يطلع فألهبت الحصان، **(تضحك)** ولكنى سعيدة **(تشد بقوة على يد سورين)**.

سـوريـن: **(يضحك)** عيناك تبدوان باكيتين..هئ - هئ.. لايصح!

نـيـنـا: لا، لا شيء..أترى كيف أتنفس بصعوبة بعد نصف ساعة سأرحل، ينبغى الإسراع. لا يمكن، لا يمكن، أرجوك لا تؤخرنى. أبى لا يعلم أننى هنا.

تـريـبـليـف: حقًا، حان أن نبدأ. ينبغى الذهاب لدعوة الجميع.

سـوريـن: أنا سأذهب وخلافه. حالا. **(يمضى يمينا وهو يغنى)** «وصل إلى فرنسا جنديان فارسان..» **(يتلفت)** ذات مرة غنيت هكذا. فقال لى أحد وكلاء النيابة: «صوتكم يا صاحب المعالى قوى»..ثم فكر قليلا وأضاف: «ولكنه..كريه» **(يضحك وينصرف)**.

نـيـنـا: أبى وزوجته لا يسمحان لى بالمجىء. يقولان إن المكان هنا بوهيمى..يخشيان أن أصبح ممثلة..ولكنى

أنجذب إلى هنا، إلى البحيرة، كالنورس.. قلبى ملىء بك (تتلفت).

تريبليف: نحن وحدنا.

نينا: يبدو أن أحدا هناك..

تريبليف: لا أحد.

(قبلة)

نينا: أية شجرة هذه؟

تريبليف: دردار.

نينا: ولماذا هى مظلمة هكذا؟

تريبليف: المساء حل ولذلك تظلم كل الأشياء. لا ترحلى مبكرا، أتوسل إليك.

نينا: لا يمكن.

تريبليف: وماذا لو ذهبت إليك يا نينا؟ سأقف طوال الليل فى البستان وأتطلع إلى نافذتك.

نينا: لا يمكن، سيراك الحارس. تريزور لم يألفك بعد وسوف ينبح.

تريبليف: أنا أحبك.

نينا: هس..

تريبليف: (وقد سمع خطوات) من هناك؟ ياكوف

ياكوف: (من وراء الخشبة) نعم، بالضبط.

تريبليف: اشغلوا أماكنكم. حان الوقت. القمر يصعد؟

ياكوف: نعم، بالضبط

تريبليف: الكحول موجود؟ والكبريت موجود؟ عندما تظهر العينان الحمراوان ينبغى أن تفوح رائحة الكبريت (لنينا) هيا، كل شىء جاهز هناك. أنت مضطربة؟..

نينا: نعم. جدا. والدتك لا بأس بها، لا أخشاها، ولكن عندكم تريجورين.. أشعر بالرعب والخجل من اللعب فى حضوره..كاتب مشهور..هل هو شاب؟

تريبليف: نعم.

نينا: ما أروع قصصه!

تريبليف: (ببرود) لا أعرف، لم أقرأها.

نينا: من الصعب التمثيل فى مسرحيتك. ليس فيها شخصيات حية.

تريبليف: شخصيات حية! ينبغى تصوير الحياة لا كما هى عليه، ولا كما يجب أن تكون، بل كما تتبدى فى الأحلام.

نينا: الحركة قليلة فى مسرحيتك، مجردة قراءة فى رأيى أن المسرحية لا بد أن يكون فيها حب أيضا..

(يمضيان إلى خلف الخشبة، تدخل بولينا أندرييفنا ودورن)

بولينا أندرييفنا: أصبح الجو رطبا. عد والبس خفا.

دورن: أنا حرّان.

بولينا أندرييفنا: أنت لا تحافظ على صحتك. هذا عناد. أنت دكتور وتعرف جيدا أن الهواء الرطب ضار لك، ولكنك تريد

أن أعانى. لقد جلست بالأمس المساء كله فى الشرفة عن عمد..

دورن: (**يدندن**) «لا تقولى ضيَّع العمرَ الشباب».

بولينا أندرييفنا: كنتَ منهمكا بشدة فى الحديث مع إيرينا نيكولايفنا.. ولم تلاحظ البرد. اعترف!، إنها تعجبك..

دورن: أنا عندى ٥٥ سنة.

بولينا أندرييفنا: بسيطة. بالنسبة للرجل فهى ليست شيخوخة. أنت حافظت على نفسك جيدا وما زلت تعجب النساء.

دورن: وإذن فماذا تريدين؟

بولينا أندرييفنا: كلكم مستعدون للانبطاح أمام الممثلة. كلكم!

دورن: (**يدندن**) «أنا من جديد أمامك..». إذا كان الناس يحبون الفنانين وينظرون إليهم بشكل مختلف عن نظرتهم إلى التجار مثلا، فهذا من طبيعة الأشياء. هذه مثالية.

بولينا أندرييفنا: النساء كن يقعن فى حبك دائما ويتعلقن برقبتك. هل هذه أيضا مثالية؟

دورن: (**يهز كتفيه**) حسنا، فى علاقة النساء بى كان الكثير من الأشياء الطيبة. كن يحببن فىّ، بالدرجة الأولى، طبيبا ممتازا. فمنذ ١٠ـ ١٥ سنة، وكما تذكرين، كنت طبيب الولادة المحترم الوحيد فى المحافظة كلها. ثم إننى كنت دائما رجلا شريفًا.

بولينا أندرييفنا: (**تقبض على ذراعه**) يا عزيزى!

دورن: مهلا. إنهم قادمون.

(تدخل أركادينا متأبطة ذراع سورين ومعهما تريجورين وشمرايف ومدفيدينكو وماشا)

شمرايف: فى سنة ١٨٧٣ فى بولتافا لعبت فى السوق بإعجاز، كانت ساحرة! لعبت بروعة! ألا تتكرمين أيضا بمعرفة أين يوجد الآن الممثل الكوميدى تشادين بافل سيميونتش؟ كان فى دور راسبلويف لا مثيل له، أفضل من سادوفسكى أقسم لك يا سيدتى الموقرة. أين هو الآن؟

أركادينا: مازلت تسألنى عن أشخاص غابرين. من أين لى أن أعرف؟ **(تجلس)**

شمرايف: **(وقد تنهد)** باشكا تشادين! أمثاله لا وجود لهم الآن. لقد سقط المسرح يا إيرينا نيكولايفنا! فى الماضى كانت أشجار بلوط جبارة، أما الآن فلا نرى إلا بقايا الجذوع.

دورن: المواهب الساطعة قليلة الآن، هذا صحيح، لكن الممثل المتوسط أصبح أرقى بكثير.

شمرايف: لا يمكننى أن أوافقك. وعموما فهى قضية ذوق. De gustibus aut bene, aut nihil [١]

(يخرج تريبليف من خلف الخشبة)

---

(١) الأذواق إما تذكر بالخير وإما لا تذكر اطلاقا (باللاتينية فى النص الأصلى).

أركــاديــنــا: (**لابنها**) يا ولدى العزيز، متى تبدأون إذن؟

تـريـبـلـيـف: بعد دقيقة. أرجو الصبر.

أركــاديــنــا: (**تقرأ من «هملت»**) «يابنى، لقد حوّلت بصرى إلى داخل نفسى، فرأيتها فى قروح دامية مميتة.. فلا خلاص!»

تـريـبـلـيـف: (**من «هملت»**) «فلمَ انسقت إلى الرذيلة، وعن الحب بحثتِ فى أغوار الآثام؟»

(**يدوى نفير خلف الخشبة**)

يا سادة، البداية! أرجو الانتباه!

(**صمت**)

سأبدأ. (**يدق بعصا. ويقول بصوت عال**) أنت، أيتها الظلال القديمة الموقرة، التى تهوم تحت جنح الليل فوق هذه البحيرة،نوِّمينا، ولنر فى الحلم ما الذى سيكون بعد مائتى ألف عام!

ســوريــن: بعد مائتى ألف عام لن يكون شىء.

تـريـبـلـيـف: حسنا، فليصوروا لنا إذن هذا اللاشىء.

أركــاديــنــا: ليكن. نحن نائمون.

(**يرتفع الستار. يظهر منظر البحيرة، القمر فوق الأفق وانعكاسه فى المياه. على صخرة كبيرة تجلس نينا زاريتشنايا متشحة بالبياض**).

نــيــنــا: الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء، التى

عاشت فى المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التى لم يكن ممكنا رؤيتها بالعين.. باختصار كل الأحياء، كل الأحياء انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرا لحى، وعبثا يضيىء هذا القمر المسكين مصباحه. فى المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفى غيضات الزيزفون لم يعد يسمع أزير خنافس الربيع. برد، برد، برد، خواء، خواء، خواء، رعب، رعب، رعب.

(صمت)

تبددت أجساد الأحياء ترابا، وحولتها المادة الخالدة إلى صخور، ومياه، وسحب، واتحدت أرواحها كلها فى روح واحدة. روح عالمية عامة هى أنا.. أنا.. فىّ روح الإسكندر الأكبر، وقيصر، وشكسبير، ونابليون، وآخر علقة.أتحد فىّ وعى الناس بغرائز الحيوانات، وأنا أذكر كل شىء، كل شىء، كل شىء، وكل حياة أعايشها فى نفسى من جديد.

(تلوح أضواء المستنقع)

أركاديـنـا: **(بصوت خافت)** هذا من عصر الانحطاط.

تريبليف: **(بضراعة ولوم)** ماما!

نينا: أنا وحيدة. مرة كل مائة عام أحرك شفتى لكى أتحدث، فيرن صوتى فى هذا الخواء كئيبا، ولا يسمعنى أحد..

وأنت أيتها الأضواء الشاحبة لا تسمعيننى... قرب الصباح يلدك المستنقع العفن فتهومين حتى الفجر، لكن بلا أفكار، بلا إرادة، بلا رعشة الحياة. وخشية أن تبعث فيك الحياة، يجرى فيك الشيطان، أبو المادة الخالدة، كل لحظة، كما فى الصخور والمياه، تبادل الذرات، فتتغيرين بلا توقف. لا يبقى ثابتا لا يتغير فى الكون سوى الروح.

(صمت)

وكالأسير الملقى فى بئر خاوية عميقة لا أدرى أين أنا ولا ماذا ينتظرنى. لا يبين لى إلا شىء واحد، وهو أنه فى الصراع الضارى القاسى مع الشيطان، مع أصل القوى المادية، قد كتب لى النصر، وبعد ذلك ستتحد المادة والروح فى هارمونى رائع ويحل ملكوت الإرادة العالمية. ولكن ذلك لن يتحقق إلا بعد أن يكون القمر، والشعرى المضيئة، والأرض، شيئا فشيئا، خلال صف طويل طويل من آلاف السنين، قد تحولت إلى غبار.. وإلى أن يحين ذلك فلا شىء إلا الرعب، الرعب..

(صمت. على خلفية البحيرة تظهر نقطتان حمراوان).

ها هو غريمى الجبار، الشيطان، يقترب. إننى أرى عينيه الرهيبتين الدمويتين..

أركادينا: رائحة كبريت. هذا مطلوب؟

تريبليف: نعم.

أركـــاديـــنـــا: (**تضحك**) نعم، هذا مؤثر.

تـريـبـلـيـف: ماما!

نـــيـــنـــا: إنه يضجر بدون الإنسان..

بولينا أندرييفنا: (**لدورن**) لقد نزعت قبعتك. البسها وإلا بردت.

أركـــاديـــنـــا: لقد نزع الدكتور قبعته أمام الشيطان، أبى المادة الخالدة.

تـريـبـلـيـف: (**منفجرا، بصوت عال**) انتهت المسرحية! كفى! ستار!

أركـــاديـــنـــا: لماذا تغضب؟

تـريـبـلـيـف: كفى! ستار! أنزل الستار! (**يدق بقدمه**) ستار!

(**يهبط الستار**)

آسف! لقد نسيت أن كتابة المسرحيات واللعب على المسرح لا يستطيعه إلا قليل من المختارين. لقد تطاولت على الاحتكار! إننى.. أنا... (**يود أن يقول شيئا آخر ولكنه يشيح بيده وينصرف يسارا**)

أركـــاديـــنـــا: ماذا به؟

ســـوريـــن: إيرينا، لا يصح يا عزيزتى معاملة غرور الشباب بهذه الطريقة.

أركـــاديـــنـــا: وماذا قلت له؟

ســـوريـــن: أنت أهنته.

أركـــاديـــنـــا: هو نفسه الذى نبهنا إلى أنها مزحة، فنظرت إلى مسرحيته على أنها مزحة.

سورين: ومع ذلك..

أركادينا: والآن يتضح أنه كتب عملا عظيما! هكذا! وإذن فقد أقام هذا العرض وأطلق رائحة الكبريت لا من أجل المزاح بل للاستعراض.. أراد أن يعلمنا كيف ينبغى أن نكتب وما الذى علينا أن نلعبه. ولكن هذا فى النهاية يثير الملل. هذه التطاولات الدائمة علىّ والوخزات، اسمح لى، إنها تضجر أى إنسان! صبى نزق، مغرور.

سورين: لقد أراد أن يرضيك.

أركادينا: حقا؟ ولكنه لم يختر أية مسرحية عادية، بل أجبرنا على سماع هذا الهذيان الرمزى. من أجل المزاح أنا مستعدة لأن أسمع حتى الهذيان، ولكن هنا ادعاءات بفتح عصر جديد فى الفن. بيد أنى لا أرى أية أشكال جديدة هنا، بل مجرد طبع سيئ.

تريجورين: كل إنسان يكتب كما يريد وكما يستطيع.

أركادينا: فليكتب كما يريد وكما يستطيع، ولكن فليدعنى وشأنى.

دورن: جوبيتر، أنت تغضب..[1]

أركادينا: أنا لست جوبيتر، بل امرأة (تشعل سيجارة) أنا لا أغضب، فقط أشعر بالأسى لهذا الشاب الذى يقضى وقته بهذا الملل. أنا لم أقصد إهانته.

---

(١) بداية عبارة شائعة: «جوبيتر أنت تغضب إذن لست على حق». المعرب.

مدفيدينكو: لا أحد يملك أساسا لفصل الروح عن المادة، ذلك لأن الروح ربما هى فى حد ذاتها محصلة الذرات المادية. (**لتريجورين بحيوية**) أتدرى، لو أن أحدا وصف فى مسرحية ثم لعب على الخشبة كيف يعيش صاحبنا المدرس. صعبة حياته، ما أصعبها!

أركادينا: هذا حق، ولكن دعونا من الحديث لا عن المسرحيات ولا عن الذرات.ما أروعه من مساء! أتسمعون يا سادة، غناء؟ (**تصيخ السمع**) ما أحلاه!

بولينا أندرييفنا: هذا فى الشاطئ الآخر.

(**صمت**)

أركادينا: (**لتريجورين**) اجلس بجوارى. منذ ١٠ـ١٥ سنة كانت الموسيقى والغناء يسمعان هنا، على البحيرة، كل ليلة تقريبا، بلا انقطاع. هنا على الشاطئ ست دور إقطاعية، أذكر الضحك. والصخب، وإطلاق النار، ومغامرات الحب اللانهائية..كان Jeune premier ومعبود هذه الدور الست كلها آنذاك هذا، أقدمه لكم (**تومئ إلى دورن**) الدكتور يفجينى سرجييفتش. حتى الآن مازال جذابا، ولكنه كان آنذاك صاعقا. لكن ضميرى بدأ يعذبنى. لماذا أهنت ولدى المسكين؟ أنا قلقة. (**بصوت عال**) يا كوستيا! يا بنى! كوستيا!

ماشا: سأذهب لأبحث عنه.

أركادينا: لو سمحت يا عزيزتى:

مـــــاشـــــا: (**تنصرف يسارا**) آو! يا قسطنطين جافريلوفتش!.. آو.. (**تنصرف**).

نـــيـــنـــا: (**تخرج من وراء الخشبة**) يبدو أن المسرحية لن تستكمل، وبوسعى أن أخرج. مرحبا! (**تتبادل القبلات مع أركادينا وبولينا أندرييفنا**).

ســـوريـــن: برافو، برافو!

أركـــاديـــنـــا: برافو، برافو! كنا نتملاك! بهذه الملامح، وبهذا الصوت الساحر حرام أن تبقى فى القرية. لديك موهبة أكيد. أتسمعين؟ من واجبك أن تلتحقى بالمسرح!

نـــيـــنـــا: أوه، هذا حلمى! (**تتنهد**) ولكنه لن يتحقق أبدا.

أركـــاديـــنـــا: من يدرى؟ اسمحى لى أن أقدم لك: تريجورين، بوريس أليكسييفتش.

نـــيـــنـــا: آه، كم أنا مسرورة.. (**بارتباك**) أنا أقرأ لكم دائما..

أركـــاديـــنـــا: (**تجلسها قربها**) لا تخجلى يا عزيزتى. إنه مشهور ولكن روحه بسيطة. انظرى ها هو نفسه قد ارتبك.

دورن: أظن أنه من الممكن الآن رفع الستار، وإلا فالجو مخيف.

شـــمـــرايـــف: (**بصوت عال**) ياكوف، ارفع الستار يا أخى!

(**يرتفع الستار**)

نـــيـــنـــا: (**لتريجورين**) أليست مسرحية غريبة حقا؟

تـــريجـــوريـــن: أنا لم أفهم شيئا. وعموما فقد تفرجت باستمتاع. أنت تلعبين بإخلاص. والديكور كان رائعا.

(صمت)

لا بد أن هناك سمكا كثيرا فى هذه البحيرة.

نـــيــــنـــــا: نعم.

تــريجــوريــن: أنا أحب صيد السمك. ليس هناك بالنسبة لى متعة أكبر من الجلوس قبيل الغروب على الشاطئ والنظر إلى العوامة.

نـــيــــنـــــا: ولكنى أظن أن من ذاق متعة الإبداع لن يلاحظ وجود أية متع أخرى.

أركـــاديـــنـــا: (**ضاحكة**) لا تتحدثى هكذا. عندما تقال له كلمات طيبة فإنه يفشل.

شـــمــرايــف: أذكر فى مسرح الأوبرا بموسكو ذات مرة غنى سيلفا المشهور نغمة «دو» منخفضة. وفى ذلك المساء، وكأنما عن عمد، كان يجلس فى أعلى المسرح أحد منشدى المجمع الكنسى من طبقة «الباص» وفجأة، وتصوروا مدى ذهولنا البالغ، سمعنا من أعلى المسرح: برافو يا سيلفا!» أخفض بأوكتاف كامل..هكذا (**بباص منخفض**): برافو يا سيلفا.. المسرح كل ذهل.

(صمت)

دورن: حلَّق ملاك وئام.

نـــيــــنـــــا: آن أن أذهب. وداعا.

أركـــاديـــنـــا: إلى أين؟ إلى أين مبكرا هكذا؟ لن نتركك.

نـــيــــنـــــا: بابا فى انتظارى.

أركـــاديـــنـــا: يا له من.. حقا.. **(تتبادلان القبل)** حسنا، ما العمل. من المؤسف أن نتركك، يا للأسف.

نـــيـــنـــا: آه لو تعلمين كم يشق عليّ أن أرحل!

أركـــاديـــنـــا: فليوصلك أحد ما يا صغيرتى.

نـــيـــنـــا: **(بذعر)** أوه، كلا، كلا!

ســـوريـــن: **(لها، بضراعة)** ابقى!

نـــيـــنـــا: لا أستطيع يا بيوتر نيكولايفتش.

ســـوريـــن: ابقى لساعة واحدة وكفى. حقا ما هذا..

نـــيـــنـــا: **(بعد تفكير، من خلال الدموع)** لا يمكن! **(تشد على يده وتنصرف بسرعة)**.

أركـــاديـــنـــا: فتاة تعيسة فى الحقيقة. يقال إن المرحومة أمها أوصت لزوجها بكل ثروتها الضخمة، حتى آخر كوبيك، وأصبحت هذه الفتاة الآن بلا مال، لأن أباها أوصى بكل شىء لزوجته الثانية. شىء مخنق!

دورن: نعم، أبوها حيوان حقيقى، يجب أن نشهد له بذلك.

ســـوريـــن: **(يفرك راحتيه الباردتين)** هيا بنا ننصرف نحن أيضا يا سادة، فالجو أصبح رطبا. ساقاى تؤلمانى.

أركـــاديـــنـــا: كأنهما من خشب، لا تكادان تتحركان. حسنا، هيا بنا أيها العجوز المنحوس **(تتأبط ذراعه)**.

شـــمـــرايـــف: **(يمد ذراعه لزوجته)** مدام؟

ســـوريـــن: أسمع عواء الكلب ثانية **(لشمرايف)** اصنع معروفا يا إيليا أفناسيفتش، مُرْ بإطلاق سراحه.

شمرايف: لا يمكن يا بيوتر نيكولايفتش، أخشى أن يسطو اللصوص على مخزن الحبوب. لدىّ هناك ذرة عويجة (لمدفيدينكو السائر بجواره) نعم، أخفض بأوكتاف كامل: «برافو يا سيلفا!» رغم أنه ليس مغنيا، بل منشد عادى فى المجمع.

مدفيدينكو: وكم يبلغ راتب منشد المجمع؟

(يخرج الجميع ما عدا دورن)

دورن: **(وحده)** لا أدرى، ربما أنا لا أفقه شيئا، أو أننى جننت، ولكن المسرحية أعجبتنى. فيها ثمة شىء ما. عندما تحدثت هذه الفتاة عن الوحدة، ثم عندما ظهرت عينا الشيطان الحمراوان، ارتعشت يداى من الانفعال. إنها طازجة، ساذجة.. ها هو قادم فيما يبدو. أود أن أقول له الكثير من الكلمات السارة.

تريبليف: **(يدخل)** لم يعد هناك أحد.

دورن: أنا هنا.

تريبليف: ماشنكا تبحث عنى فى الحديقة كلها. يا لها من مخلوق مضجر.

دورن: قسطنطين جافريلوفتش، لقد أعجبتنى مسرحيتك للغاية. إنها غريبة نوعا ما، ولم أسمع نهايتها، ومع ذلك تترك انطباعا قويا. أنت شخص موهوب، عليك أن تواصل.

(يشد تريبليف على يده بقوة ويعانقه باندفاع).

أف، يا له من عصبى. دمعت عيناه... أتدرى ماذا أريد أن أقول؟ أنت طرقت موضوعا فى مجال الأفكار المجردة. وهذا هو المفروض، لأن العمل الأدبى ينبغى حتما أن يعبر عن فكرة كبيرة. الجاد وحده هو الرائع. كم أنت شاحب!

تريبليف: إذن تقول أن أواصل؟

دورن: نعم.. ولكن اكتب فقط عن الهام والخالد. أتدرى، لقد عشتُ حياة متنوعة شيقة، وأنا راض عنها، ولكن لو أنى شعرت السمو الروحى الذى يتملك الفنانين أثناء الإبداع لاحتقرت فيما يبدو قشرتى المادية وكل ما هو مميز لهذه القشرة، ولانطلقت بعيدا عن الأرض محلقا إلى العلا.

تريبليف: عفواء أين زاريتشنايا؟

دورن: وثمة شىء آخر. ينبغى أن تكون للعمل فكرة واضحة محددة. عليك أن تعرف لأى غرض تكتب، وإلا فلو سرت فى هذا الدرب الجميل دون هدف محدد، فسوف تضل الطريق وتقضى عليك موهبتك.

تريبليف: (بنفاذ صبر) أين زاريتشنايا؟

دورن: رحلت إلى البيت.

تريبليف: (فى يأس) وماذا أفعل؟ أريد أن أراهـا... لا بد أن أراها.. سأرحل.

(تدخل ماشا)

دورن: (لتريبليف) اهدأ يا صديقى.

تريبليف: ومع ذلك سأرحل. علىّ أن أرحل.

ماشا: ادخل إلى البيت يا قسطنطين جافريلوفتش. والدتك تنتظرك. إنها منفعلة.

تريبليف: قولى لها إنى رحلت. وأرجوكم جميعا، دعونى وشأنى! دعونى وشأنى! دعونى! لا تسيروا ورائى!

دورن: طيب، طيب، طيب يا عزيزى.. لا يصح هذا.. عيب.

تريبليف: (من خلال الدموع) وداعا يا دكتور، أشكرك.. (ينصرف).

دورن: (متنهدا) الشباب! الشباب!

ماشا: عندما لا يجدون ما يقولونه يقولون: الشباب، الشباب.. (تستنشق التبغ).

دورن: (يأخذ منها علبة التبغ ويلقى بها فى الخمائل) هذا مقرف!

(صمت)

يبدو أنهم يلعبون فى المنزل. ينبغى أن نذهب.

ماشا: انتظر.

دورن: ماذا؟

ماشا: أريد أن أقول لك مرة أخرى. أريد أن أتحدث.. (بانفعال) أنا لا أحب أبى..ولكن قلبى يميل إليك.

لست أدرى لماذا أحس من كل قلبى أنك قريب إلىّ.. فلتساعدنى إذن. ساعدنى وإلا ارتكبت حماقة، وإلا سخرت من حياتى وأفسدتها.. لا أستطيع أن أطيق أكثر..

دورن: ماذا؟ بم أساعدك؟

مـــاشـــا: إننى أعانى: لا أحد، لا أحد يدرى بمعاناتى!

(تضع رأسها على صدره، تقول بصوت خافت) أنا أحب قسطنطين.

دورن: يا لكم جميعا من عصبيين!يالكم جميعًا من عصبيين! وكم من حب.. أوه، أيتها البحيرة المسحورة! **(برقة)** ماذا أستطيع أن أفعل يا صغيرتى؟ ماذا؟ ماذا؟

(ســـتار)

الفصل الثانى

(ميدان للكروكيت. فى العمق إلى اليمين منزل بشرفة كبيرة وإلى اليسار ترى بحيرة تلمع الشمس المنعكسة فيها. أحواض زهور. الوقت ظهرٌ. الجو حار. إلى جانب الميدان، تحت ظلال زيزفونة عجوز تجلس أركادينا ودورن وماشا على أريكة. على ركبتى دورن كتاب مفتوح).

أركـــاديـــنـــا: (**الماشا**) حسنا، فلننهض.

(تنهضان معا)

قفى بجوارى. أنت فى الثانية والعشرين، وأنا فى ضعف عمرك تقريبا. يفجينى سرجييفتش، من منا تبدو أصبى؟

دورن: أنت طبعا.

أركـــاديـــنـــا: أرأيت.. فلماذا؟ لأننى أعمل، أشعر، أنا دائما أتحرك، أما أنت فتجلسين دائما فى مكان واحد، ولا تعيشين.. كما أنى أسير على قاعدة: ألا أنظر إلى المستقبل. أنا لا أفكر أبدا لا فى الشيخوخة ولا فى الموت. المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين.

ماشا: أما أنا فأشعر وكأنى ولدت منذ زمن بعيد. أجرجر حياتى كذيل فستان بلا نهاية.. وكثيرا ما أشعر بعدم الرغبة فى الحياة. (**تجلس**) بالطبع كل هذا هراء. يبنغى أن أنتفض، أن ألقى عنى كل هذا.

دورن: (**يدندن بصوت خافت**) «خبريها يا زهيراتى..»[1]

أركادينا: ثم إنى دقيقة كإنجليزى. أنا يا عزيزتى أمسك نفسى، كما يقولون، كوتر مشدود، ودائما مهندمة ومصففة Comme il faut[2]. هل أسمح لنفسى بالخروج من البيت، ولو إلى هذه الحديقة، فى البلوزة فقط وغير مصففة؟ أبدا. لهذا حافظت على شبابى لأنى لم أكن يوما شعثاء ولم أهمل نفسى كما يفعل البعض.. (**تضع يديها فى خصرها وتذرع الميدان**) انظروا، مثل الكتكوتة مستعدة أن ألعب ولو فتاة فى الخامسة عشرة.

دورن: حسنا، ومع ذلك فسأواصل (**يتناول الكتاب**) لقد توقفنا عند الحانوتى والعرسات..

أركادينا: والعرسات. اقرأ (**تجلس**) كلا، هات، سأقرأ أنا. جاء دورى. (**تأخذ الكتاب وتبحث فيه بعينيها**) والعرسات.. ها هى.. (**تقرأ**) «ومن المفهوم أن تدليل أفراد المجتمع الراقى للكتاب وجذبهم إليهم هو خطر

---

(١) من أوبرا «فاوست» لجونو، دور زيجل. المعرب.

(٢) كما ينبغى (بالفرنسية فى الأصل).

عليهم مثلما هو خطر على الحانوتى تربية عرسات فى مخازنه. ومع ذلك فإنهم محبوبون. وهكذا، فعندما تختار المرأة الكاتب الذى تود أن تأسره فإنها تحاصره بواسطة المجاملات والملاطفات والتودد..» حسنا، ربما كان هذا لدى الفرنسيين، أما عندنا فليس هناك أى شىء مثل هذا، ليس هناك أية برامج. المرأة عندنا كالعادة قبل أن تأسرالكاتب تكون قد غرقت فى حبه إلى أذنيها، صدقونى. ولماذا نذهب بعيدا، خذوا مثلا ولو أنا وتريجورين..

(يسير سورين معتمدا على عصاه، وبجواره نينا. مدفيدينكو يدفع خلفهما مقعدا خاليا)

سـورين: (بنبرة كالتى يلاطفون بها **الأطفال**) حقا؟ نحن مسرورون؟ نحن اليوم مرحون فى نهاية الأمر؟ **(لأخته)** نحن مسرورون. الأب وزوجته رحلا إلى تفير، ونحن أحرار لثلاثة أيام كاملة.

نـينـا: **(تجلس إلى جوار أركادينا وتعانقها)** أنا سعيدة! أنا الآن تحت تصرفك.

سـورين: **(يجلس فى مقعده)** إنها اليوم حلوة.

أركـادينـا: أنيقة، جذابة..شاطرة على ذلك. **(تقبل نينا)** ولكن لا ينبغى أن نمتدحك كثيرا، وإلا خسرناك. أين بوريس أليكسييفتش؟

نـــيـــنـــا: فى المسبح، يصطاد السمك.

أركـــاديـــنـــا: كيف لا يمل! **(تود مواصلة القراءة).**

دورن: ماذا تقرئين؟

أركـــاديـــنـــا: موباسان «فوق المياه» يا عزيزتى. **(تقرأ عدة أسطر فى سرها)** حسنا، المكتوب بعد ذلك ليس طريفا أو صحيحا. **(تغلق الكتاب)** أشعر فى نفسى بالقلق. خبرونى، ماذا يحدث لابنى؟ لماذا هو كئيب وعابس هكذا؟ إنه يقضى أياما بطولها عند البحيرة، ولا أراه تقريبا.

مـــاشـــا: هناك شىء يعذب روحه. **(لنينا بوجل)** أرجوك، اقرئى شيئا من مسرحيته!

نـــيـــنـــا: **(تهز كتفيها)** أحقا تريدين؟ إنها مملة جدا!

مـــاشـــا: **(تكبت إعجابها)** عندما يقرأ هو شيئا ما، تشتعل عيناه ويشحب وجهه. لديه صوت رائع، حزين. أما حركاته فمثل شاعر.

(يسمع شخير سورين)

دورن: ليلة سعيدة!

أركـــاديـــنـــا: بتروشا!

ســـوريـــن: هه؟

أركـــاديـــنـــا: أنت نائم؟

ســـوريـــن: أبدا.

(صمت)

أركاديـنا: أنت لا تتعالج، لا يصح يا أخى.

سورين: بودى لو أتعالج، ولكن الدكتور لا يريد.

دورن: تتعالج فى سن الستين!

سورين: حتى فى الستين يود الإنسان أن يعيش.

دورن: (**بأسى**) إيه! حسنا، تناول قطرات فاليريانة.

أركاديـنا: أظن أنه من المفيد له أن يرحل إلى المنابع المعدنية.

دورن: طيب. يمكنه أن يرحل. ويمكنه ألا يرحل.

أركاديـنا: فلتحاول أن تفهم.

دورن: ليس هناك ما يفهم. كل شىء واضح.

(صمت)

مدفيدينكو: من الواجب على بيوتر نيكولايفتش أن يقلع عن التدخين.

سورين: هراء.

دورن: كلا، ليس هراء. الخمر والتبغ يطمسان الشخصية. فبعد السيجار أو كأس الفودكا لا تعود أنت بيوتر نيكولايفتش، بل بيوتر نيكولايفتش زائد، أحد آخر. تتلاشى ذاتك الخاصة وعندها تنظر إلى نفسك نظرتك إلى شخص غائب.. هو.

سورين: (**يضحك**) بوسعك أن تتفلسف. لقد رأيتَ الكثير فى حياتك، أما أنا؟ لقد خدمت فى إدارة المحاكم

٢٨ سنة، ولكنى لم أعش بعد، لم أجرب شيئا، وفى نهاية الأمر، وهذا شيء مفهوم، فأنا أتوق إلى الحياة. أنت شبعان ولا مبال ولذلك تميل إلى الفلسفة، أما أنا فأريد أن أعيش، ولذلك أشرب أثناء الغداء نبيذ «الخيريس» وأدخن السيجار وخلافه. تلك هى المسألة.

دورن: ينبغى أن ننظر إلى الحياة بجدية، أما أن تتعالج فى سن الستين وتأسف على أنك لم تتمتع فى صباك بما يكفى، فهذا، وأرجو المعذرة، استهتار.

ماشا: **(تنهض)** أظن حان موعد الإفطار **(تسير بخطوة كسول متثاقلة)** ساقى نملت.. **(تنصرف)**.

دورن: ستذهب لتشرب كأسين قبل الإفطار.

سورين: المسكينة محرومة من السعادة الخاصة.

دورن: هراء يا صاحب المعالى.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان.

أركادينا: آه، ما الذى يمكن أن يكون أكثر مللا من هذا الملل الريفى اللطيف! الجو حار، هادئ، لا أحد يفعل شيئا، الكل يتفلسفون.. الجلوس بينكم طيب يا أصدقاء، وسماعكم لطيف ولكن.. الجلوس فى الفندق وحفظ الدور أفضل بكثير!

نينا: **(بإعجاب)** جميل! إننى أفهمك.

سورين: بالطبع فى المدينة أحسن. تجلس فى غرفة مكتبك،

والحاجب لا يسمح لأحد بالدخول دون إذنك، والتليفون.. وفى الشارع الحوذية وخلافه..

دورن: **(يدندن)** «خبريها يا زهيراتى..»

(يدخل شمرايف، وتتبعه بولينا أندرييفنا)

شمرايف: ها هم جماعتنا. طاب يومكم! **(يلثم يد أركادينا ثم يد نينا)** سعيد جدا برؤيتكم فى كامل صحتكم **(لأركادينا)** وزوجتى تقول إنك تنوين الرحيل معها اليوم إلى المدينة. صحيح؟

أركادينا: نعم. ننوى.

شمرايف: إم.. هذا رائع. ولكن كيف سترحلين يا سيدتى الموقرة؟ اليوم ينقلون الجودار وجميع العمال مشغولون. فعلى أية خيول إذن سترحلين لو سمحت بالسؤال؟

أركادينا: على أية خيول؟ ومن أين أعرف!

سورين: ولكن لدينا خيول عربات.

شمرايف: **(مضطربا)** خيول عربات؟ ومن أين آتى بالنيور؟ من أين أحصل عليها؟ شىء عجيب! شىء غير معقول! يا سيدتى الموقرة! عفوا، إننى أنحنى أمام موهبتك، ومستعد أن أعطى من أجلك عشر سنوات من عمرى ولكنى لا أستطيع أن أعطيك خيولا!

أركادينا: ولكن إذا كان علىّ أن أرحل؟ شىء غريب!

شمرايف: يا سيدتى الموقرة! أنت لا تعرفين ما معنى إدارة الممتلكات.

أركـــاديــــنـــا: (**منفجرة**) نفس الحكاية القديمة! فى هذه الحالة سأرحل إلى موسكو اليوم. مُر بتأجير خيول لى من القرية، وإلا ذهبت إلى المحطة على قدمى!

شــمــرايــف: (**منفجرا**) فى هذه الحالة أقدم استقالتى! ابحثى لنفسك عن خولى آخر! (**ينصرف**)

أركـــاديــــنـــا: كل صيف هكذا، كل صيف يهينوننى هنا! لن أضع قدمى هنا بعد اليوم!

(تمضى يسارا إلى حيث من المفترض أن يكون المسبح. ترى بعد دقيقة وهى تدخل المنزل وخلفها يسير تريجورين حاملا سنانير ودلوا).

ســـوريـــن: (**منفجرا**) هذه وقاحة! الشيطان يعلم ما هذا! لقد مللت هذا فى نهاية الأمر. هاتوا جميع الخيول هنا حالا!

نــيـــنـــا: (**لبولينا أندرييفنا**) أيرفض طلب إيرينا نيكولايفنا، الممثلة الشهيرة! أليست أية رغبة من رغباتها، ولتكن حتى نزوة، أهم من كل ممتلكاتكم؟ غير معقول!

بولينا أندرييفنا: (**فى يأس**) وماذا أستطيع؟ ضعى نفسك مكانى، ماذا بوسعى أن أفعل؟

ســـوريـــن: (**لنينا**) فلنذهب إلى أختى.. سنتوسل إليها كلنا ألا ترحل. أليس كذلك؟ (**ينظر إلى الجهة التى مضى نحوها شمرايف**) شخص لا يطاق! طاغية!

نــيـــنـــا: (**تمنعه من النهوض**) اجلس، اجلس.. سندفعك..

(**تدفع الكرسى المتحرك هى ومدفيدينكو**)

أوه، ما أفظع ذلك!..

سورين: نعم، نعم، هذا! فظيع..ولكنه لن يستقيل، سأتحدث الآن معه.

(يخرجون. يبقى فقط دورن وبولينا أندرييفنا).

دورن: الناس مملون. فى الحقيقة ينبغى طرد زوجك شر طردة، ولكن كل شىء سينتهى بأن يعتذر إليه بيوتر نيكولايفتيش، هذه المرأة العجوز، هو وشقيقته. سترين!

بولينا أندرييفنا: حتى خيول العربات بعث بها إلى الحقل. وهذه الملابسات تحدث كل يوم. آه لو تعلم كم يثيرنى ذلك! إننى أمرض، أترى ها أنذا أرتجف..لن أقوى على تحمل فظاظته (بصوت ضارع) يفجينى يا عزيزى، أيها الغالى، خذنى إليك.. عمرنا يولىّ، ولم تعد شبابا، دعنا على الأقل فى آخر العمر لا نتخفى، لا نكذب..

(صمت)

دورن: أنا الآن فى الخامسة والخمسين، فات الأوان لتغيير حياتى.

بولينا أندرييفنا: أنا أعرف أنك تصدنى لأن هناك نساء غيرى قريبات إليك. ولا يمكن أن تأخذهن جميعا إليك. أنا أفهم. عفوا أضجرتك.

(نينا تظهر قرب البيت. تقطف الزهور)

دورن: لا، لا بأس.

بولينا أندرييفنا: أنا أعانى من الغيرة. طبعا أنت طبيب، ولا تستطيع أن تتحاشى النساء. أنا أفهم..

دورن: (لنينا التى اقتربت) كيف الحال هناك؟

نينا: إيرينا نيكولايفنا تبكى، أما بيوتر نيكولايفتش فلديه أزمة ربو.

دورن: (ينهض) سأذهب لأعطيهما معا قطرات فاليريانة..

نينا: (تقدم له الزهور) تفضل!

دورن: Merci bien (يذهب إلى المنزل)

بولينا أندرييفنا: (تذهب معه) ما أرقها من أزهار! (قرب المنزل بصوت أصم) أعطنى هذه الأزهار! أعطنى هذه الأزهار! (تأخذها فتمزقها وتلقى بها جانبا)

(يدخلان المنزل معا)

نينا: (وحدها) ما أغرب أن ترى ممثلة مشهورة تبكى، ولسبب تافه كهذا! وأليس من الغريب أن هذا الكاتب المعروف، معشوق الجماهير، الذى تكتب عنه جميع الصحف، وتباع صوره، ويترجم إلى اللغات الأجنبية، يقضى النهار كله فى صيد السمك، بل ويفرح لأنه اصطاد سمكتين صغيرتين. كنت أظن أن المشاهير أعزاء، لا يمكن بلوغهم، وأنهم يحتقرون الجمهور، وكأنما بشهرتهم وبريق أسمائهم ينتقمون منه جزاء على أنه يضع عراقة النسب والثروة فوق كل شىء. ولكن ها هم يبكون، ويصيدون السمك، ويلعبون الورق، يضحكون ويغضبون كبقية الناس.

تريبليف: **(يدخل بدون قبعة، ببندقية ونورس مقتول)** أنت هنا وحدك؟

نينا: وحدى.

(تريبليف يضع النورس تحت قدميها)

ما معنى هذا؟

تريبليف: ارتكبت اليوم دناءة بقتل هذا النورس. ها أنذا أضعه تحت قدميك.

نينا: ماذا بك؟ **(ترفع النورس وتتفحصه)**

تريبليف: **(بعد فترة صمت)** قريبا أقتل نفسى بهذه الصورة.

نينا: أنا لا أكاد أعرفك.

تريبليف: نعم، بعد أن أصبحتُ لا أتعرف عليك. لقد تغيرت نحوى، ونظرتك باردة، وحضورى يثقل عليك.

نينا: لقد أصبحتَ عصبيا فى الأيام الأخيرة، تتحدث دائما بصورة غير مفهومة، برموز ما. وهذا النورس أيضا يبدو رمزا، ولكنى، عفوا، لا أفهم.. **(تضع النورس على الأريكة)** أنا أبسط من أن أفهمك.

تريبليف: بدأ هذا من ذلك المساء الذى فشلت فيه مسرحيتى بتلك الصورة الحمقاء. النساء لا يغفرن الفشل. لقد أحرقت كل شىء، كل شىء حتى آخر مزقة. آه لو تدرين كم أنا تعيس! برودك نحوى رهيب، غير معقول، كأنما استيقظت فإذا بى أرى هذه البحيرة قد جفت فجأة

أو غاض ماؤها. لقد قلت لتوك إنك أبسط من أن تفهمينى. أوه، ما الذى لا يمكن فهمه؟! المسرحية لم تعجبك، أنت تحتقرين إلهامى، أصبحت تعتبريننى عاديا، تافها، مثل كثيرين آخرين.. **(يدق بقدمه)** كم أفهم ذلك جيدا، كم أفهمه! كأنما فى دماغى مسمار، عليه اللعنة هو وغرورى الذى يمص دمى، يمصه كثعبان.. **(يرى تريجورين الذى يسير وهو يقرأ كتابا)** ها هى موهبة حقيقية تسير؛ يخطو كهاملت، وأيضا يحمل كتابا **(مغيظا)** «كلمات، كلمات، كلمات..» هذه الشمس لم تصل إليك بعد بينما رحت تبسمين، وذابت نظرتك فى أشعتها، لن أثقل عليكما **(ينصرف بسرعة)**.

تريجورين: **(يسجل فى المفكرة)** تتعاطى السعوط وتشرب الفودكا.. دائما فى ثوب أسود. المدرس يحبها.

نينا: مرحبا يا بوريس أليكسييفتش!

تريجورين: مرحبا. تغيرت الظروف فجأة بحيث يبدو أننا سنسافر اليوم. لا أظن أننا سنلتقى مرة أخرى. وهذا مؤسف. أنا لا يتسنى لى كثيرا أن أقابل فتيات شابات، شابات وممتعات، لقد نسيت ولا أستطيع أن أتصور بوضوح أحاسيس من فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ولذلك تبدو الفتيات الشابات فى رواياتى وقصصى عادة مزيفات. كم وددت لو أصبحت مكانك ولو

ساعة واحدة لكى أعرف كيف تفكرين، وعموما لأعرف أى شىء أنت.

نـــيـــنـــا: أما أنا فأود لو أصبح مكانك.

تـريجـوريـن: لماذا؟

نـــيـــنـــا: لكى أعرف إحساس الكاتب الموهوب المشهور. ما هو الإحساس بالشهرة؟ كيف تحس بشهرتك؟

تـريجـوريـن: كيف؟ يبدو أننى لا أحس بها. لم أفكر فى ذلك أبدا. **(بعد تفكير)** أحد أمرين: إما أنك تبالغين فى شهرتى، أو أنها عموما غير محسوسة.

نـــيـــنـــا: وإذا قرأت ما تكتبه الصحف عنك؟

تـريجـوريـن: عندما يمتدحوننى أشعر بالسرور، وعندما يذموننى أظل يومين بعدها معتل المزاج.

نـــيـــنـــا: عالم ساحر! آه لو تدرى كم أغبطك! حظوظ الناس مختلفة. البعض يتخبطون فى حياة مملة، غير ملحوظة، وكلهم متشابهون، كلهم تعساء. والبعض الآخر، أنت مثلا، أنت واحد فى المليون، أصبح من نصيبه حياة شيقة، مشرقة مفعمة بالمعنى.. أنت سعيد..

تـريجـوريـن: أنا؟ **(يهز كتفيه)** هم.. أنت تتحدثين عن الشهرة، عن السعادة، وعن حياة ما مشرقة، شيقة، أما بالنسبة لى فكل هذه الكلمات الطيبة، عفوا، ليست سوى حلوى المرملاد التى لا أتناولها أبدا. أنت شابة جدا وطيبة جدا.

نـــــيـــــنـــــا: حياتك رائعة!

تـــريجـــوريـــن: وما هو الرائع فيها؟ (**يتطلع إلى ساعته**) ينبغى علىّ أن أمضى الآن لأكتب. عفوا، أنا مشغول.. (**يضحك**) أنت، كما يقال، لمست أحد أوتارى الحساسة وها أنذا قد بدأت أنفعل وأغضب قليلا. وعموما فلنتحدث. سنتحدث عن حياتى الرائعة المشرقة.. حسنا، بم نبدأ؟ (**يفكر قليلا**) هناك تصورات قسرية، عندما يظل الإنسان يفكر ليل نهار فى القمر مثلا، وأنا أيضا لدى مثل هذا القمر. فليل نهار تطاردنى فكرة واحدة لا فكاك منها: ينبغى أن أكتب، ينبغى أن أكتب، ينبغى.. وما إن أنتهى من رواية حتى يتوجب علىّ، لسبب ما، أن أكتب ثانية، فثالثة، وبعد الثالثة رابعة.. أكتب بلا انقطاع، دون توقف، ولا يمكننى إلا هكذا. فأى شيء رائع ومشرق فى ذلك، إننى أسألك؟ أوه، يالها من حياة فظيعة! ها أنذا الآن معك، منفعل، ومع ذلك لا أنسى لحظة واحدة أن هناك فى انتظارى رواية لم تكتمل. ها أنذا أرى سحابة تشبه المعزف. فأقول لنفسى: ينبغى أن أشير فى إحدى القصص القادمة إلى أنه قد مرت سحابة تشبه المعزف. وتفوح رائحة رقيب الشمس. وعلى الفور ألاحظ لنفسى: رائحة حلوة لاذعة، لون أرملى، تجب الإشارة إليه عند وصف أمسية صيفية. أترصد

كل عبارة أقولها أو تقولينها، وأسارع بحبس كل هذه العبارات والكلمات فى مخزنى الأدبى.. ربما تنفع! عندما أفرغ من العمل أركض إلى المسرح أو لصيد السمك. وهنا ينبغى أن أستريح وأركن إلى النسيان، ولكن لا، ففى رأسى تبدأ فى الدوران كرة حديدية ثقيلة: موضوع جديد، ويروح يشدنى إلى المكتب، ولا بد من الإسراع إلى الكتابة والكتابة مرة أخرى. وهكذا دائما، دائما، ولا راحة لى من ذاتى، وأشعر أننى ألتهم حياتى، وأنه من أجل العسل الذى أقدمه لمجهول فى الفراغ فإننى أسلب أفضل أزهارى رحيقها، وأمزق الزهور نفسها وأدوس جذورها. أفلست مجنونا؟ وهل يعاملنى أهلى ومعارفى معاملتهم لشخص سليم؟ «ماذا تكتبون؟ ماذا ستهدوننا؟» دائما نفس الشىء، ويخيل إلىَّ أن اهتمام المعارف والمديح والإعجاب... كل ذلك خداع، يخدعوننى كمريض، وأحيانا أخشى أن يتسللوا من خلفى فجأة فيمسكون بى، ويحملوننى مثل بوبريشين[1] إلى مستشفى المجاذيب. أما فى تلك السنوات، سنوات الشباب، أجمل السنوات، عندما بدأت، كانت الكتابة بالنسبة لى محض عذاب. فالكاتب

(١) بوبريشين هو بطل قصة «مذكرات مجنون» للكاتب الروسى المعروف نيقولاى جوجول (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢). المعرب.

الصغير، خاصة عندما يكون سيىء الحظ، يبدو لنفسه أخرق، مضطربا، زائدا عن الحاجة، وأعصابه متوترة، مرهقة. وتراه يحوم مشدودا حول الأشخاص ذوى العلاقة بالأدب والفن، غير معترف به، غير مُلْتَفت إليه، يخشى أن ينظر مباشرة وبجرأة فى الأعين، كأنما مقامر ولوع لا نقود لديه. أنا لم أر قارئى، ولكنى تصورته فى خيالى لسبب ما عدائيا، مستريبا. كنت أخشى الجمهور، كان مرعبا بالنسبة لى، وعندما تقدم لى مسرحية جديدة كان يخيل إلىَّ فى كل مرة أن ذوى الشعر الأسود يقفون موقفا عدائيا، أما الشقر فلا مبالون ببرود. أوه ما أفظع ذلك! يا له من عذاب كان!

نــيــنــا: عفوا، ولكن ألا يمنحك الإلهام وعملية الإبداع ذاتها لحظات سامية سعيدة؟

تــريجــوريــن: بلى. عندما أكتب أشعر بالسرور، وقراءة البروفات أيضا سارة، ولكن.. ما إن يخرج العمل من المطبعة حتى لا أعود أطيقه، وأرى بالفعل أنه ليس المطلوب، أنه غلطة، وما كان ينبغى أن أكتبه أصلا، فأشعر بالأسى، ويتملك روحى القرف.. (**ضاحكا**) أما الجمهور فيقرأ: «نعم، لطيف، موهوب.. لطيف ولكن شتان بينه وبين تولستوى» أو «قصة رائعة، ولكن «الآباء والأبناء» لتورجينيف أحسن. وهكذا حتى الممات سيظل كل

شىء لطيفًا وموهوبًا فقط، لطيفًا وموهوبًا ولا شىء أكثر، وبعد أن أموت سيقول المعارف وهم يمرون بقبرى: «هنا يرقد تريجورين. كان كاتبا جيدا، لكنه كان يكتب أسوأ من تورجينيف».

نينا: عفوا، إننى لا أستطيع أن أفهمك. لقد أفسدك النجاح.

تريجورين: أى نجاح؟ أنا لم أعجب نفسى أبدا. أنا لا أحب نفسى ككاتب. أسوأ ما فى الأمر أننى فى دخان ما وكثيرا ما لا أفهم ما أكتب..إننى أحب هذه المياه، والأشجار، والسماء، وأحس بالطبيعة، وهى تثير فى نفسى العواطف والرغبة العارمة فى الكتابة. ولكنى لست مجرد راسم مناظر، بل مواطن أيضا، أحب وطنى وشعبى، وأشعر أننى مادمت كاتبا، فلزام علىّ أن أتحدث عن الشعب عن آلامه، عن مستقبله، أتحدث عن العلم، عن حقوق الإنسان وغيرها وغيرها، فأتحدث عن كل ذلك، وأتعجل، ومن جميع الجهات يستعجلوننى، ويغضبون منى، فأركض من ركن إلى ركن، كالثعلب الذى تطارده الكلاب، وأرى أن الحياة والعلم يتقدمان حثيثا إلى الأمام، أما أنا فأتخلف عنهما أكثر فأكثر، كالفلاح الذى تأخر عن القطار. وفى نهاية الأمر أشعر أننى لا أجيد سوى تصوير المناظر، وفى كل ما عداه فأنا مزيف، مزيف حتى النخاع.

نـــيـــنـــا: لقد استغرقك العمل، فلم يعد لديك وقت أو رغبة فى إدراك قيمتك. فلتكن غير راض عن نفسك، ولكنك بالنسبة للآخرين عظيم ورائع! لو كنت أنا كاتبة مثلك لوهبت الجمهور كل حياتى، ولكنى كنت أظل أدرك أن سعادته الوحيدة هى أن يرقى إلىّ، ولحملنى الجمهور على عجلة.

تـريجـوريـن: هه، عجلة.. وهل أنا أجاممنون أم ماذا؟

(يبتسمان كلاهما)

نـــيـــنـــا: من أجل سعادة أن أكون كاتبة أو ممثلة أنا مستعدة أن أتحمل كراهية الأقارب، والفاقة، وخيبة الأمل، أن أعيش فى غرفة سطح وآكل الخبز الأسود فقط، أن أعانى من عدم الرضا عن النفس ومن إدراك عيوبى، ولكن فى مقابل ذلك كنت أطالب بالشهرة.. الشهرة الحقيقية، الصاخبة.. **(تغطى وجهها بيديها)** رأسى يدور.. أف!..

صوت أركادينا: **(من المنزل)**: يا بوريس أليكسييفتش!

تـريجـوريـن: ينادونى.. يبدو لترتيب الحقائب. لا أريد أن أرحل. **(يتطلع إلى البحيرة)** يا لها من روعة!.. جميل!

نـــيـــنـــا: أترى ذلك البيت والحديقة على الشاطىء الآخر؟

تـريجـوريـن: نعم.

نـــيـــنـــا: إنها ضيعة المرحومة أمى. أنا ولدت هناك. قضيت حياتى كلها بجوار هذه البحيرة وأعرف كل جزيرة صغيرة فيها.

تريجورين: ما أروع المكان هنا! (**يرى النورس**) وما هذا؟

نينا: نورس. قتله قسطنطين جافريليتش.

تريجورين: طائر جميل. حقا لا أرغب فى الرحيل. هيا أقنعى إيرينا نيكولايفنا بالبقاء (**يدون فى مفكرته**).

نينا: ماذا تكتب؟

تريجورين: هكذا، أسجل.. موضوع خطر لى.. (**يخفى المفكرة**) موضوع لقصة قصيرة: على شاطئ بحيرة تعيش منذ الصبا فتاة شابة، مثلك. تحب البحيرة كالنورس، وهى سعيدة، حرة كالنورس. ولكن جاء شخص صدفة فرآها، ومن الفراغ قضى عليها كما قضى على هذا النورس.

(**صمت**)

(**تلوح أركادينا فى النافذة**)

أركادينا: بوريس أليكسييفتش، أين أنت؟

تريجورين: حالا! (**يمضى وهو يتلفت نحو نينا. عند النافذة، لأركادينا**) ماذا؟

أركادينا: سنبقى.

(**تريجورين يدخل المنزل**)

نينا: (**تقترب من مقدمة الخشبة. بعد فترة تفكير**) حلم!

(**ستار**)

الفصل الثالث

(غرفة الطعام فى منزل سورين. من اليمين واليسار بابان، صوان بوفيه. صوان أدوية. فى وسط الغرفة طاولة. حقيبة وعلب كارتون. آثار الاستعداد للرحيل ظاهرة. تريجورين يفطر، وماشا تقف بجوار الطاولة)

ماشا: كل هذا أرويه لك ككاتب. يمكنك أن تستخدمه. أقول لك عن صدق: لو أنه جرح نفسه جرحا خطيرا لما عشت لحظة واحدة. ولكنى شجاعة مع ذلك. ها قد قررت: سأنزع هذا الحب من قلبى، سأنزعه من جذوره.

تريجورين: بأية طريقة؟

ماشا: سأتزوج من مدفيدينكو.

تريجورين: من المدرس؟

ماشا: نعم.

تريجورين: لا أفهم، ما الداعى.

ماشا: لا معنى للحب بلا أمل، وانتظار شىء ما سنوات

طويلة.. ما إن أتزوج حتى لا يعود هناك وقت للحب، الهموم الجديدة ستطغى على كل القديم. ثم إنه، رغم كل شىء، تغيير. ألا نكرر؟

تـريجـوريـن: ألن يكون كثيرا؟

مـــاشــــا: ماذا تقول! **(تصب كأسين)** لا تنظر إلىّ هكذا. النساء يشربن أكثر مما تظن، الأقلية يشربن علانية، مثلى، أما الأغلبية فسرًا. نعم. ويشربن فى الأغلب فودكا أو كونياك. **(تقرع كأسها بكأسه)** تمنياتى! أنت رجل بسيط، ومن المؤسف فراقك.

(يشربان)

تـريجـوريـن: أنا نفسى لا أرغب فى الرحيل.

مـــاشــــا: فلتطلب منها أن تبقى.

تـريجـوريـن: كلا، الآن لن تبقى. ابنها أصبح سلوكه بعيدا عن أية لباقة. مرة أطلق النار على نفسه، والآن يقال إنه ينوى دعوتى للمبارزة. فلأى غرض؟ يغضب، ويبدى سخطه، ويدعو لأشكال جديدة..حسنا، ولكن هناك متسع لها جميعا. الجديدة والقديمة، فلماذا التزاحم؟

مـــاشــــا: ثم الغيرة منك. وعموما فليس هذا شأنى.

(صمت)

(ياكوف يمر من اليسار حاملا حقيبة، تدخل نينا وتتوقف عند النافذة).

مدرسى هذا ليس كبير الذكاء ولكنه رجل طيب وفقير،

ويحبنى جدا، أنا أرثى له. وأرثى لأمه العجوز. حسنا، دعنى أتمنى لك كل خير. لا تذكرنى بسوء. **(تصافحه بقوة)** ممتنة لك جدا على حسن معاملتك. فلترسل لى كتبك، وعليها إهداء حتما. لكن لا تكتب «الموقرة» بل ببساطة: «إلى ماريا التى لا تذكر القرابة والتى لا يُعرف لأى غرض تعيش فى هذه الدنيا». وداعا! **(تنصرف)**

نينا: **(تمد نحو تريجورين يدها بقبضة مضمومة)** فردى أم زوجى؟

تريجورين: زوجى.

نينا: **(متنهدة)** كلا. ليس فى يدى غير حبة واحدة. وقد خمنت لنفسى: هل أتجه نحو التمثيل أم لا؟ لو ينصحنى أحد.

تريجورين: هنا لا يمكن النصح.

(صمت)

نينا: إننا نفترق و.. على الأرجح لن نلتقى أبدا. أرجو أن تقبل منى للذكرى هذه الميدالية الصغيرة. لقد أمرت بحفر الأحرف الأولى من اسمك عليها..ومن هذه الناحية عنوان روايتك «الأيام والليالى».

تريجورين: يا لها من رشيقة! **(يقبّل الميدالية)** هدية ساحرة!

نينا: تذكَّرْنى أحيانًا.

تريجورين: سأتذكر. سأتذكرك كما كنت فى ذلك اليوم المشرق،

أتذكرين؟ منذ أسبوع، عندما كنت فى فستان فاتح..
تحدثنا آنذاك.. وعلى الأريكة كان ممددا نورس أبيض.

نـــيـــنـــا: **(مستغرقة فى التفكير)** نعم، نورس..

(صمت)

لا يمكننا مواصلة الحديث، إنهم قادمون.. قبيل السفر أعطنى دقيقتين، أتوسل اليك.. **(تنصرف يسارا)**

(يدخل من اليمين دفعة واحدة أركادينا وسورين مرتديا حلة رسمية بنجمة، ثم ياكوف المهموم بترتيب المتاع).

أركـــاديـــنـــا: ابق أيها العجوز هنا. إلى أين تريد الذهاب بروماتيزمك هذا؟ **(لتريجورين)** من الذى خرج من هنا،؟ نينا؟

تـــريجـــوريـــن: نعم.

أركـــاديـــنـــا: Pardon، أزعجناكما.. **(تجلس)** يبدو رتبت كل شىء. تعبت للغاية.

تـــريجـــوريـــن: **(يقرأ على الميدالية)** «الأيام والليالى» صفحة ١٢١ السطران ١١، ١٢

يـــاكـــوف: **(ينظف الطاولة)** أتأمرون بجمع السنانير أيضا؟

تـــريجـــوريـــن: نعم، سأحتاج إليها. أما الكتب فأعطها لأى شخص.

يـــاكـــوف: حاضر.

تـــريجـــوريـــن: **(لنفسه)** صفحة١٢١، السطران ١١، ١٢ ترى ماذا فى هذين السطرين؟ **(لأركادينا)** هل توجد مؤلفاتى هنا فى البيت؟

أركـــاديـــنـــا: عند أخى فى مكتبه، فى الصوان الركنى.

تــريجـــوريـــن: صفحة ١٢١.. (**ينصرف**)

أركـــاديـــنـــا: حقا يا بتروشا، فلتبق فى البيت..

ســـوريـــن: أنتم راحلون، سأشعر بالكآبة بدونكم هنا.

أركـــاديـــنـــا: وماذا فى المدينة؟

ســـوريـــن: لا شىء ذو أهمية، ومع ذلك. (**يضحك**) سيضعون حجر الأساس لمبنى مجلس الإقليم وخلافه.. أريد ولو لساعة أو ساعتين أن أنفض عنى هذه الحياة التافهة، فقد بقيت ملقى كمبسم سجاير قديم. أمرت بتجهيز الخيول فى الساعة الواحدة، سنرحل معا.

أركـــاديـــنـــا: (**بعد فترة صمت**) حسنا. ابق هنا ولا تضجر، لا تمرض. راقب ابنى. حافظ عليه. أرشده.

(**صمت**)

ها أنذا أرحل دون أن أعرف لماذا أطلق قسطنطين النار على نفسه. يبدو لى أن السبب الرئيسى كان الغيرة، وكلما أسرعت بإبعاد تريجورين عن هنا كان أفضل.

ســـوريـــن: ماذا أقول لك؟ كانت هناك أسباب أخرى. شىء مفهوم، فهو شاب، ذكى، يعيش فى قرية، فى ركن معزول، بلا نقود، بلا مركز، بلا مستقبل. بدون أى عمل. يخجل من فراغة ويخشاه. إننى أحبه للغاية، وهو أيضا متعلق بى، ومع ذلك، وفى نهاية الأمر، يبدو له أنه زائد عن الحاجة فى البيت، وأنه طفيلى، عالة. شىء مفهوم، عزة النفس..

أركـــاديـــنــــا: يا ويلي منه! (**مستغرقة في التفكير**) ربما ينبغي أن يلتحق بوظيفة..

ســــوريـــــن: (**مصفرا، ثم بتردد**) يبدو لي أن أفضل شيء لو أنك.. أعطيته بعض النقود. فقبل كل شيء هو بحاجة إلى ملابس تليق بإنسان وخلافه. انظري، إنه لا يخلع عنه هذه البدلة الحقيرة ثلاث سنوات، وليس لديه معطف.. (**يضحك**) ثم إن الشاب بحاجة إلى التسلية قليلا.. ربما يستحسن أن يسافر إلى الخارج..هذا لا يكلف كثيرا.

أركـــاديـــنــــا: بل يكلف..ربما أقدر على البدلة، أما السفر إلى الخارج.. كلا، الآن لا أقدر حتى على البدلة. (**بحزم**) ليس لديَّ نقود!

(**سورين يضحك**)

ليس لديَّ!

ســــوريـــــن: (**مصفرا**) هكذا. عفوا يا عزيزتي، لا تغضبي. أنا أصدقك.. أنت امرأة سمحة، نبيلة.

أركـــاديـــنــــا: (**من خلال الدموع**) ليس لديَّ نقود!

ســــوريـــــن: لو كان لديَّ نقود لأعطيته، هذا مفهوم، ولكني لا أملك شيئا، ولا خردة. (**يضحك**) كل معاشي يستولي عليه الخولي وينفقه على الزراعة، وتربية المواشي، وتربية النحل، وتضيع نقودي هباء. فالنحل ينفق، والأبقار تنفق، أما الخيول فلا يقدمونها لي أبدا..

أركـــاديـــنـــا: نعم، أنا لديَّ نقود، ولكنى ممثلة. الأزيـاء وحدها أفلستنى تماما.

ســـوريـــن: أنت طيبة، رقيقة...أنا أحترمك..نعم..ولكنى أشعر ثانية بذلك الـ.. **(يترنح)** رأسى يـدور. **(يتشبث بالطاولة)** أشعر بدوار وخلافه.

أركـــاديـــنـــا: **(بذعر)** بتروشا! **(تحاول إسناده)** بتروشا يا عزيزى.. **(تصرخ)** ساعدونى! ساعدونى!..

(يدخل تريبليف معصوب الرأس، ومدفيدينكو لديه إغماء!)

ســـوريـــن: لا بأس، لا بأس..**(يبتسم ويشرب ماء)** انتهى كل شىء..وخلافه..

تـريـبـلـيـف: **(لأمه)** لا تخافى يا ماما، هذا ليس خطيرا. أصبح ذلك يحدث له كثيرا. **(لخاله)** يلزمك أن ترقد فى الفراش يا خالى.

ســـوريـــن: قليلا، نعم.. ومع ذلك سأذهب إلى المدينة.. سأرقد قليلا ثم أسافر..شىء مفهوم.. **(يسير معتمدا على عصا)**

مـدفـيـديـنكـو: **(يقوده من تحت إبطه)** اسمع هذا اللغز: فى الصباح يسير على أربع، وفى الظهر على اثنتين، وفى المساء على ثلاث..

ســـوريـــن: **(يضحك)** بالضبط. وفى الليل على ظهره. أشكرك، أستطيع أن امشى بنفسى..

مـدفيـدينكـو : دعك من الكلفة!

(ينصرف مع سورين)

أركـــاديـــنـــا: كم أفزعنى!

تـريـبـلـيـف: الحياة فى الريف ضارة بصحته. إنه يشعر بالوحشة. لو أنك يا ماما تكرمت عليه وأقرضته حوالى ألف وخمسمائة أو ألفين لاستطاع أن يعيش فى المدينة عاما كاملا.

أركـــاديـــنـــا: ليس لدىّ نقود. أنا ممثلة ولست بنكيرة.

(صمت)

تـريـبـلـيـف: ماما، غيِّرى لى الضمادة. أنت تجيدين ذلك.

أركـــاديـــنـــا: (**تستخرج من الصوان اليودفورم ودرجا به مواد التضميد**) لقد تأخر الدكتور.

تـريـبـلـيـف: وعد أن يأتى فى العاشرة، وها نحن الآن فى الضحى.

أركـــاديـــنـــا: اجلس (**تنزع الضمادة عن رأسه**) كأنك ترتدى عمامة. بالأمس فى المطبخ سأل أحد الوافدين عن جنسيتك. جرحك التأم تقريبا. لم يبق إلا شىء بسيط (**تقبل رأسه**) ألن تعود إلى هذا فى غيابى؟

تـريـبـلـيـف: كلا يا ماما. كانت تلك لحظة يأس جنونى لم أتمالك فيها نفسى. هذا لن يتكرر. (**يقبل يدها**) يداك ماهرتان. أذكر منذ عهد بعيد ـ عندما كنت تعملين فى مسرح حكومى وكنت أنا صغيرا آنذاك ـ وقع شجار فى فنائنا، وضربوا بشدة غسالة من ساكنات البيت. أتذكرين؟

رفعوها فاقدة الوعى.. وكنت تترددين عليها، وتحملين لها الأدوية، وتحممين فى الطست أطفالها. أحقا لا تذكرين؟

أركاديـنا: كلا. **(تضع ضمادة جديدة)**

تريبليف: كانت تقطن راقصتا باليه أيضا فى نفس المنزل الذى كنا نقطنه..كانتا تزورانك لشرب القهوة..

أركاديـنا: أذكر هذا.

تريبليف: وكانتا، كما أذكر، تقيتين.

(صمت)

فى الآونة الأخيرة، فى هذه الأيام، أحبك برقة وتفان كما كنت أحبك فى الطفولة. لم يعد لدىَّ الآن أحد سواك. ولكن لماذا، لماذا وقف بينى وبينك هذا الرجل.

أركاديـنا: أنت لا تفهمه يا قسطنطين. إنه من أنبل الناس..

تريبليف: بيد أنه عندما أبلغوه أننى أنوى تحديه فى مبارزة لم يمنعه النبل من أن يظهر جبنه. يسافر. هروب مزر!

أركاديـنا: يا للهراء! أنا التى أبعده عن هنا. وإن علاقتنا لا يمكن أن تعجبك بالطبع، ولكنك ذكى ومهذب، ومن حقى أن أطالبك بأن تحترم حريتى.

تريبليف: أنا أحترم حريتك، ولكن اسمحى لى فى المقابل أن أكون حرا وأنظر إلى هذا الشخص كما أريد. من أنبل الناس! ها نحن نكاد نتشاجر بسببه، أما هو فيجلس فى مكان ما، فى غرفة الجلوس أو فى الحديقة ويضحك منى ومنك، وينوّر نينا ويحاول أن يقنعها نهائيا بأنه عبقرى.

أركـــاديـــنـــا: إنك تجد متعة فى إيذائى. أنا أحترم هذا الرجل وأرجو ألا تتحدث عنه بسوء فى حضورى.

تـريـبـلـيـف: أمــا أنــا فلا أحترمه. أنت أيضا تريديننى أن أعتبره عبقريا، آسف، إننى لا أجيد الكذب، وقصصه ترفضها روحى.

أركـــاديـــنـــا: هذا حسد. الأشخاص المجردون من الموهبة ولكن يدّعونها، لا يبقى أمامهم إلا أن يعيبوا المواهب الحقيقة. يا لها من سلوى بائسة!

تـريـبـلـيـف: **(بسخرية)** المواهب الحقيقية! **(بغضب)** أنا أكثر موهبة منكم جميعا إذا أردت الحقيقة! **(ينزع الضمادة عن رأسه)** أنتم الروتينيون، قد استوليتم على السبق فى الفن ولا تعتبرون مشروعا وحقيقيا إلا ما تصنعونه أنتم، وما عدا ذلك تضطهدونه وتخنقونه! أنا لا أعترف بكم! لا أعترف لا بك ولا به!

أركـــاديـــنـــا: عبثى!..

تـريـبـلـيـف: اذهبى إلى مسرحك اللطيف ومثلى هناك فى مسرحياتك الحقيرة الفاشلة!

أركـــاديـــنـــا: أنا لم أمثل أبدا فى مسرحيات كهذه. دعنى! أنت غير قادر حتى على كتابة فودفيل تافه. أيها الضيق الأفق! أيها العالة!

تـريـبـلـيـف: يا مقتِّرة!

أركـــاديـــنـــا: أيها الشحاذ!

(تريبليف يجلس ويبكى فى صمت)

أيها التافه! **(تذرع الغرفة بانفعال)** لا تبك. لا داعى للبكاء.. **(تبكى)** لا داعى.. **(تلثم جبينه وخديه ورأسه)** يا طفلى العزيز، اعذرنى..اعذر أمك الخاطئة. اعذرنى أنا التعيسة.

تريبليف: **(يعانقها)** آه لو تدرين! لقد فقدتُ كل شىء. إنها لا تحبنى، ولم أعد قادرا على الكتابة.. ضاعت كل أحلامى..

أركادينا: لا تيأس.. كل شىء سيعود. الآن سأحمله فتعود هى إلى حبك **(تمسح دموعه)** كفى. لقد تصالحنا.

تريبليف: **(يلثم يديها)** نعم يا ماما.

أركادينا: **(برقة)** تصالح معه أيضا.. لا داعى للمبارزة.. لا داعى، أليس كذلك؟

تريبليف: حسنا.. لكن أرجوك يا ماما، أنا لا أريد أن أقابله. هذا صعب علىّ.. فوق طاقتى..

(يدخل تريجورين)

طيب..سأخرج **(يضع الأدوية فى الصوان بسرعة)** الضمادة سيضعها لى الدكتور..

تريجورين: **(يفتش فى الكتاب)** الصفحة ١٢١، السطران ١١، ١٢.. ها هما.. **(يقرأ)** «إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها».

(يرفع تريبليف الضمادة من الأرض وينصرف)

أركـــاديـــنـــا: **(تنظر إلى الساعة)** سيحضرون الخيول قريبا.

تـــريجـــوريـــن: **(لنفسه)** إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها.

أركـــاديـــنـــا: هل كل أمتعتك جاهزة؟

تـــريجـــوريـــن: **(بنفاد صبر)** نعم، نعم.. **(مستغرقا فى التفكير)** لماذا أحسست بالحزن فى هذا النداء من روح طاهرة، وانقبض قلبى متألما هكذا؟.. إذا احتجت إلى حياتى فى وقت ما، تعال وخذها. **(لأركادينا)** فلنبق يوما آخر!

(أركادينا تهز رأسها سلبا)

لنبق!

أركـــاديـــنـــا: أيها العزيز، أنا أعرف ما الذى يشدك هنا. لكن تمالك نفسك. أنت ثمل قليلا، أفق.

تـــريجـــوريـــن: أفيقى أنت أيضا، وكونى ذكية، عاقلة، أتوسل إليك، انظرى إلى كل ذلك نظرة صديق حقيقى.. **(يضغط على يدها)** أنت قادرة على التضحية... كونى صديقى، واتركينى...

أركـــاديـــنـــا: **(بانفعال شديد)** هل أنت عاشق هكذا؟

تـــريجـــوريـــن: إنها تجذبنى! ربما كان ذلك هو بالضبط ما أحتاجه.

أركـــاديـــنـــا: حب فتاة ريفية؟ أوه إنك لا تعرف نفسك!

تـــريجـــوريـــن: أحيانا ينام الناس وقوفا، وهكذا أتحدث إليك وأشعر وكأنى نائم وأراها فى الحلم.. اتركينى..

أركـــاديـــنـــا: (**ترتعش**) كلا، كلا.. أنا امرأة عادية، لا ينبغى أن تتحدث معى هكذا..لا تعذبنى يا بوريس.. إننى خائفة..

تـــريجـــوريـــن: بوسعك أن تصبحى غير عادية لو أردت. الحب الفتى، الساحر، الشاعرى، المحلق بك فى عالم الأحلام.. هذا الحب هو وحده القادر على منح السعادة على وجه الأرض! أنا لم أجرب بعد مثل هذا الحب.. فى الصبا لم يكن لدىَّ وقت، كنت أتمسح بأعتاب المجلات والصحف، كنت أصارع الفاقة.. والآن، ها هو هذا الحب، قد جاء أخيرا، ويجذبنى إليه.. فأى معنى لأن أهرب منه؟

أركـــاديـــنـــا: (**بغضب**) لقد جننت!

تـــريجـــوريـــن: فليكن.

أركـــاديـــنـــا: تآمرتم كلكم علىّ اليوم لتعذيبى! (تبكى)

تـــريجـــوريـــن: (**يمسك برأسه**) إنها لا تفهم! لا تريد أن تفهم!

أركـــاديـــنـــا: أأنا حقا عجوز وقبيحة إلى هذه الدرجة، حتى إنه يمكن التحدث معى دون حرج عن نساء أخريات؟ (**تعانقه وتقبله**) أوه، أنت جننت! يا حبيبى الرائع، المدهش.. أنت آخر صفحة فى حياتى! (تجثو على ركبتيها) يا سعادتى، يا عزتى، يا نعمتى.. (تعانق ركبتيه) لو تتركنى، ولو ساعة فلن أحتمل، سأجن، يا حبيبى الرائع، البديع، يا مولاى..

تريجورين: قد يدخل أحد هنا **(يساعدها على النهوض)**

أركادينا: فليكن، أنا لا أخجل من حبى لك. **(تقبل يديه)** يا كنزى، أيها المتهور، أنت تريد أن تستسلم للجنون، وأنا لا أريد، لن أدعك.. **(تضحك)** أنت لى.. لى.. وهذا الجبين لى، والعينان لى، وهذا الشعر الحريرى الرائع أيضا لى.. أنت كلك لى. كم أنت موهوب، ذكى، أنت أفضل الكتاب المعاصرين. أمل روسيا الأوحد..كم لديك من صدق، وبساطة، وطزاجة، وفكاهة حية.. بوسعك بلمسة واحدة أن تعبر عن أهم ما يميز الشخص أو المنظر، وأبطالك كأنهم أحياء. لا يمكن للمرء أن يقرأ لك دون إعجاب! أتظن ما أقول مديحًا؟ تملقًا؟ حسنا، حدق فى عينى.. حدق..هل أشبه الكاذبة؟ هكذا ترى، أنا الوحيدة التى تعرف قدرك. الوحيدة التى تقول لك الحقيقة يا عزيزى يا روحى.. سترحل؟ نعم؟ لن تهجرنى؟..

تريجورين: ليس عندى إرادة.. لم يكن لدىَّ أبدا إرادة.. طرى، رخو، مطيع دائما، أمن المعقول أن ذلك يعجب النساء؟ خذينى، احمليني، لكن لا تتركينى أبتعد عنك خطوة..

أركادينا: **(لنفسها)** الآن أصبح لى. **(بلهجة استهتار، وكأنها لم يحدث شيء)** وعموما، إذا أردت، تستطيع أن تبقى.

سأسافر أنا وتأتى أنت فيما بعد، بعد أسبوع. وبالفعل علام تستعجل؟

تريجورين: لا، بل سنسافر معا.

أركادينا: كما تشاء. فليكن معا..

(صمت)

(تريجورين يدون فى مفكرته)

ماذا بك؟

تريجورين: سمعت صباحا تعبيرا جيدا: «غابة العذارى».. قد ينفع **(يتمطى)** إذن سنسافر؟ مرة ثانية هذه العربات، والمحطات، والبوفيهات، والكستليتة، والأحاديث..

شمرايف: **(داخلا)** أتشرف بإخطاركم بمشاعر الحزن بأن الخيول جاهزة. حان الوقت يا سيدتى الموقرة للرحيل إلى المحطة. القطار يأتى فى الثانية وخمس دقائق. وهكذا أرجوك يا إيرينا نيكولايفنا ألا تنسى أن تستعملى أين يوجد الآن الممثل سوزدالتسف؟ هل هو حى؟ وكيف صحته؟ فى وقت ما كنا نشرب معا.. فى «البريد المسروق» لعب بصورة فذة.. أذكر أنه كان يخدم معك آنذاك فى مدينة يليزافيتجراد الممثل التراجيدى إيزمايلوف، أيضا شخصية رائعة.. لا تستعجلى يا سيدتى الموقرة مازال فى الوقت متسع لخمس دقائق. ذات مرة كانا يمثلان فى ميلودراما دور المتآمرين، وعندما اكتشفوهما كان ينبغى

أن يقولا «وقعنا فى الفخ»، ولكن إيزمايلوف صاح: «وقعنا فى الخف».. (**يقهقه**) فى الخف!..

(أثناء حديثه يسعى ياكوف بجوار الحقائب، والخادم تحمل لأركادينا القبعة، والمانطو، والمظلة، والقفاز والجميع يساعدون أركادينا على ارتداء ملابسها. من الباب الأيسر يطل الطاهى الذى يدخل بعد ذلك بقليل مترددًا. تدخل بولينا أندرييفنا، ثم سورين ومدفيدينكو).

بولينا أندرييفنا: (**تحمل سلة**) إليكم برقوقا للطريق.. حلو جدا. ربما أردتم تذوقه..

أركادينا: أنت طيبة جدا يا بولينا أندرييفنا.

بولينا أندرييفنا: الوداع يا عزيزتى! سامحينا إذا كان وقع منا خطأ. (**تبكى**)

أركادينا: (**تعانقها**) كان كل شىء جيدا، كان كل شىء جيدا. أما البكاء فلا لزوم له.

بولينا أندرييفنا: زماننا يولِّى!

أركادينا: وما العمل!

سورين: (**فى معطف، ودثار، وقبعة، وبعصا، يخرج من الباب الأيسر. يعبر الغرفة**) حان الوقت يا أختى، أخشى أن نتأخر فى نهاية الأمر. سأذهب لأركب. (**يخرج**)

مدفيدينكو: سأذهب إلى المحطة على الأقدام.. لأودعكم.. بسرعة.. (**ينصرف**)

أركادينا: إلى اللقاء يا أعزائى.. إذا عشنا فسنلتقى فى الصيف القادم..

(الخادم وياكوف والطاهى يقبلون يدها)

لا تنسونى **(تعطى الطاهى روبلا)** هذا روبل لكم الثلاثة.

الطاهى: مع جزيل الشكر يا سيدتى. تصحبك السلامة! ممتنون لك جدا!

ياكوف: فى رعاية الله!

شمرايف: أسعدونا برسالة! الوداع يا بوريس أليكسييفتش!

أركادينا: وأين قسطنطين؟ قولوا له إننى راحلة. يجب أن أودع. حسنا، لا تذكرونا بسوء. **(لياكوف)** أنا أعطيت الطاهى روبلا. إنه لكم الثلاثة.

(الجميع ينصرفون إلى اليمين. خشبة المسرح خاوية. تتردد خلفها الضجة المميزة للرحيل والوداع. الخادم تعود لتأخذ من على الطاولة سلة البرقوق، وتنصرف ثانية).

تريجورين: **(عائدا)** لقد نسيت عصاى. يبدو أنها فى الشرفة.

(يذهب فيلتقى عند الباب الأيسر بنينا التى تدخل).

أهو أنت؟ إننا راحلون..

نينا: كان عندى إحساس بأننا سنلتقى ثانية. **(بانفعال)** بوريس أليكسييفتش، لقد اتخذت قرارى القاطع، قُضىَ الأمر، سألتحق بالمسرح. غدا لن أكون هنا، سأترك أبى، سأهجر كل شىء وأبدأ حياة جديدة.. أنا راحلة مثلكم.. إلى موسكو. هناك سنلتقى.

تـــريجـــوريـــن: (يتلفت) انزلى فى فندق «سلافيانسكى بازار».. أخطرينى على الفور... مولتشانوفكا، منزل جروخولسكى.. أنا مستعجل..

(صمت)

نـــيـــنـــا: دقيقة أخرى..

تـــريجـــوريـــن: (هامسا) أنت رائعة.. أوه يالها من سعادة أن أفكر فى لقائنا القريب!

(تميل على صدره)

وأرى من جديد هاتين العينين الرائعتين، وهذه البسمة الرقيقة البديعة بما لا يوصف.. هذه القسمات الوديعة، وتعبير الطهارة الملائكية.. أيتها الغالية..

(قبلة طويلة)

(ستار)

(بين الفصلين الثالث والرابع يمضى عامان)

الفصل الرابع

(إحدى غرف الاستقبال فى منزل سورين، وقد حوّلها قسطنطين تريبليف إلى غرفة مكتب. بابان إلى اليمين وإلى اليسار يفضيان إلى الغرف الداخلية. فى الواجهة باب زجاجى يفضى إلى الشرفة. بالإضافة إلى أثاث غرفة الجلوس العادى توجد فى الزاوية اليمنى طاولة مكتب، وبجوار الباب الأيسر كنبة تركية وخزانة كتب، والكتب على النوافذ وعلى المقاعد. الوقت مساء. يشتعل مصباح واحد تحت غطاء. شبه ظلام. يسمع حفيف الأشجار وعويل الريح فى المداخن ودقات الحارس. يدخل مدفيدينكو وماشا).

ماشا: **(منادية)** يا قسطنطين جافريليتش! قسطنطين جافريليتش! **(تنظر متفحصة)** لا أحد هنا. العجوز يسأل كل دقيقة أين كوستيا أين كوستيا.. لا يستطيع أن يحيا بدونه..

مدفيدينكو: يخشى الوحدة. **(يصيح)** ياله من طقس فظيع! لليوم الثانى على التوالى.

ماشا: **(ترفع فتيل المصباح)** ارتفعت الأمواج فى البحيرة. أمواج هائلة.

مـد فيـد ينكـو : البستان مظلم. ينبغى تذكيرهم بأن يهدموا ذلك المسرح فى البستان. يقوم عاريا. قبيحا، كالهيكل العظمى، وستاره يقرقع فى الريح. عندما مررت بجواره مساء أمس، خيل إلىَّ أن بداخله أحدا يبكى.

مــــاشــــا: يا للتصورات..

(صمت)

مـد فيـد ينكـو : فلنعد يا ماشا إلى البيت.

مــــاشــــا: **(تهز رأسها سلبا)** سأبقى للمبيت هنا.

مـد فيـد ينكـو : **(ضارعا)** ماشا، فلنعد! طفلنا أكيد جائع!

مــــاشــــا: بسيطة، ستطعمه متريونا.

(صمت)

مـد فيـد ينكـو : مسكين. لليلة الثالثة بدون أمه.

مــــاشــــا: كم أصبحت مملا. كنت فى السابق تتفلسف على الأقل، أما الآن فلا شىء إلا الطفل والمنزل، الطفل والمنزل.. ولا أسمع منك غير ذلك.

مـد فيـد ينكـو : فلنعد يا ماشا!

مــــاشــــا: اذهب أنت.

مـد فيـد ينكـو : أبوك لا يعطينى حصانا.

مــــاشــــا: اطلب منه وسيعطيك.

مـد فيـد ينكـو : وهو كذلك. إذن ستأتين غدا؟

مــــاشــــا: (تستنشق التبغ) طيب، غدا..كفى إلحاحا..

(يدخل تريبليف وبولينا أندرييفنا. تريبليف يحمل وسائد وبطانية، وبولينا أندرييفنا تحمل ملاءات. يضعانها على الكنبة التركية، ثم يتجه تريبليف إلى مكتبه ويجلس إليه).

لِمَ هذا يا ماما؟

بولينا أندرييفنا: طلب بيوتر نيكولايفتش أن نفرش له بالقرب من كوستيا.

مـــــاشــــــا: هاتى أنا أفرش.. **(تعد الفراش)**

بولينا أندرييفنا: **(متنهدة)** العجوز والطفل سيان.. **(تتجه إلى طاولة المكتب وترتكز عليها بيديها وتحدق فى المخطوط).**

(صمت)

مـدفيـدينكـو : إذن سأذهب. وداعا يا ماشا **(يقبل يد زوجته)** وداعا يا نينة **(يريد أن يقبِّل يد حماته)**

بولينا أندرييفنا: **(بأسى)** طيب، مع السلامة!

مـدفيـدينكـو : وداعا يا قسطنطين جافريليتش.

(تريبليف يمد له يده فى صمت. ينصرف مدفيدينكو).

بولينا أندرييفنا: **(تحدق فى المخطوط)** لم يكن أحد يظن أو يخمن يا كوستيا أنك ستصبح كاتبا حقيقا. وها هم الآن، والحمد لله، يرسلون لك النقود من المجلات **(تمر بيدها خلال شعره)** وأصبحت جميلا... يا كوستيا العزيز، أيها الطيب، كن أكثر رقة مع ابنتى ماشنكا!..

مـــــاشــــــا: **(تعد الفراش)** دعيه يا ماما.

بولينا أندرييفنا: (لتريبليف) إنها لطيفة.

(صمت)

المرأة يا كوستيا لا تحتاج إلى شىء. فقط انظر إليها برقة.

أعرف هذا بخبرتى.

(ينهض تريبليف من أمام المكتب وينصرف فى صمت).

مـــــاشـــــا: ها قد أغضبته. ما كان ينبغى أن تضايقيه.

بولينا أندرييفنا: إننى أرثى لك يا ماشنكا.

مـــــاشـــــا: لا حاجة إلى ذلك!

بولينا أندرييفنا: قلبى يتمزق ألما عليك. إننى أرى وأفهم كل شىء.

مـــــاشـــــا: هراء. الحب بلا أمل يوجد فى الروايات فقط. كلام فارغ. المهم ألا تتراخى وتبقى منتظرا شيئا ما، منتظرا الرياح المواتية.. إذا تسرب الحب إلى قلبك فينبغى طرده. لقد وعدوا زوجى بنقله إلى إقليم آخر. ما إن ننتقل إلى هناك حتى أنسى كل شىء..أقتلعه بجذوره من قلبى.

(عبر غرفتين يتردد لحن فالس حزين)

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. إذن فهو يشعر بالوحشة.

مـــــاشـــــا: **(تدور دورتين أو ثلاث من رقصة الفالس بدون صخب)** المهم يا ماما ألا أراه أمام عينى. فلينقلوا سيميون زوجى وعندئذ، صدقينى، سأنساه فى شهر واحد. كل هذا هراء.

(يفتح الباب الأيسر، دورن ومدفيدينكو يدفعان كرسيا متحركا وعليه سورين).

مدفيدينكو: أصبح لدى ستة أشخاص فى البيت. والدقيق يساوى سبعين كوبيكا للبود.

دورن: فلتدبر أمورك إذن.

مدفيدينكو: من السهل عليك أن تسخر.، النقود لديك بلا حساب.

دورن: النقود؟ خلال ثلاثين عاما من الممارسة يا صديقى، الممارسة الشاقة، عندما لم أكن ملك نفسى لا نهارا ولا ليلا، استطعت أن أدخر ألفى روبل فقط، وقد أنفقتها عندما كنت فى الخارج منذ قريب. ليس لدى شىء.

ماشا: **(لزوجها)** ألم ترحل؟

مدفيدينكو: **(بذنب)** وما العمل؟ لا يعطوننى حصانا!

ماشا: **(بأسى ومرارة، شبه هامسة)** لو أن عينى لا تراك!

(يتوقف الكرسى فى نصف الغرفة الأيسر. تجلس بولينا أندرييفنا وماشا ودورن بجواره. ينتحى مدفيدينكو المحزون جانبا).

دورن: أوه، ما أكثر التغييرات لديكم! جعلتم من غرفة الجلوس مكتبا.

ماشا: قسطنطين جافريليتش يرتاح إلى العمل هنا أكثر. بوسعه أن يخرج إلى البستان فى أى وقت ليفكر هنالك.

(الحارس يدق)

سـورين: وأين أختى؟

دورن: رحلت إلى المحطة لتستقبل تريجورين. ستعود حالا.

سـورين: طالما رأيتم من اللازم استدعاء أختى، فهذا معناه أن حالتى خطيرة **(بعد صمت)** يالها من حكاية، حالتى خطيرة ومع ذلك لا يعطوننى أى دواء.

دورن: وماذا تريد؟ نقاط فاليريانة؟ صودا؟ كينا؟

سـورين: آه، يبدأ التفلسف. أوه، يا للعذاب!

(يومىء برأسه إلى الكنبه)

هذا الفراش لى؟

بولينا أندرييفنا: لك يا بيوتر نيكولايفتش.

سـورين: أشكرك.

دورن: **(يدندن)** «فى سماء الليل يسبح الهلال...».

سـورين: أريد أن أقدم لكوستيا موضوعا لرواية. ينبغى أن يكون عنوانها هكذا: «الرجل الذى أراد». «L,HOMME QUI A VOULU» فى صباى أردت ذات يوم أن أصبح أديبا.. ولم أصبح. أردت أن أتحدث ببلاغة فصرت أتحدث بفظاعة **(يقلد نفسه)** «وخلافه، وما إلى ذلك، يعنى، لا أعنى».. كنت أسعى طويلا لتقديم الخلاصة، أسعى حتى العرق. وأردت أن أتزوج، فلم أتزوج. أردت أن أعيش دائما فى المدينة، وها أنذا أنهى حياتى فى القرية وخلافه.

دورن: أردت أن تصبح مستشار دولة.. فأصبحت.

سورين: (ضاحكا) لم أسع إلى هذا. ذلك حدث بلا تدبير.

دورن: أن تعرب عن سخطك على الحياة وأنت فى الثانية والستين.. صدقنى، هذه ليست سماحة.

سورين: يا لك من عنيد. افهمنى، أود أن أعيش!

دورن: هذا طيش، حسب قوانين الطبيعة كل حياة ينبغى أن تكون لها نهاية.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان. أنت شبعان ولذلك لا تبالى بالحياة، كل شيء لديك سيان. ومع ذلك فستشعر أنت أيضا بالخوف عند الموت.

دورن: الخوف من الموت خوف حيوانى.. ينبغى كبته. الذين يخشون الموت عن وعى هم فقط من يؤمنون بالحياة الخالدة، والذين يشعرون بالفزع من ذنوبهم. أما أنت فأولا، لست مؤمنا، وثانيا، أية ذنوب لديك؟ لقد خدمت خمسة وعشرين عاما فى دائرة المحاكم، وهذا كل ما هنالك.

سورين: (ضاحكا) ثمانية وعشرين..

(يدخل تريبليف ويجلس على أريكة عند قدمى سورين. ماشا لا تحول عنه عينيها طوال الوقت).

دورن: إننا نعطل قسطنطين جافريلوفتش عن العمل

تريبليف: لا، لا بأس.

(صمت)

مـدفيـدنيكـو: لو سمحت يا دكتور بسؤال: أية مدينة فى الخارج أعجبتك أكثر؟

دورن: جنوة.

تـريـبـلـيـف: ولماذا جنوة؟

دورن: جمهور الشارع هناك رائع. عندما تخرج مساء من الفندق، تجد الشارع مكتظا بالبشر. ثم تسير بعد ذلك مع الحشد دون غاية، إلى هنا وهناك، فى خط متكسر، وتعيش معه حياته وتندمج معه نفسيا، فتكاد تصدق أنه بالفعل، من الممكن أن توجد روح عالمية واحدة، كتلك التى لعبتها نينا زاريتشنايا ذات يوم فى مسرحيتك. بالمناسبة، أين زاريتشنايا الآن؟ أين وكيف هى؟

تـريـبـلـيـف: بصحة جيدة على ما يبدو.

دورن: سمعت أنها سلكت حياة من نوع خاص. ما المسألة؟

تـريـبـلـيـف: هذه يا دكتور قصة طويلة.

دورن: فهلا اختصرت.

(صمت)

تـريـبـلـيـف: هربت من البيت وعاشرت تريجورين. هل تعرف ذلك؟

دورن: أعرف.

تـريـبـلـيـف: وكان لديها طفل. ثم مات الطفل. ولم يعد تريجورين

يحبها، وعاد إلى علاقاته السابقة كما كان متوقعا. وعموما فهو لم يقطع أبدا صلته بعلاقاته السابقة، بل استطاع، لضعف شخصيته، أن يظل هنا وهناك. وعلى قدر فهمى مما علمت به فإن نينا لم توفق فى حياتها الخاصة على الإطلاق.

دورن: والمسرح؟

تريبليف: يبدو أسوأ. بدأت أول أدوارها فى مسرح صيفى قرب موسكو، ثم رحلت إلى الريف. آنذاك لم أتركها تغيب عن نظرى، وظللت لفترة أرحل إلى حيث ترحل. كانت تتصدى للأدوار الرئيسية، ولكنها كانت تمثل بخشونة، بلا ذوق، بعويل وحركات حادة. وكانت هناك لحظات صرخت فيها بموهبة، أو ماتت بموهبة، ولكنها كانت مجرد لحظات.

دورن: إذن فلديها موهبة رغم ذلك.

تريبليف: كان من الصعب أن تفهم. ربما كان لديها. كنت أنا أراها ولكنها لم ترد أن ترانى، ومنعنى الخدم من دخول غرفتها. وقد فهمت حالتها فلم أصر على طلب رؤيتها.

(صمت)

ماذا أقول لك أيضا؟ بعد أن عدت إلى البيت تلقيت منها عدة رسائل. رسائل ذكية، دافئة، شيقة. لم تشك

من شىء ولكنى أحسست أنها تعيسة للغاية. كل سطر عصب مريض مشدود. وخيالها مختل نوعا ما. كانت توقع الرسائل بـ «النورس». فى «جنية البحر»[1] يقول الطحان إنه غراب، وهى فى رسائلها كانت تردد أنها نورس. والآن هى هنا.

دورن: كيف، هنا؟

تريبليف: فى المدينة، فى فندق. منذ خمسة أيام تقيم هناك فى غرفة. أنا ذهبت إليها، وماريا إيلينيشنا أيضا ذهبت، ولكنها لا تستقبل أحدًا. سيميون سيميونوفتش يؤكد أنه رآها بالأمس بعد الغداء فى الحقل، على بعد كيلومترين من هنا.

مدفيدينكو: نعم، رأيتها. كانت تسير فى تلك الجهة، نحو المدينة. حييتها، وسألتها لماذا لا تزورنا، فقالت إنها ستأتى.

تريبليف: لن تأتى.

(صمت)

أبوها وزوجته لا يريدان رؤيتها. وقد وضعا الحراس فى كل مكان لكى لا تستطيع حتى الاقتراب من الضيعة. **(يبتعد مع الدكتور إلى المكتب)** ما أسهل يا دكتور أن تكون فيلسوفا على الورق وما أصعب ذلك عمليا!

سورين: كانت فتاة ساحرة.

---

(١) «جنية البحر» قصيدة طويلة للشاعر الكبير ألكسندر بوشكين. المعرب.

دورن: ماذا؟

سورين: أقول كانت فتاة ساحرة. حتى إن مستشار الدولة سورين كان متيما بها بعض الوقت.

دورن: أيها الغندور العجوز.

(يسمع ضحك شمرايف)

بولينا أندرييفنا: يبدو أنهم جاءوا من المحطة..

تريبليف: نعم، أسمع صوت ماما.

(تدخل أركادينا وتريجورين وخلفهما شمرايف).

شمرايف: **(داخلاً)** كلنا نهرم، نتفتت بتأثير عوامل التعرية، أما أنت، يا سيدتى الموقرة، فما زلت صبية.. البلوزة الفاتحة، والحيوية.. والرشاقة..

أركادينا: تريد أن تحسدنى ثانية أيها الرجل الممل!

تريجورين: **(لسورين)** مرحبا يا بيوتر نيكولايفتش! مالك مريض دائما؟ لا يصح! **(يرى ماشا فيقول بفرح)** ماريا إيلينتشنا!

ماشا: عرفتنى؟ (تشد على يده)

تريجورين: متزوجة؟

ماشا: من زمان.

تريجورين: سعيدة؟ **(ينحنى محييا دورن ومدفيدينكو، ثم يقترب من تريبليف مترددا)** إيرينا نيكولايفنا قالت إنك نسيت الماضى ولم تعد غاضبا.

(تريبليف يمد له يده)

أركـــاديـــنـــا: **(لابنها)** ها هو بوريس أليكسييفتش قد أحضر المجلة التى نشرت قصتك الجديدة.

تـريـبـلـيـف: **(لتريجورين متناولا منه المجلة)** أشكرك. هذا كرم منك **(يجلسان)**

تـريجـوريـن: المعجبون بك يبعثون إليك بتحياتهم.. فى بطرسبرج وموسكو مهتمون بك عموما، ودائما ما يسألوننى عنك. يسألون: كيف يبدو، كم عمره، أسود الشعر أم أشقر. ولسبب ما يظنون جميعا أنك كهل. ولا أحد يعرف اسم عائلتك الحقيقى لأنك تكتب باسم مستعار. أنت غامض كذى القناع الحديدى.

تـريـبـلـيـف: هل ستبقى طويلا لدينا؟

تـريجـوريـن: كلا، غدا أنوى العودة إلى موسكو. ضرورى. أتعجل لإنهاء رواية، ثم إنى وعدت بتقديم شىء ما لمجموعة قصص. وباختصار: الحكاية القديمة.

(أثناء حديثهما تضع أركادينا وبولينا أندرييفنا طاولة لعب الورق فى وسط الغرفة وتفردانها. شمرايف يشعل الشموع ويضع الكراسى. يستخرجون من الصوان معدات اللوتو).

استقبلنى الجو استقبالا غير ودى. الريح قاسية. غدا صباحا، لو هدأت، فسأذهب إلى البحيرة لاصطياد السمك. بالمناسبة ينبغى أن أتفقد البستان، وذلك

المكان ـ أتذكر؟ ـ الذى مثلت فيه مسرحيتك. لقد نضجت فى ذهنى فكرة، فقط من الضرورى استعادة مكان الأحداث إلى الذاكرة.

ماشا: **(لأبيها)** بابا، اسمح لزوجى أن يأخذ حصانا! عليه أن يعود إلى البيت.

شمرايف: **(مقلدا)** حصانا.. إلى البيت.. **(بصرامة)** ألم ترى بنفسك..الحصان عاد لتوه من المحطة. لا يمكن إرهاقة أكثر.

ماشا: ولكن هناك خيولا أخرى.. **(عندما ترى أباها صامتا تشيح بيدها)** ما جدوى الكلام معك..

مدفيدينكو: سأعود ماشيًا يا ماشا. صحيح..

بولينا أندرييفنا: **(متنهدة)** مشيًا، فى هذا الجو.. **(تجلس إلى طاولة اللعب)** تفضلوا يا سادة.

مدفيدينكو: كل المسافة ستة كيلومترات فقط.. وداعا **(يقبل يد زوجته)** الوداع يا نينة.

(تمد له حماته يدها على مضض ليقبلها)

ماكنت لأزعج أحدًا.. ولكن الطفل.. **(ينحنى للجميع)** وداعًا.. **(ينصرف، ومشيته تبدو مذنبة)**

شمرايف: لا بأس، سيصل. ليس جنرالا.

بولينا أندرييفنا: **(تدق على الطاولة)** تفضلوا يا سادة. الوقت قليل، فقريبا سنتعشى.

(يجلس شمرايف وماشا ودورن إلى الطاولة)

أركــاديـــنــا: **(لتريجورين)** عندما تحل أمسيات الخريف الطويلة يلعبون اللوتو هنا. انظر..لوتو عتيق، كانت تلعب معنا به المرحومة أمى، عندما كنا أطفالا. ألا تريد أن تلعب معنا جولة قبل العشاء؟ **(تجلس مع تريجورين إلى الطاولة)** لعبة مملة، ولكن إذا ألفتها فلا بأس بها. **(توزع على كلٍّ منهم ثلاث بطاقات)**

تـريـبـلـيـف: **(يتصفح المجلة)** روايته قرأها، أما روايتى فلم يفض حتى صفحاتها **(يضع المجلة على المكتب، ثم يتوجه إلى الباب الأيسر، عندما يمر بجوار أمه يقبلها فى رأسها)**

أركــاديـــنــا: وأنت يا كوستيا؟

تـريـبـلـيـف: اعذرينى، لا أشعر برغبة.. سأتمشى. **(يخرج)**

أركــاديـــنــا: الرهان عشرة كوبيكات، ضع بدلا عنى يا دكتور.

دورن: حاضر.

مـــــاشـــــا: هل وضع الجميع رهانهم؟ سأبدأ..اثنان وعشرون!

أركــاديـــنــا: عندى.

مـــــاشـــــا: ثلاثة!..

دورن: هكذا.

مـــــاشـــــا: وضعتم ثلاثة؟ ثمانية! واحد وثمانون! تسعة!

شـمـــرايــف: لا تستعجلى.

أركــاديـــنــا: كيف استقبلونى فى خاركوف، يا إلهى، رأسى يدور حتى الآن!

ماشا: أربعة وثلاثون!

(خلف المسرح يتردد فالس حزين)

أركادينا: الطلبة أثاروا عاصفة من التصفيق..ثلاث سلال زهور وإكليلان وهذا.. **(تنزع من صدرها بروشا وتلقى به على الطاولة)**

شمرايف: نعم، هذا شىء قيمٌ..

ماشا: خمسون!..

دورن: خمسون تماما؟

أركادينا: كنت فى فستان مدهش.. فيما يخص الملابس فأنا أعرف كيف ألبس.

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. يشعر بالوحشة، المسكين.

شمرايف: يسبونه كثيرا فى الصحف.

ماشا: سبعة وسبعون!

أركادينا: لا داعى للالتفات إلى ذلك.

تريجورين: إنه سيئ الحظ. لا يستطيع أبدا أن يصل إلى نبرته الحقيقية. يكتب أشياء غريبة، غير واضحة، تشبه الهذيان أحيانا. ليس هناك شخصية واحدة حية.

ماشا: أحد عشر!

أركادينا: **(تتطلع إلى سورين)** بتروشا، هل تشعر بالملل؟ **(صمت)** نائم.

دورن: مستشار الدولة نائم.

ماشا: سبعة! تسعون!

تريجورين: لو عشت فى ضيعة كهذه، بجوار بحيرة، فهل كنت أكتب؟ كنت أكبت فى نفسى هذا الهوى ولا أفعل شيئا غير صيد السمك.

ماشا: ثمانية وعشرون!

تريجورين: أن تصطاد رافة أو فرخًا.. يا لها من سعادة!

دورن: أما أنا فمؤمن بقسطنطين جافريليتش. فيه ثمة شىء! ثمة شىء! إنه يفكر بالصور، وقصصه زاهية، ساطعة، وأنا أحس بها بقوة. المؤسف فقط أنه ليس لديه مهام محددة. إنه يترك أثرًا فى النفس، ولا شىء أكثر، وبالأثر وحده لن تمضى بعيدا. إيرينا نيكولايفنا، هل أنت مسرورة بأن ابنك كاتب؟

أركادينا: تصور! إننى لم أقرأه بعد. دائما مشغولة.

ماشا: ستة وعشرون!

(يدخل تريبليف بهدوء ويتجه إلى مكتبه).

شمرايف: (لتريجورين) لقد بقى لدينا يا بوريس أليكسييفتش شىء يخصك.

تريجورين: ما هو؟

شمرايف: ذات مرة اصطاد قسطنطين جافريليتش نورسا فكلفتنى أن أوصى بتحنيطه.

تريجورين: لا أذكر (متفكرا) لا أذكر!

ماشا: ستة وستون! واحد!

تريبليف: (**يفتح الشباك ويصيخ**) يا للظلام! لست أدرى لماذا أشعر بهذا الاضطراب.

أركادينا: كوستيا، أغلق الشباك، الهواء يهب.

(**تريبليف يغلق الشباك**)

ماشا: ثمانية وثمانون!

تريجورين: لقد كسبت يا سادة!

أركادينا: (**بمرح**) برافو! برافو!

شمرايف: برافوا!

أركادينا: هذا الشخص حسن الحظ دائما وأبدًا. (**تنهض**) والآن هيّا بنا نتناول شيئا ما. نجمنا المشهور لم يتغد اليوم. سنتابع اللعب بعد العشاء (**إلى ابنها**) كوستيا، اترك مخطوطاتك وهيا نتعشى.

تريبليف: لا أريد يا ماما، أنا شبعان.

أركادينا: كما تشاء، (**توقظ سورين**) بتروشا، العشاء! (**تتأبط ذراع شمرايف**) سأروى لك كيف استقبلونى فى خاركوف..

(**بولينا أندرييفنا تطفئ الشموع على الطاولة ثم تدفع هى ودورن الكرسى المتحرك. الجميع يخرجون من الباب الأيسر. يبقى فى المسرح تريبليف وحده خلف مكتبه**).

تريبليف: (يهم بالكتابة. يمر بعينيه على ماكتبه من قبل) كم تكلمت عن الأشكال الجديدة، والآن أشعر أنى شخصيا أنحدر شيئا فشيئا إلى الروتين. (يقرأ) «كان الإعلان على السور ينص..وجه شاحب يؤطره شعر أسود..» ينص، يؤطره.. هذه سخافة. (يشطب) سأبدأ من حيث استيقظ البطل على صخب المطر، وما عدا ذلك سأرميه. وصف المساء المقمر طويل وفخم. تريجورين توصل إلى طرقه الخاصة، سهل عليه أن يكتب.. عنده على السد يلمع عنق زجاجة مكسورة ويلوح ظل عجلة الطاحونة السوداء..وهذا يكفى لصنع ليلة مقمرة، أما أنا فلدىَّ النور الخفَّاق، ووميض النجوم الخافت، وأنغام المعزف البعيدة، المتلاشية فى الهواء المعطر الخفيف.. هذا معذِّب.

(صمت)

نعم، إننى أقتنع أكثر فأكثر بأن المسألة ليست فى الأشكال القديمة والجديدة، وإنما فى أن الكاتب يكتب دون أن يفكر فى أية أشكال. يكتب لأن ذلك ينساب من روحه بسلاسة.

(شخص ما يدق النافذ القريبة من المكتب)

ما هذا؟ (يتطلع فى النافذة) لا أرى شيئا.. (يفتح الباب الزجاجى وينظر إلى الحديقة) شخص ما ركض هابطا على الدرج. (يصيح) من هنا؟

(ينصرف يسمع وقع خطواته السريعة فى الشرفة. بعد نصف دقيقة يعود مع نينا زاريتشنايا)

نينا! نينا!

(نينا تضع رأسها على صدره وهى تكتم البكاء)

(متأثرا) نينا! نينا! أهو أنت.. أنت..كما لو كنت أتوقع، طوال اليوم كنت أشعر بلوعة فظيعة. **(ينزع عنها القبعة والإزار)** آه حبيبتى الطيبة، النادرة، قد جاءت! كفانا بكاء، كفانا.

نـــيـــنـــا: يوجد هنا أحد ما.

تـريـبـلـيـف: لا أحد هنا.

نـــيـــنـــا: أوصد الباب حتى لا يدخل أحد.

تـريـبـلـيـف: لن يدخل أحد.

نـــيـــنـــا: أنا أعرف.. إيرينا نيكولايفنا هنا. أوصد الباب..

تـريـبـلـيـف: **(يوصد الباب الأيمن بالمفتاح ويتجه إلى الباب الأيسر)** لا يوجد هنا قفل. سأضع الكرسى خلفه. **(يضع الكرسى خلف الباب)** لا تخافى، لن يدخل أحد.

نـــيـــنـــا: **(تحدق فى وجهه بانتباه)** دعنى أنظر إليك. **(تتلفت حولها)** المكان دافئ، مريح.. فى السابق كانت هنا غرفة الجلوس.. هل تغيرت كثيرا؟

تـريـبـلـيـف: نعم.. نحفت، وأصبحت عيناك واسعتين. نينا، من الغريب أن أراك. لماذا لم تسمحى لى برؤياك؟ لماذا لم

تأتى حتى الآن؟ أنا أعرف أنك تقيمين هنا منذ أسبوع تقريبا.. كل يوم كنت أذهب إليك عدة مرات، وأقف تحت نافذتك كالشحاذ.

نـيـنـا: كنت أخشى أنك تمقتنى. كل ليلة أحلم أنك تنظر إلىَّ ولا تتعرف علىّ. آه لو تعرف! منذ أن وصلت وأنا أدور هنا..بجوار البحيرة. كنت بجوار بيتك عدة مرات، ولم أجرؤ على الدخول. فلنجلس.

(يجلسان)

لنجلس ولنتحدث، كثيرا. المكان هنا لطيف، دافئ مريح.. أتسمع، أهى الريح؟ كما لدى تورجينيف فى إحدى قصصه: «طوبى لمن يجلس فى مثل هذه الليالى تحت سقف منزله، لمن لديه ركن دافئ». أنا نورس.. كلا، ليس هذا. (تفرك جبينها) عمَّ كنت أتحدث؟ نعم..تورجينيف.. «وليساعد الله جميع المشردين بلا مأوى»..لا بأس. **(تنتحب)**.

تـريـبـلـيـف: نينا، عدت ثانية.. نينا!

نـيـنـا: لا بأس، هذا يخفف عنى..أنا لم أبك منذ عامين. مساء الأمس، فى ساعة متأخرة، ذهبت إلى الحديقة لأرى هل مسرحنا مازال سليما. فإذا به لا يزال قائما. بكيت لأول مرة منذ عامين، فأحسست بالراحة، وأصبحت روحى أكثر صفاء. انظر، لم أعد أبكى. (تتناول يده) وهكذا

فقد أصبحت كاتبا.. أنت كاتب وأنا ممثلة.. نحن أيضا وقعنا فى الدوامة.. كنت أعيش فى مرح، كالأطفال، أستيقظ صباحا فأغنى. كنت أحبك، وأحلم بالشهرة، والآن؟ علىَّ غدًا فى الصباح الباكر أن أسافر إلى يليتس فى عربة الدرجة الثالثة.. مع الفلاحين، وفى يليتس سيثقل التجار المتعلمون علىَّ بمجاملاتهم. الحياة فظة!

تـريـبـلـيـف: ولماذا إلى يليتس؟

نـــيـــنـــا: وقعت عقدا لموسم الشتاء. آن أن أرحل.

تـريـبـلـيـف: نينا، لقد لعنتك، كرهتك، مزقت رسائلك وصورك، ولكنى فى كل لحظة كنت أدرك أن روحى مرتبطة بك إلى الأبد. أنا لا أقوى على سلواك يا نينا. ومنذ أن فقدتك، ومنذ أن بدأت أنشر قصصى أصبحت الحياة لا تطاق.. إننى أتعذب.. كما لو كان شبابى قد انتزع منى فجأة، ويخيل إلىّ أننى قد عشت فى الدنيا تسعين عاما. إننى أناديك، أقبل الأرض التى سرت عليها. وحيثما نظرت لا أرى إلا وجهك، وهذه الابتسامة الرقيقة، التى أضاءت لى فى أجمل سنوات عمرى..

نـــيـــنـــا: (مرتبكة) لماذا يتحدث هكذا، لماذا يتحدث هكذا؟

تـريـبـلـيـف: أنا وحيد، لا حب يدفئنى، أشعر بالبرد كأنى فى قبو، وكل ما أكتبه يخرج جافا، خشنا، كئيبا. ابقى هنا يا نينا، أتوسل إليك، أو اسمحى لى بالسفر معك!

(نينا ترتدى القبعة والإزار بسرعة)

نينا لماذا؟ أرجوك يا نينا..**(يتطلع إليها وهى ترتدى ملابسها)**

(صمت)

نـــيـــنـــا: العربة تقف عند الباب. لا تودعنى، سأنصرف وحدى.. **(من خلال الدموع)** أعطنى ماء..

تـريـبـلـيـف: **(يسقيها)** وإلى أين الآن؟

نـــيـــنـــا: إلى المدينة.

(صمت)

إيرينا نيكولايفنا هنا؟

تـريـبـلـيـف: نعم.. يوم الخميس ساءت حالة خالى فأرسلنا إليها برقية لكى تحضر.

نـــيـــنـــا: لماذا تقول إنك قبلت الأرض التى سرت عليها؟ ينبغى قتلى **(تميل على المكتب)** كم تعبت! لو أستريح.. لو أستريح! **(ترفع رأسها)** أنا نورس.. ليس هكذا. أنا ممثلة. نعم، حقا! **(تسمع ضحك أركادينا وتريجورين، تصيخ، ثم تركض إلى الباب الأيسر وتنظر فى فتحة القفل)** وهو أيضا هنا.. **(تعود إلى تريبليف)** نعم، حقًا.. لا بأس.. نعم.. لم يكن يؤمن بالمسرح، كان يسخر من أحلامى، وشيئا فشيئا فقدت أنا أيضا إيمانى وخار عزمى.. ثم فوق ذلك هموم الحب، والغيرة،

والخوف الدائم على الطفل.. أصبحت تافهة، ضئيلة، ومثَّلت بلا معنى.. لم أكن أعرف ماذا أفعل بيدىَّ، ولا أجيد الوقوف على الخشبة، ولا أتحكم فى صورتى. أنت لا تدرك تلك الحالة التى تحس فيها بأنك تمثل بصورة فظيعة. أنا نورس. كلا، ليس هذا.. أتذكر عندما قتلت نورسا؟ بالصدفة جاء شخص، فنظر، ومن الفراغ قضى عليها.. موضوع لقصة قصيرة.. ليس هذا.. (تفرك جبينها) عمَّ أتحدث؟.. أتحدث عن المسرح. الآن لم أعد كذلك.. أنا الآن ممثلة حقيقية، أمثِّل باستمتاع، بإعجاب، أنتشى على الخشبة وأشعر بأننى رائعة. أما الآن طالما أعيش هنا، أسير طوال الوقت، أسير وأفكر، أفكر وأشعر بقواى الروحية تنمو يوما بعد يوم.. والآن أعرف يا كوستيا، أفهم، إن المهم فى عملنا ـ سواء نلعب على المسرح أم نكتب ـ ليست الشهرة، ليس البريق، ليس ما كنت أحلم به، بل القدرة على الصبر. فلتعرف كيف تحمل صليبك، ولتؤمن. إننى أؤمن، ولذلك لا أتألم بتلك الدرجة، وعندما أفكر فى دورى فى الحياة لا أعود أخشاها.

تريبليف: (بأسى) أنت وجدت طريقك، أنت تعرفين إلى أين تقصدين، أما أنا فما زلت أحلق فى فوضى الأحلام والصور، ولا أعرف لم ذلك ومن بحاجة إليه. أنا لا أومن ولا أعرف ما هو دورى فى الحياة.

نـــيـــــنـــــا: (تصيخ) هس.. سأذهب. وداعًا. عندما أصبح ممثلة كبيرة تعال لكى ترانى. هل تعدنى؟ أما الآن.. (تشد على يده) تأخر الوقت. لا أكاد أقوى على الوقوف.. أنا منهكة، أريد أن آكل..

تـريـبـلـيـف: ابقى، وسأقدم لك عشاء..

نـــيـــــنـــــا: كلا.. لا تودعنى، سأنصرف وحدى.. العربة قريبة.. إذن فقد جاءت به معها؟ حسنا، سيان. عندما ترى تريجورين لا تقل له شيئا..إننى أحبه. أحبه حتى أقوى من السابق..موضوع لقصة قصيرة.. أحبه، أحبه بعنف، أحبه بجنون. كم كان الماضى طيبا يا كوستيا! أتذكر؟ كم كانت الحياة صافية، دافئة، مرحة، طاهرة، وأية مشاعر.. مشاعر تشبه الزهور الرقيقة الأنيقة. أتذكر؟ (تقرأ) «الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء التى عاشت فى المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التى لم يكن ممكنا رؤيتها بالعين المجردة.. باختصار كل الأحياء، كل الأحياء، انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة.. مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرا لحى، وعبثا يضىء هذا القمر المسكين مصباحه. فى المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفى غيضات الزيزفون لم يعد يسمع أزير

خنافس الربيع...» **(تعانق تريبليف بحدة وتركض عبر الباب الزجاجى).**

تـريـبـلـيـف: **(بعد فترة)** سيكون من السيئ لو رآها أحد فى الحديقة ثم أخبر ماما بذلك. قد يحزن هذا ماما..

(على امتداد دقيقتين يمزق كل مخطوطاته ويلقى بها تحت المكتب، ثم يفتح قفل الباب الأيمن وينصرف)

دورن: **(يحاول فتح الباب الأيسر)** غريبة. يبدو وكأن الباب موصد.. **(يدخل ويضع الكرسى فى مكانه)** سباق حواجز.

(تدخل أركادينا وبولينا أندرييفنا، ومن خلفهما ياكوف حاملا زجاجات، وماشا، ثم شمرايف وتريجورين).

أركـــاديـــنـــا: النبيذ الأحمر والبيرة لبوريس أليكسييفتش ضعها هنا، على الطاولة. سنلعب ونشرب. فلنجلس يا سادة.

بولينا أندرييفنا: **(لياكوف)** قدم الشاى حالا. **(تشعل الشموع وتجلس إلى طاولة اللعب).**

شـــمـــرايـــف: **(يقود تريجورين إلى الصوان)** ها هو الشىء الذى حدثتك عنه منذ فترة.. **(يستخرج من الصوان نورسا محنطا)** حسب طلبك.

تـــريجــوريـــن: **(ينظر إلى النورس)** لا أذكر! **(يفكر قليلا)** لا أذكر!

(إلى اليمين خلف المسرح تدوى طلقة. الجميع ينتفضون)

أركـــاديـــنـــا: **(بفزع)** ما هذا؟

دورن: لا شيء. لا بد أن زجاجة ما انفجرت فى صيدليتى المحمولة. لا تقلقوا. (**يخرج من الباب الأيمن، ويعود بعد نصف دقيقة**) هو كذلك. انفجرت قارورة أثير. (**يدندن**) «بين يديك من جديد قد وقفت ذاهلاً..»

أركاديـنـا: (**تجلس إلى الطاولة**) أف، كم فزعت.. ذكرنى هذا بـ.. (**تخفى وجهها بيديها**) دارت الدنيا فى عينى..

دورن: (**لتريجورين وهو يقلب مجلة**) نشروا هنا مقالة منذ شهرين... رسالة من أمريكا، وبالمناسبة أردت أن أسألك (**يحيط بخصر تريجورين ويقوده إلى مقدمة المسرح**) ولما كنت مهتما جدا بهذه المسألة.. (**بنبرة أخفض، بشبه همس**) خذ إيرينا نيكولا يفنا من هنا بأية وسيلة. المسألة أن قسطنطين جافريليتش انتحر..

(ستار)

الخال فانيا
مشاهد من الحياة الريفية
فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

سيريبرياكوف ألكسندر	
فلاديميروفتش	أستاذ متقاعد
يلينا أندرييفنا	زوجته ٢٧ سنة
صوفيا ألكسندروفنا (سونيا)	ابنته من زوجته الأولى
فوينيتسكايا ماريا فاسيليفنا	أرملة مستشار سرى. أم زوجة الأستاذ الأولى
فوينيتسكى إيفان بتروفيتش	ابنها
أستروف ميخائيل لفوفيتش	طبيب
تيليجين إيليا إيليتش	إقطاعى مفلس
مارينا	مربية عجوز
عامل	

تدور الأحداث فى ضيعة سيريبرياكوف

الفصل الأول

بستان. يرى جزء من المنزل بشرفة. تحت شجرة عتيقة فى ممر وضعت طاولة عليها آنية الشاى. أرائك، مقاعد. على إحدى الأرائك جيتار. وغير بعيد عن الطاولة أرجوحة. الساعة تدور فى الثالثة بعد الظهر. الجو غائم. مارينا (عجوز رخوة، قليلة الحركة، تجلس بجوار السماور وتحيك جوربا) وأستروف (يذرع المكان بجوارها)

مارينا: **(تصب الشاى فى كوب)** تفضل يا بنى.

أستروف: **(يتناول الكوب بلا رغبة)** لا أشعر برغبة.

مارينا: هل تريد بعض الفودكا؟

أستروف: كلا. أنا لا أشرب الفودكا كل يوم. ثم إن الجو خانق.

(صمت)

يا دادة، كم سنة مضت على تعارفنا؟

مارينا: **(متفكرة)** كم سنة؟ فليهبنى الله الذاكرة.. أنت وصلت إلى هنا، إلى هذه الناحية.. متى؟ كانت فيرا بتروفنا، أم سونيا، ما تزال على قيد الحياة. أنت جئت إلينا شتاءين

وهى بعد حية..إذن مرت حوالى إحدى عشرة سنة.
(بعد تفكير قصير) وربما أكثر..

أستروف: هل تغير كثيرا من ذلك الحين؟

مارينا: كثيرًا. كنت آنذاك شابا، جميلا، أما الآن فهرمت. ولم تعد جميلا كما كنت. والفودكا أيضا لا تتجنبها.

أستروف: نعم.. خلال عشر سنوات أصبحت شخصا آخر. وما هو السبب؟ كثرة العمل يا دادة. من الصباح إلى المساء على قدمى، لا أعرف للراحة طعما، وفى الليل أرقد تحت البطانية وأخشى أن يستدعونى لعيادة مريض. طوال هذه الفترة التى مضت على تعارفنا لم يكن عندى يوم فراغ واحد. فكيف لا أهرم؟ ثم إن الحياة بحد ذاتها مملة، حمقاء، قذرة.. تشدك كالمستنقع! لا ترى حولك سوى أناس غريبى الأطوار، فقط غريبى الأطوار. وعندما تعيش بينهم عامين أوثلاثة تصبح أنت نفسك، شيئا فشيئا، ودون أن تلاحظ، غريب الأطوار. قدر محتوم. **(يفتل شاربيه الطويلين)** انظرى هذه الشوارب الضخمة التى ربيتها.. شوارب حمقاء. أصبحت غريب الأطوار يا دادة.. بخصوص الغباء، لم أصبح غبيا بعد والحمد لله، ظل عقلى فى مكانه، لكن الأحاسيس تبلدت بصورة ما. لا أريد شيئا، لا أحتاج إلى شىء، لا أحب أحدا.. اللهم إلا أنت فقط. **(يقبل رأسها)** فى طفولتى كان لدى دادة مثلك.

ماريـنـا: لعلك تريد أن تأكل؟

أستروف: كلا: فى الصيام الكبير سافرت فى الأسبوع الثالث إلى قرية ماليتسكويه لمكافحة الوباء.. وباء التيفوس.. بيوت الفلاحين مكدسة بالبشر..قذارة، عفونة، دخان، والعجول على الأرض، مع المرضى.. والخنازير أيضا.. عملت طوال النهار، لم أجلس لحظة، لم أذق حتى قطرة ماء، وحينما عدت إلى البيت لم يدعونى أرتاح، جاءوا من السكة الحديدية بعامل التحويلة. وضعته على الطاولة لأجرى له عملية جراحية، فإذا به يموت تحت البنج. وهنا، وحيث لا داعى، استيقظت أحاسيسى، فشعرت بوخز ضمير كأنما قتلته عن عمد.. جلست، وأغمضت عينىّ، هكذا، ورحت أفكر ترى هل سيذكرنا بكلمة طيبة أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتى عام، والذين نشق لهم الآن الطريق؟ لن يذكروا يا دادة!

ماريـنـا: إذا لم يذكر الناس فالله يذكر.

أستروف: لك الشكر. أحسنت القول.

(يدخل فوينيتسكى)

فوينيتسكى: **(يخرج من البيت. شبع نوما بعد الإفطار ويبدو مظهره غير مهندم. يجلس على الأريكة. يصلح رابطة عنقه الأنيقة).** نعم..

(صمت)

نعم..

أستروف: شبعت نوما؟

فوينيتسكى: نعم.. جدا. **(يتثاءب)** منذ أن بدأ الأستاذ يعيش هنا مع قرينته اختل نظام الحياة.. أنام فى غير الأوان، وفى الإفطار والغداء أتناول شتى أنواع الصلصات وأشرب الخمر.. كل هذا مضر!.. من قبل لم تكن عندى دقيقة فراغ، كنت أعمل أنا وسونيا كالفَعَلة، والآن فسونيا هى التى تعمل، أما أنا فأنام وآكل وأشرب..شىء مخجل!

مارينا: **(تهز رأسها)** يا لها من أحوال! الأستاذ ينهض فى الساعة الثانية عشرة، والسماور يغلى منذ الصباح فى انتظاره. قبل أن يأتوا كنا نتغدى دائما فى الواحدة، مثل كل الناس، أما الآن ففى السابعة. وفى الليل يقرأ الأستاذ ويكتب، وفجأة يدق الجرس فى الساعة الثانية.. ماذا هناك يا ربى؟ يريد شايا! فلتوقظ من أجله الناس، ولتشعل السماور.. يا لهامن أحوال!

أستروف: وهل سيبقون هنا طويلا؟

فوينيتسكى: **(يصفر)** مائة سنة. قرر الأستاذ أن يستقر هنا.

مارينا: والآن نفس الأمر. السماور يغلى منذ ساعتين، أما هم فذهبوا ليتنزهوا.

فوينيتسكى: قادمون.. قادمون.. اطمئنى.

(تسمع أصوات. من عمق البستان يقبل سيريبرياكوف ويلينا أندرييفنا وسونيا وتيليجين).

سيريبرياكوف: رائع رائع.. مناظر خلابة.

تيليجين: بديعة يا صاحب المعالى.

سونيا: سنذهب غدا إلى الغابة يا بابا. هل تأتى؟

فوينيتسكى: يا سادة، تفضلوا الشاى!

سيريبرياكوف: أرجوكم يا أصدقاء ابعثوا بالشاى إلى مكتبى لو سمحتم، علىَّ اليوم أن أنجز بعض الأشياء.

سونيا: الغابة ستعجبك حقا..

(تدخل يلينا أندرييفنا وسيريبرياكوف وسونيا البيت. يتجه تيلجين إلى المائدة ويجلس بجوار مارينا).

فوينيتسكى: الجو حار، خانق، وعالمنا العظيم يرتدى المعطف والخف والقفازات ويحمل المظلة.

أستروف: إذن فهو يراعى نفسه.

فوينيتسكى: ما أجملها! ما أجملها! لم أر فى حياتى امرأة أجمل منها.

تيليجين: يا مارينا تيموفييفنا، سواء كنت أمر بالعربة فى الحقل، أم أتنزه فى البستان الظليل، أم أنظر إلى هذه المائدة، فإننى أشعر بمتعة لا تفسير لها! الجو ساحر، والطيور تصدح، وكلنا نعيش فى سلام ووئام، فما الذى نبغيه أكثر؟ **(يتناول منها الكوب)** تقبلى خالص شكرى!

فوينيتسكى: **(حالما)** عيناها.. امرأة ساحرة!

أســـــــتروف: احك لنا شيئا يا إيفان بتروفتش.

فـو ينيتســـكى: (بتراخ) ماذا تريد أن تسمع؟

أســـــــتروف: أليس لديك جديد؟

فـو ينيتســـكى: كلا. كل شىء قديم. أنا مثلما كنت، بل وأصبحت أسوأ، فقد تكاسلت، ولا أفعل شيئا، فقط أتذمر كالعجوز المزعج. وعصفورتى العجوز، maman، مازالت تتحدث عن تحرير المرأة. تنظر بإحدى عينيها إلى القبر، وبالأخرى تبحث فى كتبها الذكية عن فجر الحياة الجديدة.

أســـــــتروف: والأستاذ؟

فـو ينيتســـكى: الأستاذ، كما فى السابق، يجلس فى غرفة مكتبه من الصباح حتى آخر الليل ويكتب. «ونقدح التفكير، نعصر الجبين، ونكتب القصائد العصماء، لكننا لا نسمع الثناء، لما نخط أو لشخصنا الكريم». يا للورق المسكين! كان الأفضل لو كتب سيرة حياته. يا له من موضوع ممتاز! أستاذ متقاعد، أتدرى، عجوز أعجف، فسيخة مقددة متعلمة.. يعانى من النقرس والروماتيزم والصداع، ومن الغيرة والحسد انتفخت كبده.. وتعيش هذه الفسيخة فى ضيعة زوجته الأولى، يعيش مرغما، لأنه غير قادر على تحمل تكاليف الحياة فى المدينة. ويشكو دائما من مصائبه، رغم أنه فى الواقع سعيد إلى

أقصى حد. (بعصبية) انظر أى حظ! ابن شماس بسيط، تلميذ مدرسة دينية ولكنه حصل على الدرجات العلمية وعلى كرسى تدريس، وأصبح صاحب المعالى، وصهرا لعضو مجلس الشيوخ وهلم جرا وهلم جرا.. غير أن هذا كله عموما غير مهم. لكن انظر إلى التالى. شخص يقرأ ويكتب عن الفن طوال خمس وعشرين سنة، وهو لايفقه فى الفن شيئا على الإطلاق. طوال خمس وعشرين سنة يلوك أفكار الآخرين حول الواقعية والناتورالية وغيرها من السخافات. خمسًا وعشرين سنة يقرأ ويكتب عما هو معروف من زمان للأذكياء، وغير ممتع للأغبياء، وإذن، فهو طوال خمس وعشرين سنة يطحن الماء. وفى الوقت نفسه فأى غرور! أى ادعاء! لقد تقاعد ولم يعد يعرفه إنسان واحد، إنه نكرة. وإذن فقد شغل طوال خمس وعشرين سنة مكانا ليس له. ولكن انظر كيف يسير، كأنه شبه إله!

أستروف: أوه، يبدو أنك تحسده.

فوينيتسكى: نعم، أحسده! وأية حظوة لدى النساء! لم يحظ دون جوان واحد بمثل هذا التوفيق التام! زوجته الأولى، أختى، مخلوق رائع وديع، نقية كهذه السماء الزرقاء، نبيلة، سمحاء، كان لها من العشاق أكثر مما لديه من التلاميذ.. أحبته كما لا يحب إلا الملائكة الأطهار

أمثالهم من الرائعين الأنقياء. وأمى، حماته، مازالت تعبده حتى الآن، وإلى الآن مازال يبعث فيها الرعب المقدس. وزوجته الثانية حسناء، ذكية ـ قد رأيتها لتوك ـ تزوجته وقد أصبح عجوزا، ووهبته شبابها، وجمالها، وحريتها، وألقها. مقابل ماذا، لماذا؟

أســـــتروف: هل هى وفية للأستاذ؟

فـو ينيتســكى : نعم، للأسف.

أســـــتروف: ولماذا للأسف؟

فـو ينيتســكى : لأن هذا الوفاء مزيف من الألف إلى الياء. فيه الكثير من التكلف ولكن ليس فيه منطق. فخيانة الزوج العجوز الذى لا تطيقه شىء لا أخلاقى، أما قهر الشباب المسكين والمشاعر الحية فليس شيئا لا أخلاقيا.

تـيـلـيـجـين: (بصوت باك) فانيا، أنا لا يعجبنى كلامك هذا. يكفى، حقا.. إن من يخن زوجته أو من تخن زوجها، فهو إنسان غير مخلص، بوسعه أن يخون وطنه!

فـو ينيتســكى : (بأسى) أغلق هذه النافورة، يا وفل![1]

تـيـلـيـجـين: دعنى أقول يا فانيا. زوجتى هربت منى مع حبيبها فى اليوم الثانى لزواجنا مباشرة بسبب هيئتى غير الجذابة. ومن يومها لم أخل بواجبى. مازلت إلى الآن أحبها، مخلصا لها، وأساعدها بقدر ما أستطيع، وأنفقت ما

---

(١) وفل ـ كعكة ذات نتوءات مربعة أو مدورة. المعرب.

أملك لتربية أولادها الذين أنجبتهم ممن أحبته. لقد فقدت السعادة، ولكن بقيد لى العزة. وهى؟ ولَّى شبابها، وانطفأ جمالها تحت تأثير قوانين الطبيعة، وتوفى حبيبها.. فما الذى بقى لها؟

(تدخل سونيا ويلينا أندرييفنا. بعد قليل تدخل ماريا فاسيليفنا وبيدها كتاب. تجلس وتقرأ. يقدمون لها الشاى فتتناوله دون أن ترفع عينيها).

سونيا: **(للمربية بعجلة)** الفلاحون هناك يا دادة، جاءوا. اذهبى إليهم، أنا سأتولى الشاى.. **(تصب الشاى).**

(المربية تنصرف. يلينا أندرييفنا تتناول قدحها وتشرب وهى جالسة فى الأرجوحة).

أستروف: **(ليلينا أندرييفنا)** لقد جئت لرؤية زوجك. أنت كتبت لى بأنه مريض جدا، روماتزم وأشياء أخرى، واتضح أنه صحيح معافى.

يلينا أندرييفنا: مساء أمس كان متوعكا، واشتكى من آلام فى ساقيه، أما اليوم فلا بأس.

أستروف: ولكنى قطعت ثلاثين فرسخا على عجل. لا بأس. ليست هذه أول مرة. على كل حال سأبقى عندكم إلى الغد، على الأقل أنام quantum satis [1].

سونيا: عظيم. من النادر أن تبيت عندنا. تراك لم تتغد؟

أستروف: كلا، لم أتغد.

---

(١) بما فيه الكفاية (باللاتينية فى الأصل). المعرب.

سـونـيـا: إذن تتغدى معنا بالمناسبة. نحن الآن نتغدى فى السابعة. **(تشرب الشاى)** الشاى باردا!

تـيـلـيـجـين: الحرارة هبطت كثيرا فى السماور.

يلينا أندرييفنا: لا بأس يا إيفان إيفانيتش، سنشربه باردا.

تـيـلـيـجـين: عفوا..ليس إيفان إيفانيتش، بل إيليا إيليتش.. إيليا إيليتش تيليجين، أو كما يحلو للبعض أن يسمينى الوفل بسبب وجهى المجدور. فى وقت ما عمَّدتُ سونيا، وصاحب المعالى زوجك يعرفنى جيدا. أنا الآن أعيش عندكم، فى هذه الضيعة.. ولعلك لاحظت أننى أتغدى معكم كل يوم.

سـونـيـا: إيليا إيليتش مساعدنا، ذراعنا اليمنى. **(برقة)** هات يا أبى فى العماد أصب لك مزيدا من الشاى.

ماريا فاسيليفنا: آه!

سـونـيـا: ماذا بك يا جدتى؟

ماريا فاسيليفنا: نسيت أن أقول لألكسندر.. تخوننى ذاكرتى.. اليوم تسلمت رسالة من بافل أليكسيفتش فى خاركوف... أرسل إلينا كتيبه الجديد..

أسـتروف: أهو شيق.؟

ماريا فاسيليفنا: شيق، ولكنه غريب نوعا ما. يدخض ما كان يدافع عنه هو نفسه منذ سبع سنوات. هذا فظيع!

فـو ينيتسـكى: ليس فى ذلك أى فظاعة. اشربى الشاى يا maman.

ماريا فاسيليفنا: ولكنى أريد أن أتحدث!

فو ينينسكى: ولكننا منذ خمسين سنة نتحدث ونتحدث ونقرأ الكتيبات. آن إذن أن نفرغ من ذلك.

ماريا فاسيليفنا: لست أدرى لماذا تشعر بالضيق عندما تسمعنى أتحدث. عفوا يا جان، ولكنك فى السنة الأخيرة تغيرت كثيرا حتى لم أعد أعرفك.. كنت شخصا محدد المبادئ، شخصية مشرقة..

فوينيتسكى: أوه، طبعا! كنت شخصية مشرقة لا تنشر نورها على أحد..

(صمت)

كنت شخصية مشرقة.. ليس هناك مزحة أكثر سما من هذا! أنا الآن فى السابعة والأربعين. حتى العام الماضى كنت مثلك أضع على عينى عمدا غشاوة من سفسطتك هذه كيلا أرى الحياة الحقيقية، وكنت أظن أننى أصنع خيرا. أما الآن، آه لو تدرين! لا أنام الليل من الأسى، من الغيظ، لأنى أهدرت بحماقة ذلك العمر الذى كان بوسعى أن أحصل فيه على كل ما تحرمه علىَّ الآن شيخوختى!

سونيا: هذا ممل يا خالى فانيا!

ماريا فاسيليفنا: **(لابنها)** كأنك تتهم معتقداتك السابقة بجريمة ما.. ولكنها ليست المذنبة، بل أنت. لقد نسيت أن المعتقدات

في حدا ذاتها ليست شيئا، أحرف ميتة.. كان ينبغى أن تؤدى عملاً.

فـو ينيتسـكى : عمل؟ ليس بوسع كل واحد أن يكون perpetuum mobile! كاتبا[1]، مثل صاحبك الهر بروفيسور.

ماريا فاسيليفنا: ماذا تريد بذلك أن تقول؟

سـونـيـا: **(بضراعة)** يا جدتى! يا خالى فانيا! أتوسل إليكما!

فـو ينيتسـكى : ها أنا أسكت. أسكت وأعتذر.

(صمت)

يلينا أندرييفنا الطقس اليوم جيد.. ليس حارا..

(صمت)

فـو ينيتسـكى : فى طقس كهذا يحلو الانتحار شنقا...

(تيليجين يضبط الجيتار. مارينا تتحرك بجوار البيت وتنادى الدجاجات)

مـاريـنـا: كِتْ، كِتْ، كتْ..

سـونـيـا: لماذا جاء الفلاحون يا دادة؟...

مـاريـنـا: لنفس الغرض، بخصوص قطعة الأرض الفضاء. كتْ، كتْ، كتْ..

سـونـيـا: من تنادين؟

مـاريـنـا: الفرخة الأم ذهبت مع الكتاكيت.. أخشى أن تطاردها الحدأة.. **(تنصرف)**

---

(١) محركا أبديا (باللاتينية). المعرب.

(تيليجين يعزف البولكا. الجميع يصغون فى صمت. يدخل أحد العاملين).

العـــامـــل: السيد الدكتور هنا؟ **(لأستروف)** تفضل يا ميخائيل لفوفتش، هناك من يطلبك.

أســــتروف: من أين؟

العـــامـــل: من الفابريكة.

أســــتروف: **(بأسى)** شكرا جزيلا. طيب، علىَّ أن أرحل.. **(يبحث بعينيه عن العمرة)** يا للشيطان، أمر مؤسف..

ســونـيـــا: صحيح شىء مزعج.. بعد الفابريكة تعال إلى الغداء.

أســــتروف: كلا، سيكون ذلك متأخرا. أين لنا..؟ وكيف..؟ **(للعامل)** اسمع، أحضر لى من فضلك كأس فودكا، بالفعل.

(العامل ينصرف)

أيـن لـنـا..؟ وكـيـف..؟ **(يجـد عمرته)** فى إحدى مسرحيات أستروفسكى يوجد شخص بشوارب كبيرة ومواهب قليلة..هذا هو أنا. حسنا، وداعا يا سادة.. **(ليلينا أندرييفنا)** لو زرتنى فى يوم ما، ربما مع صوفيا ألكسندروفنا، فسأكون فى غاية السرور. عندى ضيعة صغيرة، لا تزيد على ثلاثين ديسياتينا، ولكن إذا كنت تهتمين فعندى بستان نموذجى ومشتل لن تجدى مثله على بعد ألف فرسخ. وقريبا منى غابة حكومية.. الحارس هناك عجوز، مريض دائما، ولذلك فأنا فى الواقع أتولى جميع الأعمال.

يلينا أندرييفنا: أخبرونى أنك تحب الغابات كثيرا. بالطبع من الممكن أن تؤدى بذلك خدمة كبيرة، ولكن ألا يعرقل هذا مهمتك الحقيقية؟ إنك طبيب.

أستروف: الله وحده يعلم ما هى مهمتنا الحقيقية.

يلينا أندرييفنا: وهل الأمر شيق؟

أستروف: نعم شيق.

فوينيتسكى: (**بسخرية**) جدا!

يلينا أندرييفنا: (**لأستروف**) أنت لم تزل شابا.. من مظهرك تبدو فى الـ.. حسنا، فى السادسة أو السابعة والثلاثين.. وأعتقد أن الأمر ليس شيقا كما تقول. الغابة ولا شىء آخر، أظن أن ذلك رتيب ممل.

سونيا: كلا، هذا شيق للغاية. ميخائيل لفوفتش يغرس كل عام غابات جديدة، وقد أرسلوا له ميدالية برونزية وشهادة وهو يسعى من أجل المحافظة على الغابات القديمة. ولو استمعت إليه فستوافقينه تماما. يقول إن الغابات زينة الأرض، وإنها تعلّم الإنسان كيف يدرك الجمال وتوحى إليه بمزاج العظمة. الغابات تخفف من قسوة المناخ. وفى البلدان ذات المناخ المعتدل ينفق الناس مجهودا أقل فى الصراع ضد الطبيعة ولذلك فالإنسان فيها أرق وألطف. الناس هناك حسان، مرنون، سريعو الانفعال، وكلامهم منمق وحركاتهم رشيقة. والعلوم

والفنون مزدهرة لديهم، وفلسفتهم ليست كئيبة، ونظرتهم إلى المرأة مفعمة بالنبل الجميل..

فوينيتسكى: **(ضاحكا)** برافو! برافو!... كل هذا لطيف ولكن غير مقنع، ولذلك (ملتفتا إلى أستروف) فلتسمح لى يا صديقى أن أواصل إشعال الحطب فى المدافئ وبناء الحظائر من الأخشاب.

أستروف: بوسعك أن تستخدم فحم المستنقعات للتدفئة، وأن تبنى الحظائر من الأحجار. حسنا، إننى أفهم أن نقطع الأشجار بسبب الحاجة، ولكن لماذا تقضى على الغابات؟ الغابات الروسية تتهاوى تحت ضربات الفئوس، وتهلك مليارات الأشجار، وتقفر ملاجئ الوحوش والطيور، وتغيض وتجف الأنهار، وتختفى بلا رجعة المناظر الطبيعية الرائعة، وكل ذلك لأن الإنسان الكسول لا يجد من العقل ما يكفى لكى ينحنى ويلتقط الوقود من الأرض. **(ليلينا أندرييفنا)** أليس كذلك يا سيدتى؟ ينبغى أن يكون المرء بربريا جاهلا لكى يحرق فى المدفأة هذا الجمال، ويدمر ما لا نستطيع أن نخلقه. لقد وهب الإنسان عقلا وقوة مبدعة لكى يضاعف ما أعطى له، لكنه إلى الآن لم يبدع بل دمَّر. الغابات تتناقص والأنهار تجف، الطيور البرية اختفت، والمناخ فسد، ومع كل يوم تصبح الأرض أفقر

وأقبح. (لفوينيتسكى) ها أنت ذا تنظر إلىّ باستهزاء، وكل ما أقوله يبدو لك غير جدى و.. وربما كان هذا بالفعل غرابة أطوار، ولكننى عندما أمر بجوار غابات الفلاحين التى أنقذتها من الاجتثاث، أو عندما أسمع حفيف شجيراتى الفتية، فى الغابة التى غرستها بيدىّ، أدرك أن المناخ جزئيا تحت سيطرتى أنا أيضا، وأنه إذا ما أصبح الإنسان سعيدا بعد ألف عام فسأكون أنا إلى حد ما أحد المتسببين فى ذلك. عندما أغرس بتولا، ثم أراها وهى تخضرّ وتهتز مع الريح تمتلئ روحى بالفخر وأنا..
(يرى بجواره العامل حاملا كأس فودكا على صينية)
حسنا.. (يشرب) آن لى أن أمضى. ربما كان ذلك كله غرابة أطوار بالفعل. وداعا يا سادة! **(يتجه إلى البيت)**

سونيا: **(تتأبط ذراعه وتمضى معه)** متى ستأتى لتزورنا؟

أستروف: لست أدرى..

سونيا: مرة أخرى بعد شهر؟..

(يمضى أَستروف وسونيا إلى البيت. تبقى ماريا فاسيليفنا وتيليجين بجوار المائدة. تمضى يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى إلى الشرفة).

يلينا أندرييفنا: مرة أخرى كان سلوكك يا إيفان بتروفتش فظيعا. هل كان ثمة ضرورة لإثارة ماريا فاسيليفنا والحديث عن perpetuum mobile!. واليوم أيضا تجادلت مع ألكسندر أثناء الإفطار. ما أسخف ذلك!

فوينيتسكى: وما العمل إذا كنت أمقته!

يلينا أندرييفنا: ليس هناك ما يدعو إلى كراهية ألكسندر، إنه مثل الآخرين. ليس أسوأ منك.

فوينيتسكى: آه لو كان بوسعك أن ترى وجهك وحركاتك.. كم تتكاسلين على الحياة! يا له من كسل!

يلينا أندرييفنا: آه، نعم كسل وملل! الجميع يذمون زوجى، والجميع ينظرون إلىّ برثاء: يا للبائسة، زوجة عجوز! هذا الإشفاق علىّ، أوه كم أفهمه! مثلما قال أستروف الآن: كلكم تهلكون الغابات بلا تبصر، وعما قريب لن يبقى شىء على وجه الأرض. وهكذا تماما تهلكون الإنسان بلا تبصر، وعما قريب لن يبقى على وجه الأرض بفضلكم لا وفاء ولا طهارة ولا قدرة على التضحية بالنفس. لماذا لا تستطيعون أن تنظروا بلا مبالاة إلى امرأة ليست لكم؟ لأن فى داخل كل منكم ـ وذلك الطبيب على حق ـ يقبع شيطان دمار. أنتم لا تشفقون لا على الغابات، ولا على الطيور، ولا على النساء ولا على بعضكم البعض..

فوينيتسكى: أنا لا أحب هذه الفلسفة!

(صمت)

يلينا أندرييفنا: هذا الطبيب وجهه مرهق، عصبى وجه طريف. يبدو أنه يعجب سونيا، إنها متيمة به وأنا أفهمها... منذ أن حضرت جاء إلى هنا ثلاث مرات، ولكنى خجولة فلم

أتحدث معه كما ينبغى ولا مرة، ولم ألاطفه. وظن أننى شريرة. أظن يا إيفان بتروفتش أن صداقتنا على هذه الدرجة من القوة لأننا كلينا ممل! نعم، نحن مضجران! لا تنظر إلىَّ هكذا. أنا لا أحب هذا.

فوينيتسكى : وهل أستطيع أن أنظر إليك بصورة أخرى إذا كنت أحبك؟ أنت سعادتى، حياتى، شبابى! أعرف أن فرصتى فى الشعور المتبادل ضئيلة، تساوى صفرا، ولكن لا أطمع فى شىء، فقط اسمحى لى بأن أتطلع إليك، وأسمع صوتك..

يلينا أندرييفنا: حاسب وإلا سمعك أحد!

(يذهبان إلى البيت)

فوينيتسكى : (سائرا خلفهما) فلتسمحى لى بأن أتحدث عن حبى، لا تصدينى عنك وهذا وحده سيكون أعظم سعادة لى.

يلينا أندرييفنا: يا للعذاب .

(يدخلان البيت)

(تيليجين يضرب على الأوتار ويعزف البولكا. ماريا فاسيليفنا تدون شيئا ما على هوامش الكتيب).

(ستار)

الفصل الثانى

(غرفة الطعام فى منزل سيريبرياكوف. الوقت ليل. تسمع دقات الحارس فى البستان، سيريبرياكوف يجلس غافيا فى مقعد أمام نافذة مفتوحة ويلينا أندرييفنا تجلس بجواره غافية أيضا)

سيريبرياكوف: (**مستيقظا**) من هنا؟ أهى أنت يا سونيا؟

يلينا أندرييفنا: هذه أنا.

سيريبرياكوف: أنت يا لينوتشكا.. ألم لا يطاق!

يلينا أندرييفنا: الحرام سقط منك على الأرض. (**تدثر ساقيه**) سأغلق النافذة يا ألكسندر.

سيريبرياكوف: كلا، أشعر بالاختناق.. لقد غفوت الآن فحلمت بأن ساقى اليسرى تبدو ليست لى. استيقظت من ألم لا يطاق. كلا هذا ليس نقرسا، الأرجح روماتيزم. كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: الثانية عشرة وعشرون دقيقة.

(صمت)

سيريبرياكوف: ابحثى فى الصباح عن باتوشكوف [1] فى المكتبة. يبدو أنه موجود.

يلينا أندرييفنا: ماذا؟

سيريبرياكوف: ابحثى فى الصباح عن باتوشكوف. أذكر أنه موجود عندنا. ولكن لماذا أشعر بضيق تنفس هكذا؟

يلينا أندرييفنا: لقد أرهقت. لا تنام لثانى ليلة.

سيريبرياكوف: يقال إن تورجينيف أصيب بذبحة صدرية بسبب النقرس. أخشى أن أصاب أنا أيضا. يا لها من شيخوخة فظيعة، ملعونة، تبًا لها. عندما أصبحت عجوزًا صرت أشمئز من نفسى. ولعلكم جميعا تشمئزون من النظر إلىّ.

يلينا أندرييفنا: أنت تتحدث عن شيخوختك بنبرة وكأنما نحن كلنا مذنبون فى أنك عجوز.

سيريبرياكوف: أنت أول من يشمئز منى.

(يلينا أندريفنا تبتعد عنه وتجلس على مقربة)

طبعا أنت على حق. لست أحمق وأفهم. أنت شابة، عفية، جميلة، ترغبين فى الحياة، أما أنا فعجوز، جثة تقريبا. وماذا؟ أتظنيننى لا أفهم؟ ومن الحماقة بالطبع أننى ما زلت حيا إلى الآن. ولكن اصبروا، قريبا سأريحكم جميعا. لم يبق أمامى الكثير.

---

(١) قسطنطين باتوشكوف (١٧٨٧ ـ ١٨٥٥) ـ شاعر روسى رومانسى. المعرب.

يلينا أندرييفنا: أنت ترهقنى.. أرجوك اسكت.

سيريبرياكوف: وإذن فبسببى يرهق الجميع، ويسأمون، ويهلكون شبابهم، وأنا الوحيد الذى أتمتع بالحياة وأشعر بالرضا. طبعا، فعلا!

يلينا أندرييفنا: اسكت! لقد عذبتنى!

سيريبرياكوف: لقد عذبت الجميع. طبعا.

يلينا أندرييفنا: (**من خلال الدموع**): هذا لا يطاق! قل لى ماذا تبغى منى؟

سيريبرياكوف: لا شىء.

يلينا أندرييفنا: فلتسكت إذن. أرجوك.

سيريبرياكوف: شىء غريب.. إذا ما تحدث إيفان بتروفتش، أو هذه البلهاء العجوز ماريا فاسيليفنا، فلا بأس.. الجميع يصغون، وما إن أقول ولو كلمة حتى يشعر الجميع بأنهم تعساء. حتى صوتى كريه عليهم. حسنا، فلنفرض أننى كريه، أننى أنانى، طاغية.. أفليس لى بعض الحق، حتى فى شيخوختى، فى الأنانية؟ أفلست جديرا بذلك؟ إننى أسألكم، أليس لى الحق فى شيخوخة هادئة، فى اهتمام الآخرين بى؟

يلينا أندرييفنا: لا أحد ينازع؛ حقوقك.

(**الريح تصفق النافذة**)

الريح اشتدت، سأغلق النافذة. (**تغلقها**) سيسقط المطر حالا. لا أحد ينازعك حقوقك.

(صمت. الحارس يدق فى البستان ويغنى)

سيريبرياكوف: تعمل طوال عمرك من أجل العلم، وتألف غرفة مكتبك، وقاعة المحاضرات، والرفاق المحترمين.. وفجأة تفيق فتجد نفسك دونما سبب فى هذا اللحد، وترى كل يوم أناسا أغبياء وتسمع أحاديث تافهة.. أنا أريد أن أعيش، إننى أحب النجاح، أحب الشهرة والصخب، أما هنا فكما فى المنفى. كل لحظة تحن إلى الماضى، وتراقب نجاح الآخرين وتخاف الموت.. لا أستطيع! لا أحتمل! وفوق ذلك لا يريدون أن يغفروا لى شيخوختى!

يلينا أندرييفنا: انتظر، اصبر، بعد خمس أو ست سنوات سأصبح أنا أيضا عجوزًا.

(تدخل سونيا)

سونيا: بابا، أنت أمرت باستدعاء الدكتور أستروف، وعندما جاء رفضت استقباله. ليس هذا من اللياقة. عبثا أزعجنا الرجل..

سيريبرياكوف: وما حاجتى إلى صاحبك أستروف؟ إنه يفهم فى الطب كما أفهم أنا فى الفلك.

سونيا: هل نستدعى من أجل نقرسك كلية الطب بأكملها؟

سيريبرياكوف: لن أتحدث مع هذا الأبله.

سونيا: كما تشاء. (تجلس) بالنسبة لى سيان.

سيريبرياكوف: كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: تقترب من الواحدة.

سيريبرياكوف: الجو خانق.. أعطينى الدواء من على الطاولة يا سونيا.

سونيا: طيب. **(تناوله الدواء)**.

سيريبرياكوف: **(بعصبية)** أه، ليس هذا! لا يمكن رجاؤك فى شيء!

سونيا: أرجوك دعك من النزق. ربما كان ذلك يروق للبعض، أما أنا فاعفنى منه من فضلك! أنا لا أحب ذلك. وليس لدى وقت. علىّ غدا أن أنهض مبكرا. عندى حصاد.

(يدخل فوينيتسكى فى روب حاملا شمعة)

فوينيتسكى: العاصفة توشك أن تندلع فى الخارج.

(برق)

انظروا! هيلين وسونيا، اذهبا لتناما. لقد جئت لأحل محلكما.

سيريبرياكوف: **(بجزع)** كلا، كلا، لا تتركانى معه! سيرهقنى بحديثه!

فوينيتسكى: ولكن ينبغى أن يرتاحا! هذه ثانى ليلة لا يناماها.

سيريبرياكوف: فليذهبا إلى النوم ولكن اذهب أنت أيضا. أشكرك. أتوسل إليك. بحق صداقتنا القديمة لا تعارض. سنتحدث فيما بعد.

فوينيتسكى: **(باستهزاء)** صداقتنا القديمة.. القديمة..

سونيا: اسكت ياخالى فانيا.

سيريبرياكوف: **(لزوجته)** يا عزيزتى، لا تتركينى معه! سيرهقنى بالحديث.

فوينيتسكى: إن هذا يتحول إلى شىء مضحك.

(تدخل مارينا حاملة شمعة)

سونيا: اذهبى ونامى يا دادة. الوقت متأخر.

مارينا: السماور لم يرفع بعد عن الطاولة، فكيف أنام.

سيريبرياكوف: الجميع ساهرون، مرهقون، أنا الوحيد الذى أستمتع.

مارينا: **(تقترب من سيريبرياكوف، تقول برقة)** ماذا يا عزيزى؟ تشعر بألم؟ أنا أيضا ساقاى تطنان، تطنان بلا توقف. **(تسوى حرامه)** هذا مرضك القديم. المرحومة فيرا بتروفنا، والدة سونتشكا، كانت لا تنام الليل أحيانا من جزعها عليك..كم كانت تحبك..

(صمت)

العجائز والصغار سيان، يرغبون فى العطف، ولكن لا أحد يعطف على العجائز. **(تقبل سيريبرياكوف فى كتفه)** هيا يا عزيزى، هيا إلى الفراش.. هيا أيها الغالى.. سأسقيك شايا من أوراق الزيزفون، وأدفىء لك ساقيك.. سأصلى لله من أجلك..

سيريبرياكوف: **(متأثرا)** هيا يا مارينا.

مارينا: أنا نفسى ساقاى تطنان، تطنان بلا توقف. **(تقوده هى وسونيا)** كانت فيرا بتروفنا تجزع أحيانا، وتظل تبكى.. أنت يا سونتشكا كنت آنذاك صغيرة: عبيطة.. هيا، هيا يا عزيزى.. .

(ينصرف سيريبرياكوف وسونياومارينا)

يلينا أندرييفنا: لقد تعذبت معه. لا أكاد أقوى على الوقوف.

فوينيتسكى: أنت تعذبت معه وأنا مع نفسى. لا أنام لثالث ليلة.

يلينا أندرييفنا: لا توفيق فى هذا البيت. أمك تمقت كل شىء ما عدا كتيباتها والأستاذ. والأستاذ مستفز، لا يثق فىَّ ويخاف منك. سونيا غاضبة من أبيها، غاضبة منى ولا تحدثنى منذ أسبوعين. وأنت تمقت زوجى وتحتقر أمك علانية. وأنا مستفزة وكدت أبكى اليوم عشرين مرة.. لا توفيق فى هذا البيت.

فوينيتسكى: دعينا من الفلسفة!

يلينا أندرييفنا: أنت يا إيفان بتروفتش متعلم وذكى، ومن المفروض أن تفهم أن العالم يهلك لا من اللصوص، ولا من الحرائق، بل من الحقد والعداوة، من كل هذه الضغائن التافهة.. الأجدر بك ألا تتذمر، بل أن تصلح بين الجميع.

فوينيتسكى: فلتصالحينى مع نفسى أولا! يا عزيزتى!.. (يرتمى على يدها)

يلينا أندرييفنا: دعنى! (تسحب يدها) أنصرف!

فوينيتسكى: سينتهى المطر قريبا وينتعش كل شىء فى الطبيعة ويتنفس الصعداء. أنا الوحيد الذى لن تنعشه العاصفة. ليل نهار، تخنقنى فكرة أن حياتى ضاعت، وبلا رجعة. ليس لدى ماض، لقد بددته بحماقة على

التفاهات، والحاضر فظيع فى لا معقوليته. هذه هى حياتى وهذا هو حبى.. إلى أين أذهب بهما، وماذا أفعل بهما؟ شعورى يهلك هدرا كشعاع الشمس الساقط فى حفرة، وأنا أيضا أهلك.

يلينا أندرييفنا: عندما تحدثنى عن حبك أشعر بالتبلد ولا أدرى ماذا أقول. اعذرنى، ولكنى لا أستطيع أن أقول لك شيئا. **(تهم بالذهاب)** طابت ليلتك.

فوينيتسكى: **(يعترض سبيلها)** ولو عرفت لم أتعذب من إحساسى بأن حياة أخرى قريبة منى تهلك فى هذا البيت.. حياتك! ما الذى تنتظرينه؟ أية فلسفة لعينة تعوقك؟ فلتفهمى إذن، افهمى..

يلينا أندرييفنا: **(تحدجه بنظرة ثاقبة)** إيفان بتروفتش، أنت سكران!

فوينيتسكى: ربما، ربما..

يلينا أندرييفنا: وأين الدكتور؟

فوينيتسكى: إنه هناك.. يبيت عندى. ربما.. كل شىء جائز!

يلينا أندرييفنا: واليوم أيضا شربت؟ ما الداعى؟

فوينيتسكى: على الأقل أشعر بما يشبه الحياة...لا تعوقينى Helene![1]

يلينا أندرييفنا: لم تكن تشرب أبدا من قبل، ولم تكن تثرثر هكذا أبدا.. اذهب ونم! أشعر معك بالملل.

---

(١) يلينا (بالفرنسية فى الأصل).

فـو ينيتســكى : (ينكب على يدها) يا عزيزتى.. يا رائعتى!

يلينا أندرييفنا: (بأسى) دعنى. هذا كريه فى نهاية الأمر. (تنصرف).

فـو ينيتسـكى : (وحده) ذهبت..

(صمت)

منذ عشر سنوات قابلتها عند المرحومة أختى. كانت آنذاك فى السابعة عشرة، وكنتُ فى السابعة والثلاثين. فلماذا لم أقع آنذاك فى هواها وأخطبها؟ كان ذلك ممكنا جدا! ولكانت الآن زوجتى.. نعم.. كنا استيقظنا الآن معا بسبب العاصفة.. هى فزعة من الرعد، وأنا أضمها إلى صدرى وأهمس: «لا تخافى، أنا هنا». أوه، يا لها من أفكار مدهشة، ما أروع ذلك، إننى حتى أضحك.. ولكن، يا إلهى، الأفكار تختلط فى رأسى.. لماذا أنا عجوز؟ لماذا لا تفهمنى؟ تكلفها هذا، وأخلاقياتها الكسول، وأفكارها التافهة الكسلى حول هلاك العالم.. كل ذلك أمقته غاية المقت.

(صمت)

أوه، كم خدعت! كنت أعبد هذا الأستاذ، هذا النقرسى التافه. كنت أعمل من أجله كالبغل. كنت أنا وسونيا نعتصر هذه الضيعة حتى آخر قطرة. كنا كالكولاك نتاجر فى الزيت والحمص واللبن الرائب.. كنت لا

نأكل حتى الشبع لكى نجمع من الكوبيكات آلاف الروبلات ونرسلها إليه. وكنت أفخر به وبعلمه، كنت أعيش وأتنفس به! كل ما كان يكتبه أو يتفوه به بدا لى عبقريا.. يا إلهى، والآن؟ ها هو قد تقاعد وأصبحت ظاهرة كل نتيجة حياته: لن تبقى بعده صفحة واحدة من العمل، إنه نكرة تماما، لا شيء! فقاعة صابون! وأنا قد خدعت.. وكما أرى خدعت بغباء..

(يدخل أستروف فى سترة بدون صديرى وبدون رابطة عنق. يبدو ثملا. يتبعه تيليجين مع الجيتار)

أستروف: اعزف!

تيليجين: الجميع نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

(لفوينيتسكى) أنت هنا وحدك؟ لا سيدات؟ **(يضع يديه فى خصرة ويغنى بصوت خافت)** «تحرك أيها البيت، تحرك أيها الفرن، لن يجد السيد ركنا للنوم..» العاصفة أيقظتنى. يا له من مطر. كم الساعة الآن؟

فوينيتسكى: الشيطان يعلم!

أستروف: خيل إلىَّ أننى سمعت صوت يلينا أندرييفنا.

فـو ينيتســكى : كانت هنا منذ قليل.

أســــــتروف: امرأة فخمة **(يتفحص القوارير على الطاولة)** أدوية. ما أكثر الروشتات هنا! من خاركوف، ومن موسكو، ومن تولا.. أضجر المدن كلها بنقرسه. أهو مريض أم يتمارض؟

فـو ينيتســكى : مريض.

(صمت)

أســــــتروف: مالك اليوم حزين هكذا؟ أتراك تشفق على الأستاذ؟

فـو ينيتســكى : دعنى.

أســــــتروف: أم ربما وقعت فى غرام زوجة الأستاذ؟

فـو ينيتســكى : إنها صديقتى.

أســــــتروف: لحقت؟

فـو ينيتســكى : ماذا تعنى بـ «لحقت» هذه؟

أســــــتروف: المرأة لا يمكن أن تصبح صديقة للرجل إلا حسب الترتيب التالى: أولاً زميلة، فعشيقة، ثم بعدها صديقة.

فـو ينيتســكى : فلسفة المبتذلين.

أســــــتروف: ماذا؟ نعم.. ينبغى أن أعترف.. إننى أصبح مبتذلا. أترى، وأيضًا سكران. عادة أسكر هكذا مرة واحدة فى الشهر. وعندما أكون فى هذه الحالة أصبح وقحًا وصفيقًا إلى أقصى حد. عندئذ لا أبالى بشىء! أقدم على إجراء أصعب العمليات، وأجريها على أروع

ما يكون. أرسم أعرض الخطط للمستقبل. وعندها لا أبدو لنفسى غريب الأطوار وأومن بأننى أعود على البشرية بفائدة عظيمة.. عظيمة! وفى هذه اللحظات يصبح لدىَّ نظامى الفلسفى الخاص، وتبدون لى جميعا يا إخوتى مجرد هوام.. ميكروبات. (لتيليجين) اعزف يا وفل!

تيليجين: يا صديقى، يسعدنى أن أعزف لك من صميم قلبى، ولكن أهل البيت نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

أريد أن أشرب. هيا، أعتقد أنه بقى لدينا شىء من الكونياك. وما إن يشرق النهار حتى نذهب إلىَّ. موافق؟ **(يرى سونيا داخلة)** عفوا، إننى بدون رابطة عنق. **(ينصرف بسرعة ويتبعه تيليجين)**

سونيا: سكرت ثانية يا خالى فانيا مع الطبيب. تصادق الفارسان الصنديدان. حسنًا، الدكتور دائما هكذا، ولكن أنت، ما الداعى؟ هذا لا يناسب أبدًا شخصًا فى عمرك.

فوينيتسكى: لا دخل للعمر هنا. عندما لا توجد حياة حقيقية يعيش الناس على السراب. إنه على أى حال أفضل من لا شىء.

سونيا: العشب قد حصدناه كله، وكل يوم يسقط المطر فيدب العطن فيه، بينما أنت تلهو بالسراب. أنت أهملت الأعمال

تمامًا.. وأنا أعمل وحدى، خارت قواى تمامًا.. **(بذعر)** يا خالى، فى عينيك دموع!

فوينيتسكى: أى دموع؟ لا شىء هناك.. كلام فارغ.. لقد نظرت الآن إلىَّ كنظرة المرحومة أمك. يا عزيزتى.. **(يقبل يديها ووجهها بنهم)** يا أختى.. الغالية أين هى الآن؟ آه لو كانت تعلم! آه لو كانت تعلم!

سونيا: ماذا؟ تعلم ماذا يا خالى؟

فوينيتسكى: الأمور صعبة.. سيئة.. لا شىء..فيما بعد.. لا شىء.. سأذهب.. **(ينصرف)**

سونيا: **(تدق الباب)** ميخائيل لفوفتش! ألست نائما؟ دقيقة واحدة!

أستروف: (من خلف الباب) حالًا **(يدخل بعد قليل مرتديا الصديرى ورباط العنق)** بم تأمرين؟

سونيا: إذا لم يكن ذلك كريها، فلتشرب كما تشاء، ولكن أرجوك لا تسق خالى. هذا مضر له.

أستروف: حسنًا. لن نشرب بعد.

(صمت)

سأرحل الآن إلى دارى. صدر القرار وأعتمد. إلى أن يسرجوا العربة يكون الفجر قد أشرق.

سونيا: المطر يسقط، انتظر إلى الصباح.

أستروف: العاصفة تمر بعيدة عن هنا، لا تصيب إلا طرف الناحية.

سأرحل. وأرجوك، لا تستدعينى بعد ذلك لفحص أبيك. أنا أقول له: لديك نقرس، فيقول:روماتيزم. أرجوه أن يستلقى لكنه يجلس. أما اليوم فلم يشأ حتى أن يتحدث معى.

سونيا: إنه مدلل **(تبحث فى البوفيه)** أتريد أن تأكل؟

أستروف: حسنًا، هاتى.

سونيا: أنا أحب الأكل ليلًا. يبدو أنه يوجد شىء ما فى البوفيه. يقال إنه كان يحظى بإقبال كبير من النساء فدللنه. ها هى جبنة، تفضل.

(يقفان بجوار البوفيه ويأكلان)

أستروف: أنا لم أذق الطعام اليوم، شربت فقط أبوك طباعه صعبة **(يخرج زجاجة من البوفيه)** أتسمحين؟ **(يشرب كأسًا)** لا أحد هنا وبوسعى أن أحدثك بصراحة. أتدرين، يخيل إلى أننى ما كنت لأبقى حيا فى بيتكم شهرًا واحدًا، ولاختنقت فى هذا الجو.. أبوك الذى غاص تمامًا فى نقرسه وكتبه، والخال فانيا مع اكتئابه، وجدتك، وأخيرًا زوجة أبيك..

سونيا: مالها؟

أستروف: كل شىء ينبغى أن يكون جميلًا فى الإنسان: الوجه، والثياب، والروح، والأفكار. هى جميلة، ما فى ذلك شك ولكن..إنها فقط تأكل، وتنام، وتتريض، وتسحرنا

جميعا. بجمالها.. ولا شيء أكثر. ليس لديها أية التزامات، والآخرون يعملون من أجلها.. أليس كذلك؟ إن حياة الفراغ لا يمكن أن تكون طاهرة.

(صمت)

وعلى العموم ربما أكون متشددًا فى أحكامى، أنا غير راض عن حياتى، مثل خالك فانيا، وكلانا نصبح متأففين.

ســـونـــيـــا: وهل أنت غير راض عن حياتك؟

أســــتروف: أنا عمومًا أحب الحياة، ولكنى لا أطيق حياتنا الإقليمية، الروسية، التافهة، وأحتقرها بكل ما فى روحى من قوة. أما فيما يخص حياتى أنا الشخصية، فأقسم لك، ليس فيها أى شيء طيب. أتدرين، عندما تسير عبر الغابة فى ليلة مظلمة، وإذا كان هناك ضوء يلوح فى الأفق، فإنك لا تشعر لا بالتعب، ولا بالعتمة، ولا بالأغصان الشائكة التى تضربك فى وجهك.. إننى أعمل ـ وأنت تعرفين ذلك ـ كما لا يعمل أحد فى الناحية، والقدر يرمينى بمصائبه دون توقف، وأحيانًا أعانى بصورة لا توصف، غير أنه ليس لدىَّ ضوء فى الأفق. لم أعد أنتظر شيئًا لنفسى، ولا أحب الناس.. منذ وقت طويل لم أعد أحب أحدًا.

ســـونـــيـــا: لا أحد؟

أســــتروف: لا أحد. أُكنُّ بعض المشاعر الرقيقة لمربيتكم فقط، من أيام زمان. الفلاحون متشابهون جدًا ومتخلفون، يعيشون

فى القذارة، أما المثقفون فمن الصعب التفاهم معهم. إنهم يسببون لى الإرهاق. وكلهم، معارفنا الطيبون، سطحيو التفكير، سطحيو المشاعر، ولا يرون أبعد من أنوفهم، باختصار أغبياء. أما ذوو الأهمية فيهم والأكثر ذكاء فمصابون بالهستيريا، مهمومون بتحليل الذات وردود الفعل.. إنهم يتأففون، ويحقدون، ويفترون على نحو خطير، يقتربون من الشخص بحذر وينظرون إليه شزرا ويصدرون الحكم: «أوه هذا سيكوباتى!» أو «هذا ثرثار!» وعندما لا يجدون اللافتة المناسبة لإلصاقها على جبينى يقولون: «هذا شخص غريب، غريب!» إننى أحب الغابة، وهذا غريب، ولا آكل اللحم، وهذا أيضًا غريب. لم تعد هناك نظرة بسيطة، صافية، حرة إلى الطبيعة وإلى الناس.. كلا ثم كلا! (يهم بالشرب).

سونيا: (تمنعه) كلا، أرجوك، أتوسل إليك، لا تشرب بعد.

أستروف: ولِمَ؟

سونيا: هذا لا يناسبك أبدًا! فأنت رشيق، وصوتك رقيق بل أكثر.. أنت غير كل من أعرفهم، أنت رائع، لماذا تريد إذن أن تصبح مثل الناس العاديين الذين يشربون ويلعبون الورق؟ أوه، لا تفعل ذلك، أرجوك! أنت دائمًا تقول إن الناس لا يبدعون بل فقط يدمرون ما وهبته لهم السماء. فلماذا، لماذا إذن تدمر نفسك؟ لا داعى، لا داعى، أتوسل إليك، أستحلفك.

أســــــتروف: **(يمد لها يده)** لن أشرب بعد.

ســـونـــيـــا: أعطنى عهدًا.

أســــــتروف: أقسم بشرفى.

ســـونـــيـــا: **(تشد على يده بقوة)** أشكرك!

أســــــتروف: انتهينا! لقد أفقت. أترين، ها أنا ذا مفيق تمامًا، وسأظل كذلك حتى آخر أيامى. **(ينظر إلى الساعة)** حسنًا، فلنواصل. أقول إن زمنى ولَّى، تأخرت.. هرمت، هدنى العمل، تبذلت وتبلدت كل أحاسيسى، ويبدو لم يعد فى مقدورى أن أتعلق بإنسان. أنا لا أحب أحدًا و.. لن أحب. أما الشىء الذى ما يزال يشدنى فهو الجمال. لا أستطيع أن أكون لا مباليًا تجاهه. يخيل إلىَّ أن يلينا أندرييفنا لو أرادت لاستطاعت أن تسلبنى رشدى فى يوم واحد.. ولكن ذلك لن يكون حبًا، أو تعلقًا..

(يغطى عينيه براحته وينتفض)

ســـونـــيـــا: ماذا بك؟

أســــــتروف: أبدًا.. فى الصيام الكبير مات أحد مرضاى تحت البنج.

ســـونـــيـــا: آن أن تنسى ذلك.

(صمت)

خبرنى يا ميخائيل لفوفتش.. لو أن عندى صديقة، أو أختا صغرى، ولو أنك عرفت أنها.. لنفرض.. أنها تحبك، فماذا كنت تفعل؟

أســـــتروف: (**يهز كتفيه**) لا أعرف. أعتقد لا شيء. كنت أفهمها أننى لن أستطيع أن أحبها.. ليس هذا ما يشغل بالى. على أى حال ما دمت سأرحل فلأرحل الآن. وداعًا يا عزيزتى، وإلا فلن ننتهى إلى الصباح. (**يشد على يدها**) سأمر عبر غرفة الجلوس إذا سمحت، إذ أخشى أن يتشبث خالك بى. (**ينصرف**)

ســـونـــيـــا: (**وحدها**) لم يقل لى شيئًا.. ما زالت روحه وقلبه مغلقين أمامى، فلماذا إذن أشعر بنفسى سعيدة إلى هذه الدرجة؟ (**تضحك من السعادة**) قلت له: أنت رشيق، نبيل، وصوتك رقيق.. فهل كان ذلك غير مناسب؟ إن صوته مرتعش، يلاطف.. ها أنذا أحس به فى الجو. ولكن عندما حدثته عن الأخت الصغرى لم يفهم.. (**تعصر يديها**) أوه، ما أفظع كونى قبيحة! ما أفظعه!

أنا أعرف أننى قبيحة، أعرف، أعرف.. فى الأحد الماضى، ونحن خارجون من الكنيسة، سمعتهم يتحدثون عنى، وقالت إحدى النساء: «إنها طيبة، كريمة، ولكنها، ويالأسف، قبيحة» قبيحة..

(**تدخل يلينا أندرييفنا**)

يلينا أندرييفنا: (**تفتح النافذة**) مرت العاصفة. ياله من هواء منعش! (**صمت**)

أين الدكتور؟.

ســـونـــيـــا: انصرف.

(صمت)

يلينا أندرييفنا: صوفى!

ســـونـــيـــا: ماذا؟

يلينا أندرييفنا: إلى متى ستظلين غاضبة منى؟ لم تتسبب أى منا فى أذى للأخرى: فلماذا نتعادى؟ كفى..

ســـونـــيـــا: أنا نفسى أردت أن.. **(تعانقها)** كفى زعلًا.

يلينا أندرييفـــا: ممتاز.

(كلتاهما منفعلتان)

ســـونـــيـــا: هل بابا نائم؟

يليلنا أندرييفنا: كلا، جالس فى غرفة الجلوس.. لا نتحادث بالأسابيع والله يعلم بسبب ماذا.. **(ترى البوفيه مفتوحا)** ما هذا؟

ســـونـــيـــا: ميخائيل. لفوفتش تعشى.

يلينا أندرييفنا: ويوجد نبيذ.. هيا نشرب نخب التآخى.

ســـونـــيـــا: هيا.

يلينا أندرييفنا: من كأس واحـدة.. **(تصب)** هكذا أفضل. حسنًا، أخوات؟

ســـونـــيـــا: أخوات.

(تشربان وتتبادلان القبل)

من زمان أردت أن أتصالح معك، ولكنى كنت أخجل..

(تبكى)

يلينا أندرييفنا: لماذا تبكين؟

سـونـيـا: لا شىء، هكذا.

يلينا أندرييفنا: كفاك.. (**تبكى**) يالك من غريبة، جعلتنى أبكى..

(صمت)

أنت غاضبة منى لأننى، فى ظنك، تزوجت أباك عن مصلحة.. ولكن إذا كنت تصدقين الأيمان، فأقسم لك أننى تزوجته عن حب. همت به كعالم وشخصية شهيرة. لم يكن حبًا حقيقيًا، بل مصطنعًا، ولكن بدا لى آنذاك أنه حب حقيقى. لست مذنبة. أما أنت فلم تكفى، منذ حفل زواجنا، عن عقابى بنظراتك الذكية المرتابة.

سـونـيـا: كفى، تصالحنا، تصالحنا! لننس ذلك.

يلينا أندرييفنا: لا تنظرى هكذا. هذا لا يناسبك.

يجب أن تصدقى الجميع، وإلا استحال العيش.

(صمت)

سـونـيـا: خبرينى بالحق، كصديقة.. هل أنت سعيدة؟

يلينا أندرييفنا: كلا.

سـونـيـا: كنت أعرف ذلك. سؤال آخر. خبرينى بصراحة: أترغبين فى أن يكون لديك زوج شاب؟

يلينا أندرييفنا: يالك من فتاة صغيرة بعد. طبعًا أرغب! (**تضحك**) حسنًا، اسألى أيضًا، اسألى..

سـونـيـا: هل يعجبك الدكتور؟

يلينا أندرييفنا: نعم، جدًا.

ســـونـــيـــا: (**تضحك**) وجهى أحمق.. أليس كذلك؟ ها هو قد مضى وما زلت أسمع صوته وخطواته، وأنظر إلى النافذة المظلمة فأتخيل وجهه هناك. دعينى أفصح.. ولكنى لا أستطيع أن أتحدث هكذا علانية، أشعر بالخجل. فلنذهب إلى غرفتى ونتحدث هناك. هل أبدو لك حمقاء؟ اعترفى.. قولى لى عنه أى شىء..

يلينا أندرييفنا: وماذا أقول؟

ســـونـــيـــا: إنه ذكى.. إنه يجيد كل شىء.. يقدر على كل شىء.. إنه يعالج، ويغرس الغابات..

يلينا أندرييفنا: ليست القضية فى الغابات أو فى الطب.. لتفهمى يا عزيزتى، إنه موهبة! فهل تعرفين ماذا تعنى الموهبة؟ الجرأة، العقل الحر، السعة والشمول.. إنه يغرس الشجرة ويخمن ما الذى سينتج عن ذلك بعد ألف سنة، وتلوح لعينيه سعادة البشرية القادمة. أمثال هؤلاء الأشخاص نادرون وينبغى أن نحبهم.. إنه يشرب، ويتصرف أحيانًا بخشونة، فأى بأس فى ذلك؟ الإنسان الموهوب فى روسيا لا يمكن أن يكون طاهر الذيل، هلا فكرت فى الحياة التى يحياها هذا الدكتور! الأوحال الكثيفة فى الطرقات، والزمهرير والعواصف الثلجية، والمسافات الهائلة، والناس الأفظاظ، المتوحشون، والفقر والأمراض فى

كل مكان، وفى مثل هذا الوضع فمن الصعب على من يعمل ويصارع يوما بعد يوم أن يحافظ على نفسه طاهرًا ومفيقًا حتى الأربعين.. (**تقبلها**) من كل قلبى أتمنى لك السعادة أنت جديرة بها.. (**تنهض**) أما أنا فشخصية ثقيلة الدم، ثانوية.. فى الموسيقى، وفى منزل زوجى، وفى جميع المغامرات، أى باختصار فى كل مكان لم أكن سوى شخصية ثانوية. فى الواقع يا سونيا، إذا أمعنا النظر، أنا تعيسة جدًا، جدًا! (**تخطو على الخشبة فى انفعال**) لن أجد السعادة فى هذه الدنيا. كلا! مالك تضحكين؟

سونيا: (**تضحك، تغطى وجهها**) كم أنا سعيدة.. سعيدة!

يلينا أندرييفنا: أريد أن أعزف.. بوسعى أن أعزف الآن شيئًا ما.

سونيا: اعزفى. (**تعانقها**) أنا لا أستطيع أن أنام.. اعزفى!

يلينا أندرييفنا: حالًا. أبوك مستيقظ. عندما يكون مريضًا تزعجه الموسيقى. اذهبى واسأليه. إذا لم يمانع فسأعزف. اذهبى.

سونيا: حالًا. (**تنصرف**)

(**الحارس يدق فى البستان**)

يلينا أندرييفنا: لم أعزف من زمن طويل. سأعزف وأبكى، سأبكى كحمقاء (**فى النافذة**) أهو أنت الذى يدق يا يفيم؟

صوت الحارس: أنـــا!

يلينا أندرييفنا: لا تدق، السيد مريض.

صوت الحارس: سأنصرف حالا! (**يصفر مناديًا الكلاب**) يا جوتشكا! يا مالتشيك! يا جوتشكا!

(**صمت**)

سونيا: (**تعود**) ممنوع!

(**ستار**)

الفصل الثالث

(غرفة الجلوس فى منزل سيريبرياكوف. ثلاثة أبواب: إلى اليمين وإلى اليسار وفى الوسط. الوقت نهار، فوينيتسكى وسونيا جالسان ويلينا أندريفنا تذرع الخشبة وهى تفكر فى شىء ما)

فوينيتسكى: تفضل الهر بروفيسور بإبداء رغبته فى أن نجتمع كلنا اليوم فى هذه الغرفة فى الساعة الواحدة. **(يتطلع إلى الساعة)** الواحدة إلا ربعا. يريد أن يطلع العالم على شىء ما.

يلينا أندرييفنا: فى الغالب يريدكم لعمل ما.

فوينيتسكى: ليس لديه أية أعمال. يكتب هراء، يتأفف ويغار ولا شىء أكثر،

سونيا: **(بنبرة لوم)** يا خالى!

فوينيتسكى: حسنا، آسف، آسف. **(يشير إلى يلينا أندرييفنا)** تفضلوا، انظروا إليها، تترنح من الكسل. جميل جدًا! جدا!

يلينا أندرييفنا: طول النهار تطن وتطن، ألا تمل ذلك! **(بأسى)** أكاد أموت من الملل، ولا أعرف ماذا علىَّ أن أفعل.

سـونـيـا: (تهز كتفيها) وهل الأعمال قليلة؟ لو فقط تشائين.

يلينا أندرييفنا: مثلا؟

سـونـيـا: زاولى الشئون المنزلية، علمى، عالجى. الأعمال كثيرة. قبل أن تأتى مع بابا إلى هنا كنا أنا وخالى فانيا نذهب إلى السوق ونبيع الطحين.

يلينا أندرييفنا: لا أجيد ذلك. ثم إنه غير شيق. فى الروايات المثالية فقط يعلمون الفلاحين ويعالجونهم، فكيف أذهب أنا فجأة، هكذا دون مقدمات، وآخذ فى تعليمهم ومعالجتهم؟

سـونـيـا: أما أنا فلا أفهم كيف لا نذهب إليهم ولا نعلمهم. مهلا، أنت أيضا ستتعودين. **(تعانقها)** لا تضجرى يا حبيبتى. **(تضحك)** أنت تضجرين ولا تعرفين ماذا تفعلين، بينما الضجر والفراغ معديان. انظرى، ها هو خالى فانيا لا يفعل شيئًا، اللهم إلا أن يسير خلفك كظلك، وأنا تركت أعمالى وهرعت إليك لأتحدث معك. أوه، كم أصبحت كسولة! فى السابق كان الدكتور ميخائيل لفوفتش لا يزورنا إلا نادرا جدا، مرة فى الشهر، وكان من الصعب استمالته، أما الآن فيأتى كل يوم، وأهمل غاباته وطبه. يبدو أنك ساحرة.

فـوينيتسـكى: لماذا الضنى؟ **(بحيوية)** هيا أيتها الغالية، أيتها النفيسة، كونى عاقلة! فى عروقك تجرى دماء جنية البحر، فلتكونى جنية بحر! أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى

العمر، اغرقى فى حب أحد ساكنى مملكة البحر بسرعة، واقفزى فى الغدير وغوصى قبل أن يتمكن الهر بروفيسور ومعه نحن كلنا من إبداء دهشتنا!

يلينا أندرييفنا: **(بغضب)** دعنى وشأنى! يا للقسوة! **(تهم بالذهاب)**

فوينيتسكى: **(يعترض سبيلها)** طيب، طيب، يا حياتى، سامحينى.. أعتذر **(يقبل يدها)** سماح..

يلينا أندرييفنا: حتى الملائكة ينفد صبرها، صدقنى.

فوينيتسكى: رمزا للسلام والوفاق سآتيك الآن بباقة ورد. منذ الصباح أعددتها لك.. ورود الخريف ساحرة.. وورود حزينة..

(ينصرف)

سونيا: ورود الخريف ساحرة.. وورود حزينة..

(كلتاهما تتطلعان من النافذة)

يلينا أندرييفنا: ها هو سبتمبر قد جاء. يا ترى، كيف سنمضى الشتاء هنا!

(صمت)

أين الدكتور؟

سونيا: فى غرفة خالى فانيا. يكتب شيئا ما. أنا سعيدة إن خالى فانيا ذهب، أريد أن أتحدث معك.

يلينا أندرييفنا: عم؟

سونيا: عم؟ **(تضع رأسها على صدرها)**

يلينا أندرييفنا: حسنا، كفى، كفى.. **(تمسد شعرها)** كفى

ســــونـــيـــا: أنا قبيحة.

يلينا أندرييفنا: لديك شعر رائع.

ســــونـــيـــا: كلا! (**تدير رأسها لتتطلع إلى نفسها فى المرآة**) كلا! عندما تكون المرأة قبيحة يقولون لها: «لديك عينان رائعتان، لديك شعر رائع».. أنا أحبه منذ ست سنوات، أحبه أكثر من حبى لأمى. فى كل لحظة أسمعه، أحس بمصافحة يده، وأنظر إلى الباب منتظرة، ويخيل إلىَّ أنه سيدخل الآن. وها أنا ذا، كما ترين، آتى إليك دائما لأتحدث عنه. إنــه الآن يزورنـا كل يـوم، لكنه لا ينظر إلىَّ، لا يرانى.. يا له من عذاب! ليس لدىَّ أى أمل، أبدا، أبدا! (**فى يأس**) يا إلهى، هبنى القوة.. ظللت أصلى طوال الليل.. كثيرا ما أقترب منه، وأبدأ فى الحديث معه، وأحدق فى عينيه.. أصبحت أدوس على كرامتى، ولا حول بى للسيطرة على نفسى.. بالأمس لم أسيطر على نفسى واعترفت لخالى فانيا بحبى.. الخدم كلهم يعرفون أننى أحبه. الجميع يعرفون.

يلينا أندرييفنا: وهو؟

ســــونـــيـــا: كلا، إنه لا يحس بوجودى.

يلينا أندرييفنا: (**بتفكير**) إنه شخص غريب.. اسمعى. دعينى أتحدث معه.. بحذر، تلميحا..

(**صمت**)

بالفعل، إلى متى تظلين فى المجهول.. اسمحى لى!

(سونيا تهز رأسها موافقة)

رائع. ليس من الصعب معرفة إن كان يحب أم لا. لا تخجلى يا صغيرتى، اطمئنى، سأسأله بحذر، ولن يلحظ. كل ما نريد أن نعرفه: نعم أم لا؟

(صمت)

فإذا كان لا، فلا داعى لمجيئه إلى هنا، هكذا؟

(سونيا تهز رأسها موافقة)

من الأسهل التحمل عندما لا ترينه. لن نؤجل الأمر طويلا، سنسأله حالا. لقد كان ينوى أن يطلعنى على بعض الرسومات الهندسية.. اذهبى وخبريه بأننى أريد أن أراه.

سونيا: **(فى انفعال شديد)** ستخبريننى بالحقيقة؟

يلينا أندرييفنا: نعم، بالطبع. أعتقد أن الحقيقة، مهما كانت، ليست مع ذلك فظيعة كالمجهول. اعتمدى علىَّ يا صغيرتى.

سونيا: نعم، نعم.. سأقول له إنك تريدين رؤية الرسوم **(تذهب ثم تتوقف عند الباب)** كلا، المجهول أفضل.. فيه أمل على الأقل..

يلينا أندرييفنا: ماذا بك؟

سونيا: لا شيء **(تنصرف)**

يلينا أندرييفنا: **(وحدها)** ليس هناك ما هو أسوأ من أن تعرف سر

الآخرين دون أن تستطيع مساعدتهم. (متفكرة) إنه لا يحبها، هذا واضح، ولكن لماذا لا يتزوجها؟ إنها ليست جميلة، ولكن لطبيب ريفى، وفى مثل سنة، قد تكون زوجة رائعة. ذكية، طيبة، نقية.. كلا، ليس الأمر كذلك، ليس كذلك..

(صمت)

إننى أفهم هذه البنية المسكينة. فوسط هذا الضجر الفظيع، عندما تهوِّم بدلا من الناس بقع ما رمادية، ولا يسمع غير العبارات المبتذلة، ولا يعرف الناس شيئًا سوى أن يأكلوا، ويشربوا وويناموا، يأتى هو أحيانا، لا يشبه الآخرين فى شىء، جميلا، شيقا، جذابا، فكأنما أشرق البدر الساطع وسط الظلام.. من هنا الرغبة فى الانجذاب إلى شخص كهذا، ونسيان كل شىء.. يبدو أننى أنا أيضا أغرمت به قليلا. نعم إننى أشعر بالضجر بدونه، وها أنذا أبتسم عندما أفكر فيه.. هذا الخال فانيا يدعى أن فى عروقى تجرى دماء جنية البحر.. «أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى العمر».. وماذا؟ ربما كان ذلك هو المطلوب.. أنا أطير كطائرطليق بعيدا عنكم جميعـا، بعيدا عن سحناتكم النعسانة، عن أحاديثكم، أن أنسى أنكم موجودون فى الدنيا.. لكننى جبانة، خجول.. سيعذبنى ضميرى.. ها هو يأتى إلى هنا كل يوم، وأنا أخمن لماذا يأتى، فأصبحت أشعر بالذنب، ومستعدة أن أركع أمام سونيا، وأسألها الصفح، وأبكى..

أســـــتروف: **(يدخل ومعه رسومات)** نهارك سعيد! **(يصافحها)** هل أردت أن تشاهدى تصاويرى؟

يلينا أندرييفنا: بالأمس وعدتنى أن تطلعنى على أعمالك.. هل لديك وقت؟

أســـــتروف: أوه، بالطبع **(يفرش الخريطة على طاولة لعب الورق ويثبتها بالدبابيس)** أين ولدت؟

يلينا أندرييفنا: **(وهى تساعده)** فى بطرسبرج.

أســـــتروف: وأين تعلمت؟

يلينا أندرييفنا: فى الكونسرفتوار.

أســـــتروف: فى الغالب لن يكون هذا ممتعا لك.

يلينا أندرييفنا: ولم لا؟ صحيح أنا لا أعرف الريف، ولكنى قرأت عنه الكثير.

أســـــتروف: فى هذا المنزل توجد طاولة لى.. فى غرفة إيفان بتروفتش. عندما يهدنى التعب تماما، إلى درجة التبلد الكامل، أهجر كل شىء وأركض إلى هنا، وأتسلى بهذه اللعبة بضع ساعات.. إيفان بتروفتش وصوفيا ألكسندروفنا يدحرجان بكرات العداد الخشبى، وأجلس أنا بجوارهما خلف طاولتى وألون.. فأشعر بالدفء، والسكينة، وصرَّار الليل يئز. ولكنى لا أسمح لنفسى بهذه المتعة كثيرا، مرة فى الشهر.. **(يشير إلى الخريطة)** والآن فلتنظرى هنا. هذه صورة إقليمنا كما كان منذ ٥٠ عاما.

اللون الأخضر القاتم والفاتح يعنى الغابات. نصف المساحة الكلية مغطاة بالغابات. والمربعات الحمراء الصغيرة داخل اللون الأخضر تشير إلى أماكن تواجد الوعول والماعز.. إننى أبين هنا العالم النباتى والحيوانى. وفى هذه البحيرة كان يعيش البجع والأوز والبط، وكما يقول العجائز، كان الطير هنا لا أول له ولا آخر، كان يطير كالغمام. وكما ترين، بالإضافة إلى القرى والضياع تتناثر هنا وهناك الدور والبيوت المنفردة وصوامع طائفة المنشقين، وطواحين الماء.. كانت الماشية والخيول كثيرة. يبدو ذلك من اللون الأزرق. مثلا، فى هذه المحافظة ترين اللون الأزرق سميكا، إذ كانت هنا قطعان كبيرة من الخيول، وكان متوسط عدد الخيول فى كل منزل ثلاثة.

(صمت)

فلننظر الآن أسفل قليلا. هذا ما كان منذ ٢٥ عاما. لم تعد الغابات تغطى سوى ثلث المساحة. الماعز اختفى ولكن الوعول ما زالت موجودة. اللون الأخضر والأزرق أصبحا خفيفين وهلم جرا.. فلننتقل إلى القسم الثالث: صورة الإقليم الراهنة. اللون الأخضر متناثر هنا وهناك على شكل بقع، وليس متصلا. اختفت الوعول والبجع ودجاج الغابة.. ولم يبق أثر للدور والبيوت المتناثرة وصوامع المنشقين وطواحين الماء. باختصار، ترين صورة للانحلال التدريجى المؤكد، الذى لم يبق أمامه فى الغالب

سوى ١٠ ـ ١٥ سنة ليصبح تاما. ستقولين إن ذلك من تأثير الحضارة، وإن الحياة القديمة من الطبيعى أن تتخلى عن مكانها للجديدة. نعم، إننى أدرك أنه لو مدت فى مكان هذه الغابات المبادة طرق السيارات والسكك الحديدية، ولو قامت هنا المصانع والفبارك والمدارس، لأصبح الشعب أصح وأغنى وأذكى، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث! فى الإقليم نفس المستنقعات القديمة، والبعوض، انعدام الطرق، والفقر، والتيفوس والدفتيريا، والحرائق.. إننا أمام انحلال نتيجة الصراع القاسى من أجل الوجود، انحلال بسبب التخلف والجهل، بسبب الغياب التام للوعى الذاتى، عندما ينقض الإنسان المقرور، الجائع، المريض، فى محاولة منه لإنقاذ بقية حياته، ولحماية أبنائه، بصورة غريزية، لا واعية على كل ما يمكن أن يسد رمقه ويدفئ بدنه، فيقضى على كل شىء دون أن يفكر فى الغد.. لقد قضى على كل شىء تقريبا، ولكن لم يخلق أى شىء بديل. (ببرود) أرى فى وجهك أن هذا لا يثير اهتمامك.

يلينا أندرييفنا: ولكنى لا أفهم فى هذا كثيرا..

أستروف: ليس هنا ما يستعصى على الفهم، أنت ببساطة لا تهتمين.

يلينا أندرييفنا: بصراحة فكرى مشغول بشىء آخر. اعذرنى. أريد

أن أجرى معك استجوابا صغيرا، ولكنى محرجة، ولا أعرف كيف أبدأ.

أســـــتروف: استجواب؟

يلينا أندرييفنا: نعم، استجواب، ولكن.. برىء جدا. لنجلس! **(يجلسان)**

المسألة تتعلق بإحدى الآنسات. سنتحدث كأناس شرفاء، كأصدقاء، دون لف ودوران. سنتحدث ثم ننسى الأمر. حسنا؟

أســـــتروف: حسنا.

يلينا أندرييفنا: المسألة تتعلق بابنة زوجى، سونيا. هل تعجبك؟

أســـــتروف: نعم، إننى أحترمها.

يلينا أندرييفنا: هل تعجبك كامرأة؟

أســـــتروف: **(بعد برهة)** كلا.

يلينا أندرييفنا: بضع كلمات أخرى وننتهى. ألم تلاحظ شيئا؟

أســـــتروف: كلا.

يلينا أندرييفنا: **(تمسك بيده)** أنت لا تحبها، أرى ذلك فى عينيك.. إنها تعانى.. فلتفهم هذا و.. كف عن المجىء إلى هنا.

أســـــتروف: **(ناهضا)** زمانى قد ولَّى.. كما أنى مشغول.. **(يهز كتفيه)** لا وقت لدىَّ **(يبدو عليه الارتباك)**

يلينا أندرييفنا: أف، يا له من حديث كريه! أشعر بالاضطراب، وكأنى حملت على ظهرى ألف بود. الحمد لله انتهينا. فلننس

ذلك كأنها لم يكن و.. وارحل عن هنا. أنت رجل ذكى، تفهم..

(صمت)

وجهى قد احمر تماما..

أســــــتروف: لو قلت لى قبل شهر أو شهرين لربما فكرت قليلا، أما الآن.. (**يهز كتفيه**) وإذا كانت تعانى فبالطبع.. الشىء الوحيد الذى لا أفهمه هو: ما حاجتك إلى هذا الاستجواب؟ (**يحدق فى عينيها ويهددها بإصبعه**) أنت ماكرة!

يلينا أندرييفنا: ما معنى هذا؟

أســــــتروف: (**ضاحكا**) ماكرة! لنفرض أن سونيا تعانى، مستعد لتصديقك عن طيب خاطر، ولكن ما معنى استجوابك هذا؟ (**يحول بينها وبين الكلام، يقول بحماس**) أرجوك، لا ترسمى الدهشة على وجهك، فأنت تعرفين جيدا لماذا آتى إلى هنا كل يوم.. أنت تعرفين حق المعرفة ولأجل من آتى إلى هنا.. أيتها المتوحشة اللطيفة، لا تنظرى إلىَّ هكذا، فأنا غراب عجوز..

يلينا أندرييفنا: (**باستغراب**) متوحشة؟ لا أفهم شيئا.

أســــــتروف: نمسة جميلة ناعمة.. أنت بحاجة إلى ضحايا! ها أنذا طوال شهر كامل لا أعمل شيئا، هجرت كل شىء، وأبحث عنك بنهم.. وهذا يعجبك جدا، جدا.. فماذا بعد؟ إننى

مهزوم، وكنت تعرفين ذلك حتى قبل الاستجواب. (**يعقد ذراعيه على صدره وينكس رأسه**) سمعا وطاعة. خذى، كلينى!

يلينا أندرييفنا: لقد جننت!

أســـــتروف: (**يضحك من بين أسنانه**) أنت خجول..

يلينا أندرييفنا: أوه، أنا أفضل وأسمى مما تظن! أقسم لك! (**تهم بالانصراف**)

أســـــتروف: (**يعترض سبيلها**) سأرحل اليوم، ولن آتى إلى هنا، ولكن.. (**يمسك يدها ويتلفت حوله**) أين سنلتقى؟ قولى بسرعة: أين قد يدخل أحدهم إلى هنا، قولى بسرعة.. (**بشهوة**) كم أنت رائعة، فاخرة.. قبلة واحدة.. أقبل فقط شعرك العطر..

يلينا أندرييفنا: أقسم لك..

أســـــتروف: (**يعوقها عن الكلام**) لماذا القسم؟ لا داعى للقسم. لا داعى لمزيد من الكلمات.. أوه، يالك من جميلة! يا لهما من يدين! (**يقبل يديها**)

يلينا أندرييفنا: كفاك هذا.. اخرج (**تسحب يديها**) لقد تماديت.

أســـــتروف: قولى، قولى إذن، متى سنلتقى غدا؟ (**يطوق خصرها**) هذا محتم كما ترين، لا بد أن نلتقى. (**يقبلها. فى هذه الأثناء يدخل فوينتيسكى بباقة ورود فيقف عند الباب**)

يلينا أندريفنا: (**لا ترى فوينيتسكى**) ارحمنى.. دعنى.. (**تضع رأسها على صدر أستروف**) كلا! (**تهم بالانصراف**)

أســــــتروف: **(يتشبث بخصرها)** تعالى غدا إلى الغابة.. فى حوالى الثانية.. حسنا؟ ستأتين؟

يلينا أندرييفنا: **(ترى فـوينيتســكى)** دعنى! **(تبتعد نحو النافذة فى حرج شديد)** هذا فظيع.

فـوينيتســكى: **(يضع الباقة على الكرسى. ينتابه الانفعال فيمسح وجهه وخلف الياقة بالمنديل)** لا بأس.. نعم.. لا بأس..

أســــــتروف: **(باستفزاز)** الطقس اليوم لا بأس به يا إيفان بتروفتش المبجل. فى الصباح كان الجو غائما، كأنما على وشك أن يمطر، أما الآن فالشمس ساطعة. وإذا شئت الصراحة فهذا الخريف رائع.. والمحصول لا بأس به. **(يطوى الخريطة على شكل أسطوانة)** لا عيب سوى شىء واحد: الأيام أصبحت قصيرة.. **(ينصرف)**

يلينا أندرييفنا: **(تقترب من فـوينيتســكى بسرعة)** فلتحاول، فلتستخدم كل نفوذك لكى أرحل مع زوجى من هنا اليوم بلا إبطاء! أتسمع؟ اليوم بلا إبطاء!

فـوينيتســكى: **(يمسح وجهــه)** هــه؟ آه، نعــم.. حســنا.. لقـد رأيت يا Hélène! كل شىء.. كل شىء..

يلينا أندرييفنا: **(بعصبية)** أتسمع؟ ينبغى أن أرحل من هنا اليوم بلا إبطاء!

(يدخل سيريبرياكوف وسونيا وتيلجين ومارينا)

تـيـلـيـجـين: أنا نفسى يا صاحب المعالى لست على ما يرام. لليوم الثانى أشعر بالمرض.. رأسى مصدع..

سيريبرياكوف: أين الآخرون؟ لا أحب هذا البيت. مثل قصر التيه. ست وعشرون غرفة ضخمة، يتناثرون فيها فلا تستطيع أن تجد منهم أحدا. (**يدق الجرس**) ادعوا إلى هنا ماريا فاسيليفنا ويلينا أندرييفنا!

يلينا أندرييفنا: أنا هنا.

سيريبرياكوف: أرجو أن تجلسوا يا سادة.

سونيا: (**تقترب من يلينا أندرييفنا، تسأل بلهفة**) ماذا قال؟

يلينا أندرييفنا: فيما بعد.

سونيا: أنت ترتعشين؟ أنت منفعلة؟ (**تحدق فى وجهها بتمعن**) مفهوم.. قال إنه لن يأتى إلى هنا بعد.. نعم؟

(**صمت**)

قولى: نعم؟

(**يلينا أندرييفنا تهز رأسها بالإيجاب**)

سيريبرياكوف: (**لتيليجين**) يمكن للإنسان أن يتغاضى عن المرض، لا باس، لكن ما لا أقدر على هضمه فهو نظام الحياة الريفية. عندى إحساس بأننى هويت من الأرض على سطح كوكب آخر. اجلسوا يا سادة، أرجوكم. سونيا!

(**سونيا لا تسمعه، تقف وقد نكست رأسها بحزن**)

سونيا!

(**صمت**)

لا تسمع. (**لمارينا**) وأنت أيضا اجلسى يا دادة.

(**المربية تجلس وتحوك جوربا**)

أرجوكم يا سادة. علقوا، كما يقال، آذانكم على مسمار الانتباه. **(يضحك)**

فـوينيتسـكى: **(بانفعال)** ربما لا حاجة إلى؟ يمكننى أن أذهب؟

سيريبرياكوف: كلا، نحن بحاجة إليك أكثر الجميع.

فـوينيتسـكى: وما الذى تريدونه منى؟

سيريبرياكوف: لماذا تبدو غاضبا هكذا؟..

(صمت)

إذا كنت مخطئا فى حقك أرجوك المعذرة.

فـوينيتسـكى: دعك من هذه اللهجة. فلندخل إلى الموضوع.. ما الذى تريده؟

(تدخل ماريا فاسيليفنا)

سيريبرياكوف: ها قد جاءت **maman**. إننى أبدأ يا سادة.

(صمت)

لقد دعوتكم أيها السادة لكى أبلغكم بأن مفتشا سيأتى إلينا[1]. لكن دعونا من المزاح. القضية جدية. لقد جمعتكم يا سادة لكى أطلب منكم العون والمشورة، ولما كنت على علم بكرمكم الدائم فإننى أطمع فى الحصول عليهما. أنا رجل عالم، أعيش مع الكتب وكنت دائما بعيدا عن الحياة العملية. ولا أستطيع أن أتصرف بدون تعليمات من الخبراء بالأمور، ولذا أرجوك يا إيفان

---

(١) العبارة من مسرحية جوجول «المفتش العام» المعرب.

بتروفتش، وأنت يا إيليا إيليتش، وأنت يا maman..
فالمسألة أن manet omnesuna nox [1]، أى أن أعمارنا جميعا بيد الله. فأنا عجوز، مريض، ولذلك أجد أنه قد حان الوقت لكى أنظم شئون الملكية الخاصة بى لأنها تتعلق بأسرتى. أنا حياتى انتهت، ولا أفكر فى نفسى، ولكن عندى زوجة شابة وابنة آنسة.

(صمت)

يستحيل علىَّ مواصلة الحياة فى الريف. نحن لسنا مخلوقين للعيش فى الريف. أما الحياة فى المدينة على الموارد التى نحصل عليها من هذه الضيعة فمستحيلة. فإذا بعنا الغابة مثلا، فسيكون ذلك إجراء استثنائيا، لا يمكن اللجوء إليه كل عام. لا بد من البحث عن إجراءات تكفل لنا دخلا دائما، محددا بهذه الدرجة أو تلك وقد توصلت إلى إجراء كهذا وأتشرف بعرضه عليكم لمناقشته. سأشرحه لكم فى الخطوط العامة، دون الخوض فى التفاصيل. ضيعتنا لا تعطينا فى المتوسط أكثر من نسبة ٢٪. أقترح بيعها. فإذا حولنا النقود المتحصل عليها من البيع إلى أسهم فسنحصل على فائدة بنسبة من أربعة إلى خمسة فى المائة، بل وأعتقد أنه سيتبقى مبلغ إضافى يبلغ بضعة آلاف، يتيح لنا أن نشترى بيتا صيفيا صغيرا فى فنلندة.

---

(١) الكل تنتظرهم ليلة واحدة (باللاتينية).

فوينيتسكى: مهلا.. أظن أن سمعى خدعنى.. أعد ما قلته.

سيريبرياكوف: تحول النقود إلى أسهم، وبما يتبقى من المبلغ نشترى بيتا صيفيا فى فنلندة.

فوينيتسكى: ليس فنلندة.. لقد قلت أيضا شيئا آخر..

سيريبرياكوف: إننى أقترح بيع الضيعة.

فوينيتسكى: بالضبط هو هذا تبيع الضيعة، ممتاز، فكرة عظيمة.. وإلى أين تأمر بإرسالى أنا وأمى العجوز وسونيا؟

سيريبرياكوف: سنناقش كل هذا فى وقته. ليس كل شىء مرة واحدة.

فوينيتسكى: مهلا. يبدو أننى حتى الآن لم أتمتع بأى تفكير راجح. حتى الآن كنت أظن بغبائى أن هذه الضيعة ملك لسونيا. اشترى المرحوم أبى هذه الضيعة لتكون بائنة لأختى. الآن كنت ساذجا، كنت أفهم القوانين ليس على الطريقة التركية، فظننت أن الضيعة انتقلت من أختى إلى سونيا.

سيريبرياكوف: نعم، الضيعة ملك لسونيا. من ينكر؟ ولن أقدم على بيعها بدون موافقة سونيا. وعلاوة على ذلك فأنا أتقدم بهذا الاقتراح من أجل مصلحة سونيا.

فوينيتسكى: هذا غير معقول، غير معقول! إما أننى جننت، وإما... وإما..

ماريا فاسيليفنا: لا تعارض ألكسندر يا جان. ثق أنه يعرف أفضل منا ما هو الطيب وما هو السيئ.

فوينيتسكى: كلا، أعطونى ماء (يشرب ماء) قولو ما تشاءون، ما تشاءون!

سيريبرياكوف: لا أدرى ما يزعجك. أنا لا أدعى أن مشروعى مثالى. إذا اعتبره الجميع غير ملائم فلن أصر عليه.

(صمت)

تيليجين: (مرتبكا) إننى يا صاحب المعالى أكن للعلم لا مشاعر التبجيل فحسب، بل ومشاعر القرابة. أخو زوجة شقيقى جريجورى إيليتش، ربما تعرفونه، قسطنطين تروفيموفتش لا كيديمونوف، كان ماجستيرا..

فوينيتسكى: مهلا يا وفل، إننا نتحدث فى مسألة جدية.. انتظر، فيما بعد.. (لسيريبريا كوف) ها هو أمامك، فلتسأله. هذه الضيعة تم شراؤها من عمه.

سيريبرياكوف: آه، وما حاجتى لسؤاله؟ ما الداعى؟

فوينيتسكى: تم شراء هذه الضيعة فى ذلك الحين بمبلغ خمسة وتسعين ألف روبل. ولم يدفع أبى سوى سبعين ألفا. وبقى دين بخمسة وعشرين ألفا. فلتسمعوا إذن.. لو لم أتخل عن نصيبى من الميراث لصالح أختى التى أحببتها بحرارة، لما أمكن شراء هذه الضيعة. إننى عملت عشر سنوات كالبغل، حتى سددت هذا الدين كله..

سيريبرياكوف: إننى آسف على إثارتى لهذا الموضوع.

فوينيتسكى: الضيعة ليست مدينة ولم تتدهور أمورها فقط بفضل

مجهوداتى الشخصية. وعندما أصبحت عجوزا يريدون طردى من هنا شر طردة!

سيريبرياكوف: لا أفهم ماذا تبغى!

فوينيتسكى: خمسة وعشرون عاما وأنا أدير هذه الضيعة، وأعمل، وأرسل لك النقود، كخولى أمين، وطوال هذه المدة لم تشكرنى مرة واحدة. طوال الوقت ـ فى شبابى والآن ـ كنت أتقاضى منك راتبا خمسمائة روبل فى العام.. مبلغ تافه! ولم يخطر ببالك أبدا أن تزيد مرتبى ولو روبلا!

سيريبرياكوف: ومن أين لى أن أعرف يا إيفان بترفتش؟ أنا لست رجلا عمليا ولا أفهم شيئا. كان بوسعك أن تزيد مرتبك كما يحلو لك.

فوينيتسكى: لماذا لم أسرق؟ لماذا لا تحتقروننى كلكم لأننى لم أسرق؟ إذن لكان عدلا منكم، ولما كنت الآن شحاذا!

ماريا فاسيليفنا: **(بصرامة)** جان!

تيليجين: **(منفعلا)** فانيا، يا صديقى، لا داعى، لا داعى.. إننى أرتعش.. لماذا تفسد العلاقة الطيبة؟ **(يقبله)** لا داعى.

فوينيتسكى: خمسة وعشرون عاما وأنا محبوس مع هذه الأم، بين أربعة جدران، كحيوان الخلد فى جحره.. كل أفكارنا ومشاعرنا كانت لك وحدك. فى النهار كنا نتحدث عنك، عن أعمالك.، ونفخر بك، ونذكر اسمك بالتبجيل. ونبدد

الليالى فى قراءة المجلات والكتب، التى أحتقرها الآن من أعماق قلبى!

تيليجين: لا داعى يا فانيا، لا داعى.. أنا لا أحتمل..

سيريبرياكوف: **(بغضب)** لا أفهم ماذا تريد؟

فوينيتسكى: كنت بالنسبة لنا مخلوقا ساميا، ومقالاتك كنا نحفظها عن ظهر قلب.. أما الآن فقد فتحت عينى! أرى كل شىء! تكتب عن الفن دون أن تفهم شيئا فى الفن! كل أعمالك، التى أحببتها لا تساوى خردة! أنت خدعتنا!

سيريبرياكوف: يا سادة! أسكتوه أرجوكم! إننى ذاهب!

يلينا أندرييفنا: إيفان بتروفتش، أطالبك بالسكوت! أتسمع؟

فوينيتسكى: لن أسكت! **(يسد الطريق على سيريبرياكوف)** قف، أنا لم أفرغ! أنت دمرت حياتى! أنا لم أعش، لم أعش! بسببك أهدرت أفضل سنوات عمرى، بددتها! أنت عدوى اللدود!

تيليجين: لا أستطيع، لا أستطيع.. سأذهب.. **(يخرج فى انفعال شديد)**.

سيريبرياكوف: ماذا تريد منى؟ وبأى حق تخاطبنى بهذه اللهجة؟ أيها التافه! إذا كانت الضيعة لك فخذها، لست محتاجا إليها!

يلينا أندرييفنا: سأرحل فورا من هذا الجحيم! **(تصرخ)** لا أستطيع أن أحتمل أكثر!

فوينيتسكى: ضاعت حياتى! إننى موهوب، ذكى، شجاع.. لو عشت حياة طبيعية لربما أصبحت مثل شوبنهاور أو دوستويفسكى.. يا إلهى، ماذا أقول! إننى أجن.. أماه يا للضياع! أماه!

ماريا فاسيليفنا: **(بصرامة)** اسمع كلام ألكسندر!

سونيا: **(تجثو أمام المربية على ركبتيها وتلتصق بها)** يا دادة! يا دادة!

فوينيتسكى: أماه! ماذا أفعل؟ لا داعى، لا تقولى! أنا أعرف ما ينبغى عمله! **(لسيريبرياكوف)** سوف تذكرنى! **(يخرج من الباب الأوسط)**

(ماريا فاسيليفنا تتبعه)

سيريبرياكوف: ما هذا كله يا سادة؟ أبعدوا عنى هذا المجنون! لا أستطيع أن أعيش معه تحت سقف واحد! يعيش هنا **(يشير إلى الباب الأوسط)** بجوارى تقريبا.. فلينتقل إلى القرية، أو إلى الجناح الملحق، أو أنتقل أنا من هنا، لكنى لا أستطيع أن أبقى معه فى بيت واحد..

يلينا أندرييفنا: **(لزوجها)** سنرحل من هنا اليوم! أصدر التعليمات الآن فورا!

سيريبرياكوف: هذا التافه!

سونيا: **(راكعة على ركبتيها، تلتفت إلى أبيها، تقول بعصبية، من خلال الدموع)** كن رحيما يا بابا! أنا وخالى فانيا جد

تعيسين! (**تكتم القنوط**) كن رحيما! رحيما! تذكر، عندما كنت أصغر سنا، كان خالى فانيا وجدتى يسهران الليالى فى ترجمة. الكتب لك ونسخ أوراقك.. طوال الليالى، طوال الليالى! وعملت أنا وخالى فانيا دون أن نذوق طعم الراحة، كنا نخشى أن ننفق على أنفسنا كوبيكا واحدا، ونرسل لك كل النقود.. لم نكن عالة! ليس هذا ما أريد أن أقوله، ليس هذا، ولكن افهمنا يا بابا. كن رحيما!

يلينا أندرييفنا: (**مضطربة، لزوجها**) ألكسندر، أرجوك، تفاهم معه.. أتوسل إليك.

سيريبرياكوف: حسنا، سأتفاهم معه.. أنا لا أتهمه بأى شىء لست غاضبا منه، ولكن سلوكه، أقل ما يوصف به أنه غريب. طيب، سأذهب إليه (**يخرج من الباب الأوسط**)

يلينا أندرييفنا: كن لطيفا معه.. هدئه.. (**تنصرف خلفه**)

سونيا: (**ملتصقة بمربيتها**) يا دادة! يا دادة!

مارينا: لا بأس يا بنيتى. سيتصايح الوز ثم يهدأ.. سيتصايح ثم يهدأ..

سونيا: يا دادة!

مارينا: (**تمسح على رأسها**) ترتعشين كأنك فى الصقيع! طيب، طيب يا مسكينة، الله رحيم. قليلا من شاى الزيزفون أو التوت البرى وينتهى هذا.. لا تحزنى يا مسكينة.. (**تنظر إلى الباب الأوسط وتقول بغضب**) انظر كيف هاجوا، ذكور الأوز، لتخطفكم الأبالسة!

(يسمع خلف المسرح صوت طلقة، ثم صرخة يلينا أندرييفنا، سونيا تتنفض) عليكم اللعنة!

سيريبرياكوف: (يندفع داخلا وهو يترنح من الفزع) أمسكوه! أمسكوه! لقد جنّ!

(يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى يتصارعان فى الباب)

يلينا أندرييفنا: (تحاول انتزاع المسدس منه) هاته! قلت لك هاته!

فوينيتسكى: دعينى يا Hélène! دعينى! (يتملص منها فيدخل راكضا وهو يبحث بعينيه عن سيريبرياكوف) أين هو؟ آه، ها هو ذا! (يطلق النار عليه) خذ!

(صمت)

لم أصبه؟ أخطأت ثانية؟! بغضب آه، يا للشيطان، يا للشيطان..، فليخطفه الشيطان.. (يقذف بالمسدس على الأرض ويرتمى على المقعد فى إعياء)

(سيريبرياكوف مذهول. يلينا أندرييفنا تستند على الحائط، تشعر بدوار)

يلينا أندرييفنا: خذونى من هنا! خذونى، اقتلونى، ولكن.. لا أستطيع أن أبقى هنا، لا أستطيع!

فوينيتسكى: (فى يأس) أوه، ما الذى أفعله! ما الذى أفعله!

سونيا: (بصوت خافت) يا دادة! يا دادة!

(ستار)

الفصل الرابع

(غرفة إيفان بتروفتش. هنا غرفة نومه وكذلك مكتب إدارة الضيعة بجوار النافذة طاولة كبيرة عليها دفاتر حسابات وأوراق مختلفة، طاولة مكتب عالية، خزانات، ميزان. طاولة أصغر لأستروف. على هذا الطاولة معدات رسم وألوان، وبالقرب منها حافظة أوراق. قفص به زرزور. على الجدار خريطة إفريقيا، يبدو لا حاجة لأحد إليها هنا. كنبة ضخمة، منجدة بمشمع. إلى اليسار باب يفضى إلى الغرف الداخلية. إلى اليمين باب يفضى إلى المدخل. بجوار الباب الأيمن فرشت ممسحة أقدام لكى لا يوسخ الفلاحون المكان بأقدامهم. الوقت مساء خريفى. يسود السكون. تيليجين ومارينا يجلسان متقابلين ويلفان خيوط الصوف)

تيليجين: أسرعى يا مارينا تيموفييفنا وإلا سينادوننا الآن للتوديع. أمروا بإحضار العربة.

مارينا: (**تحاول اللف أسرع**) بقى القليل.

تيليجين: يسافرون على خاركوف. سيعيشون هناك.

مارينا: هذا أفضل.

تيليجين: ذعروا.. يلينا أندرييفنا تقول: «لا أريد البقاء هنا ساعة واحدة.. فلنرحل، فلنرحل..» تقول: «فلنعش فى خاركوف، وبعد أن نستقر، نرسل فى طلب المتاع..» يسافرون بلا متاع. وإذن يا مارينا تيموفييفنا فليس مقدرا لهم أن يعيشوا هنا. ليس مقدرا.. قضاء وقدر.

مارينا: هذا أفضل؟ ظهرًا أثاروا ضجة، وأطلقوا النار، يا للعار!

تيليجين: نعم، موضوع جدير بريشة آيفازوفسكى[1].

مارينا: ليت عيناى لم تريا.

(صمت)

سنعيش كما كنا نعيش من قبل. الشاى صباحا فى الثامنة، الغداء فى الواحدة، وفى المساء نجلس إلى العشاء. كل شىء بنظامه، مثل بقية البشر.. كما لدى المسيحيين (تتنهد) أستغفر الله، لم أذق الشعرية منذ زمن طويل.

تيليجين: نعم، من زمان لم نطبخ شعرية.

(صمت)

من زمان.. صباح اليوم يا مارينا تيموفييفنا، كنت مارا بالقرية، وإذا بالبقال يصيح بى: «إيه، أنت أيها العالة!» أوه، كم أحسست بالمرارة!

---

(١) إيفان آيفازوفسكى (١٨١٧ـ ١٩٠٠) مصور روسى اشتهر برسم مناظر البحر والمعارك البحرية. المعرب.

مــــاريـــنـــا: لا تهتم يا أخى. كلنا عالة على الرب. أنت، وسونيا، وإيفان بتروفتش، كلنا نعمل، لا أحد فينا يجلس بلا عمل... كلنا.. أين سونيا؟

تــيـلــيــجــين: فى البستان. طوال الوقت تتمشى مع الدكتور، تبحث عن إيفان بتروفتش. يخافان أن ينتحر.

مــــاريـــنـــا: وأين مسدسه؟

تــيـلــيــجــين: (**همسا**) أنا خبأته فى القبو!

مــــاريـــنـــا: (**بسخرية**) يا للذنوب!

(يدخل فـوينيتسكى وأستروف قادمين من الفناء)

فـوينيتســكى: دعنى. (**لمارينا وتيليجين**) اخرجا من هنا، اتركانى وحدى ولو ساعة! أنا لا أطيق الحماية.

تــيـلــيــجــين: حالا، يا فانيا. (**يخرج على أطراف أصابعه**)

مــــاريـــنـــا: ذكر وز: قا.. قا.. قا! (**تجمع الصوف وتخرج**)

فـوينيتســكى: دعنى!

أســــــتروف: بكل سرور، علىَّ أن أرحل عن هنا من زمان، ولكنى، أكرر، لن أرحل ما لم تعد لى ما أخذته منى.

فـوينيتســكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

أســــــتروف: أحدثك بجدية، لا تعطلنى، على أن أرحل من فترة طويلة.

فـوينيتســكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

(يجلسان)

أســـــتروف: حقا؟ حسنا، سأنتظر قليلا، ثم سأضطر، مع الأسف، إلى استخدام القوة. سنوثقك ونفتشك. أقول لك ذلك بمنتهى الجدية.

فـوينيتســكى: كما تشاء

(صمت)

يا لها من حماقة.. أطلقت النار مرتين فلم أصبه ولو مرة! لن أغفر هذا لنفسى أبدا!

أســـــتروف: طالما رغبت فى إطلاق النار، كان الأولى أن تطلقه على رأسك أنت.

فـوينيتســكى: (**يهز كتفيه**) غريبة. شرعت فى القتل، ولكنهم لا يقبضون علىَّ، ولا يتدموننى للمحاكمة. إذن يعتبروننى مجنونا. (**يضحك ضحكا مغيظا**) أنا المجنون، وليس أولئك الذين يخفون تحت قشرة الأستاذ والعالم العلامة تفاهتهم وبلادتهم، وقسوة قلوبهم الخارقة. ليس المجانين أولئك اللائى يتزوجن العجائز ثم يخدعنهم علانية. لقد رأيت، رأيتك وأنت تعانقها!

أســـــتروف: نعم، عانقتها، أما أنت فمت بغيظك! (**يخرج له لسانه**)

فـوينيتســكى: (**ناظرا إلى الباب**) كلا، المجنونة هى الأرض، التى ما زالت تحملكم!

أســـــتروف: هذه حماقة.

فـوينيتســكى: فليكن، أنا مجنون، معتوه، من حقى أن أتفوه بحماقات.

أستروف: لعبة قديمة. أنت لست مجنونا، بل مجرد شخص غريب الأطوار. مهرج أخرق. من قبل كنت أعتبر كل شخص غريب الأطوار شخصا مريضا، غير طبيعى، أما الآن فأعتبر أن الحالة الطبيعية للإنسان أن يكون غريب الأطوار. أنت طبيعى تماما.

فوينيتسكى: **(يغطى وجهه بيديه)** يا للخجل! يا للعار! لو تدرى كم أشعر بالخزى! هذا الإحساس الحاد بالخزى لا يمكن أن يقارن بأى ألم **(بأسى)** هذا فظيع! **(ينحنى على الطاولة)** ما العمل؟ ما العمل؟

أستروف: لا شىء

فوينيتسكى: أعطنى أى شىء! أوه يا إلهى.. أنا فى السابعة والأربعين. لو افترضنا أننى سأعيش إلى الستين، إذن يبقى لى ثلاثة عشر عاما. مدة طويلة! كيف سأعيش هذه الأعوام الثلاثة عشر؟ ماذا سأفعل؟ بِمَ املؤها؟ أوه، أتدرى.. **(يعصر يد أستروف بتوتر)** أتدرى، لو أمكن أن أعيش بقية حياتى بطريقة جديدة. أن تستيقظ ذات صباح صحو هادئ فتشعر أنك بدأت تعيش بطريقة جديدة، وكل الماضى قد نسى، تبدد كالدخان. **(يبكى)** أن أبدأ حياة جديدة.. قل لى، كيف أبدأ.. مم أبدأ..؟

أستروف: **(بأسى)** إيه، تبا لك! عن أية حياة جديدة تتحدث! حالتنا، حالتك وحالتى، ميئوس منها.

فـوينيتسـكى: حقا؟

أسـتروف: أنا واثق من ذلك.

فـوينيتسـكى: أعطنى شيئا ما.. (**يشير إلى قلبه**) هنا يحرقنى.

أسـتروف: (**يصرخ بغضب**) كفى! (**يهدأ**) أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتى عام سوف يحتقروننا، لأننا عشنا حياتنا بهذه الصورة الحمقاء، بهذه الفجاجة. وربما وجد هؤلاء القادمون وسيلة لجعل الإنسان سعيدًا، أما نحن.. ليس لديك أو لدىَّ شىء سوى الأمل. الأمل بأن تزورنا الرؤى عندما نهجع فى التابوت، بل وربما الرؤى السارة. (**متنهدا**) نعم يا أخى. فى الناحية كلها لم يكن هناك سوى شخصين محترمين مثقفين: أنا وأنت. ولكن خلال عشر سنوات فقط أغرقتنا الحياة الضيقة الأفق، الحياة المزرية فى أوحالها. سممت دماءنا بأبخرتها العفنة، فأصبحنا مبتذلين مثل الآخرين. (**بحيوية**) ولكن دعك من محاولة صرف نظرى. هات ما أخذته منى.

فـوينيتسـكى: لم آخذ منك شيئا.

أسـتروف: بل أخذت من صيدليتى المحمولة علبة مورفين.

(**صمت**)

اسمع، إذا كنت تريد حتما أن تنتحر فاذهب إلى الغابة، وأطلق على نفسك النار هناك. أما المورفين فهاته، وإلا فستنتشر الأقاويل والتلميحات، وقد يظن أحد أننى أنا الذى أعطيته لك.. يكفينى أننى سأضطر إلى تشريح جثتك.. أتظن ذلك ممتعا؟

(تدخل سونيا)

فوينيتسكى: دعنى وشأنى.

أستروف: (لسونيا) صوفيا ألكسندروفنا، خالك أخذ من صيدليتى علبة مورفين ولا يريد إرجاعها. قولى له إن هذا.. ليس من الحكمة عموما. ثم إنه لا وقت لدىَّ. حان أن أرحل.

سونيا: يا خالى فانيا، هل أخذت المورفين؟

(صمت)

أستروف: لقد أخذه. أنا واثق من ذلك.

سونيا: هاته. لماذا تخيفنا؟ (برقة) هات يا خالى فانيا! ربما كنت أنا أتعس منك، لكننى لا أيأس. إننى أصبر، وسوف أصبر إلى أن تنتهى حياتى نهايتها الطبيعية.. فاصبر أنت أيضا.

(صمت)

هاته! تقبل (يديه) يا خالى الحبيب، أيها الغالى، أيها العزيز، هاته! (تبكى) أنت طيب، ستشفق علينا وستعطيه لنا. اصبر يا خالى، اصبر!

فوينيتسكى: (يخرج العلبة من درج المكتب ويعطيها لأستروف) ها هو، خذه! (لسونيا) ولكن ينبغى أن أعمل بسرعة، أن أعمل شيئا ما بسرعة، وإلا فإننى لا أستطيع.. لا أستطيع..

سـونـيـا: نعم، نعم، سنعمل. ما إن نودعهم حتى نجلس لنعمل.. **(تقلب الأوراق على المكتب بعصبية)** أعمالنا أهملت تماما.

أسـتروف: **(يضع العلبة فى الصيدلية ويربط الأحزمة)** الآن يمكننى أن أرحل.

يلينا أندرييفنا: **(تدخل)** إيفان بتروفتش، أنت هنا؟ سنرحل الآن. اذهب إلى ألكسندر، يريد أن يقول لك شيئا.

سـونـيـا: اذهب، اذهب يا خالى فانيا. **(تتأبط ذراعه)** هيا بنا. أنت وبابا ينبغى أن تتصالحا. هذا ضرورى.

(تنصرف سونيا وفوينيتسكى)

يلينا أندرييفنا: إننى راحلة **(تمد يدها لأستروف)** وداعا.

أسـتروف: هكذا سريعا؟

يلينا أندرييفنا: العربة جاهزة.

أسـتروف: وداعا.

يلينا أندرييفنا: لقد وعدتنى اليوم أنك سترحل عن هنا.

أسـتروف: إننى أذكر سأرحل حالا.

(صمت)

فزعت؟ **(يمسك بيدها)** هل هذا مخيف هكذا؟

يلينا أندرييفنا: نعم.

أسـتروف: هلا بقيت، هه؟ غدا فى الغابة..

يلينا أندرييفنا: كلا.. انتهى الأمر.. إنما أنظر إليك بهذه الجرأة لأن السفر

قد تقرر.. كل ما أرجوه منك شيء واحد: لتكن فكرتك عنى أفضل. أود أن تحترمنى.

أستروف: إيه! (إشارة ضيق) ابقى هنا أرجوك. فلتعترفى بأنه ليس لديك ما تفعلينه فى هذه الدنيا، ليس لديك أى هدف فى الحياة، ولن تجدى ما تشغلين به اهتمامك، وعاجلا أم آجلا ستستسلمين للأحاسيس، هذا محتم. وإذن فمن الأفضل ألا يكون ذلك فى خاركوف، أو كورسك، بل هنا، فى أحضان الطبيعة.. جو شاعرى على الأقل، حتى الخريف جميل.. هنا يوجد غابة، ودور نصف مهدمة، على ذوق تورجينيف..

يلينا اندرييفنا: كم أنت مضحك.. إننى غاضبة منك، ومع ذلك.. سوف أتذكرك بكل سرور. أنت إنسان طريف، فريد. لن نلتقى بعد الآن أبدا، ولذلك فما الداعى لأن أخبئ؟ إننى قد همت بك قليلا. حسنا، فلنتصافح ولنفترق كأصدقاء. لا تذكرنى بسوء.

أستروف: (بعد أن صافحها) نعم، فلتسافرى.. (متفكرا) تبدين إنسانا طيبا، عطوفا، ومع ذلك يبدو وكأن هناك شيئا غريبا فى جوهرك. ها أنت قد جئت إلى هنا مع زوجك، فكان على كل من يعمل هنا، كل من ينقب، ويخلق شيئا ما، أن يهجروا أعمالهم ويشغلوا أنفسهم طوال الصيف فقط بنقرس زوجك وبك. كلاكما ـ هو وأنت ـ نقلتما

إلينا جميعا عدوى فراغكما. أنا همت بك، ولم أفعل شيئا طوال شهر، وفى تلك الأثناء مرض الناس، وفى غاباتى ومشاتلى رعى الفلاحون مواشيهم.. وهكذا، فحيثما حللتما، أنت وزوجك، تحملان معكما الدمار.. إننى أمزح بالطبع، ولكن.. غريبة، إننى على يقين من أنك لو بقيت، فسيحل خراب هائل. ولهلكت أنا، وأنت أيضا.. ما كنت لتتجنبى البلاء. حسنا، سافرى Finita la comedia!.[1]

يلينا أندرييفنا: **(تأخذ قلما من على مكتبه وتخفيه بسرعة)** هذا القلم سآخذه للذكرى.

أستروف: شىء غريب.. كنا معارف وفجأة، لسبب ما..لن نلتقى بعد الآن أبدا.. هكذا حال الدنيا.. طالما نحن هنا وحدنا، وطالما لم يدخل الخال فانيا بعد بباقة أزهار اسمحى لى.. أن أقبلك.. قبلة الوداع.. حسنا؟ **(يقبلها فى خدها)** طيب.. هذا عظيم.

يلينا أندرييفنا: أرجو لك كل خير. **(تتلفت)** ليكن ما يكون، مرة فى العمر! **(تعانقة باندفاع، وعلى الفور يبتعد كل منهما عن الآخر بسرعة)** ينبغى أن أرحل.

أستروف: ارحلى بسرعة. إذا كانت العربة جاهزة فلترحلى.

يلينا أندرييفنا: يبدو أحدهم قادم

---

(١) انتهت التمثيلية (بالإيطالية). .

(كلاهما يصيخان)

أســـــتروف: Finita

(يدخل سيريبرياكوف، وفـوينيتسكى، وماريا فاسيليفنا ومعها كتاب، وتيليجين وسونيا)

سيريبرياكوف: **(لفوينيتسكى)** فلتنزل اللعنة على رأس من يتذكر الماضى. بعدكل ما حدث، وفى هذه الساعات القليلة عانيت الكثير، وقلبت فى رأسى الكثير، حتى ليخيل إلىَّ أننى أستطيع كتابة بحث كامل كوصية للأحفاد عن كيف ينبغى أن نحيا. إننى أقبل اعتذارك بكل سرور، ومن جهتى أيضا أرجو المعذرة. وداعا! **(يتبادل القبل مع فـوينيتسـكى ثلاث مرات)**

فـوينيتســكى: سوف تحصل بانتظام على ما كنت تحصل عليه سابقا. كل شيء سيكون كما كان.

(يلينا أندرييفنا تعانق سونيا)

سيريبرياكوف: **(يقبل يد ماريا فاسيليفنا)**. ...maman

ماريا فاسيليفنا: **(تقبله)** ألكسندر، تصور ثانية وأرسل لى صورتك. أنت تعلم كم أعزك.

تـيـلـيـجـين: الوداع يا صاحب المعالى! لا تنسونا!

سيريبرياكوف: **(بعد أن يقبل ابنته)** الوداع.. الوداع جميعا! **(يمد يده لأستروف)** أشكركم على صحبتكم اللطيفة.. إننى أحترم طريقة تفكيرك، واهتماماتك، وطموحاتك، ولكن

اسمح لى كعجوز أن أضمن تحية الوداع ملحوظة واحدة فقط: ينبغى القيام بعمل يا سادة! ينبغى القيام بعمل! **(انحناءة للجميع)** تمنياتى بالتوفيق! **(ينصرف، تتبعه ماريا فاسيليفنا وسونيا)**

فوينيتسكى: **(يقبل يد يلينا أندريفنا بقوة)** الوداع.. سامحينى.. لن نرى بعضنا أبدا.

يلينا أندرييفنا: **(بتأثر)** الوداع يا عزيزى **(تقبله فى رأسه وتنصرف)**

أستروف: **(لتيليجين)** قل لهم يا وفل بأن يحضروا لى العربة أنا أيضا.

تيليجين: حاضر يا صديقى. **(ينصرف)**

(يبقى أستروف وفوينيتسكى فقط)

أستروف: **(يجمع الألوان من على المكتب ويودعها الحقيبة)** ماذا، ألن تخرج لوداعهم؟

فوينيتسكى: فليرحلوا، أما أنا.. أنا لا أستطيع، صعب على. ينبغى أن أشغل نفسى بشىء ما بسرعة.. أن أعمل، أن أعمل! **(يفتش فى الأوراق التى على الطاولة)**

(صمت. تسمع أجراس)

أستروف: رحلوا. لا بد أن الأستاذ سعيد لن تغريه أبدا بالمجىء إلى هنا مرة ثانية.

مارينا: **(تدخل)** رحلوا. **(تجلس فى المقعد وتحوك الجورب)**

سونيا: **(تدخل)** رحلوا. **(تمسح عينيها)** وفقهما الله. **(لخالها)** حسنا يا خالى فانيا، هيا نعمل شيئا ما.

فوينيتسكى: إلى العمل، إلى العمل..

سونيا: من زمان، من زمان لم نجلس معا إلى هذه الطاولة **(تشعل المصباح على الطاولة)** يبدو لا يوجد حبر.. **(تأخذ المحبرة وتذهب إلى الصوان فتملأها حبرا)** أشعر بالحزن لأنهم رحلوا.

ماريا فاسيليفنا: **(تدخل ببطء)** رحلوا! **(تجلس وتنهمك فى القراءة)**

سونيا: **(تجلس إلى المكتب وتقلب دفتر الحسابات)** سنسجل يا خالى فانيا قبل كل شىء كشوف الحسابات. أمورنا مهملة جدا. اليوم أرسلوا ثانية يطلبون كشوف الحسابات. اكتب. اكتب أنت كشفا، وسأكتب أنا آخر..

فوينيتسكى: **(يكتب)** «كشف حساب.. للسيد..»

(كلاهما يكتبان فى صمت)

مارينا: **(تتثاءب)** أنا نعسانة..

أستروف: يا للهدوء. الرياش تصر، صرَّار الليل يئز. الجو دافئ، مريح، لا أرغب فى الرحيل عن هنا.

(تسمع أجراس الخيول)

هاهم قد أحضروا العربة.. إذن لم يبق إلا أن أودعكم يا أصدقائى، أودع مكتبى، ثم أنطلق! **(يضع الخرائط فى الحافظة)**

مـــاريـــنـــا: وما الداعى للعجلة؟ ابق معنا.

أســـــتروف: لا يمكن.

فـوينيتسـكى: (**يكتب**) «وبقى من الدين القديم روبلان وخمسة وسبعون..»

(**يدخل العامل**)

الـــعـــامـــل: ميخائيل لفوفتش، العربة جاهزة.

أســـــتروف: سمعت. (**يسلمه الصيدلية والحقيبة والحافظة**) خذ هذا. إياك أن تثنى الحافظة.

الـــعـــامـــل: حاضر.

أســـــتروف: حسنا.. (**يتجه إليهم للتوديع**)

ســـونـــيـــا: متى سنراك؟

أســـــتروف: ليس قبل الصيف، فيما أعتقد. فى الشتاء لا أظن.. بالطبع لو حدث شيء أخبرونى وسآتى (**يشد على يديها**) أشكركم على الخبز، والملح، والعطف.. باختصار، على كل شيء. (**يتجه إلى المربية ويقبل رأسها**) وداعا يا عجوزى.

مـــاريـــنـــا: أهكذا تسافر دون شاى؟

أســـــتروف: لا أريد يا دادة.

مـــاريـــنـــا: ربما تشرب فودكا؟

أســـــتروف: (**مترددا**) يمكن..

(**مارينا تنصرف**)

(**بعد صمت**) حصانى بدأ يعرج لسبب ما. بالأمس لاحظت ذلك عندما ساقه بتروشكا ليسقيه.

فوينيتسكى: ينبغى تغيير الحدوات.

أستروف: سأضطر أن أعرج على الحداد فى قرية روجد يستفينويه. لا مفر. (**يقترب من خريطة إفريقيا ويتأملها**) لا بد أن الحر الآن شديد فى إفريقيا هذه، شىء فظيع!

فوينيتسكى: نعم، فى الغالب.

مارينا: (**تعود حاملة صينية عليها قدح فودكا وقطعة خبز**) تفضل.

(**أستروف يشرب الفودكا**)

بالصحة يا ولدى. (**تنحنى بشدة**) ألا تمز بالخبز؟

أستروف: كلا، لا أريد.. ثم حظا سعيدا! (**لمارينا**) لا توصلينى يا دادة، لا داعى.

(**ينصرف. سونيا تتبعه حاملة شمعة لتوصله، مارينا تجلس فى مقعدها**)

فوينيتسكى: (**يكتب**) «الثانى من فبراير، زيت نباتى عشرون رطلا.. السادس عشر من فبراير، زيت نباتى مرة أخرى عشرون رطلا.. شعير..»

(**صمت. تسمع أجراس العربة**)

مارينا: رحل.

(**صمت**)

ســونـيـا: (تعود، تضع الشمعة على الطاولة) رحل..

فوينيتسكى: (يحسب على العداد ويسجل) الجملة.. خمسة عشر.. خمسة وعشرون..

(سونيا تجلس وتكتب)

ماريـنـا: (تتثاءب) آه، استغفر الله..

(تيليجين يدخل على أطراف أصابعه، يجلس قرب الباب ويضبط الجيتار بصوت خافت)

فوينيتسكى: (لسونيا وهو يمسد شعرها) كم أعانى يا بنيتى! آه لو تدرين كم أعانى!

ســونـيـا: ما العمل، علينا أن نعيش!

(صمت)

سوف نعيش يا خالى فانيا. سنعيش عددا عديدا من الأيام والأمسيات الطويلة. وسنتحمل بصبر تلك المحن التى ستبلونا بها الأقدار. سوف نكدح للآخرين الآن، وفى شيخوختنا، دون أن نذوق طعم الراحة، وعندما يدنو أجلنا سنموت مذعنين، وهناك، خلف التابوت، سنقول إننا عانينا، إننا بكينا، إننا قاسينا المرارة، وسيشفق الله علينا، وسنرى يا خالى، يا خالى العزيز، حياة مشرقة، رائعة، جميلة، وسنفرح، وننظر إلى بؤسنا الحالى بتأثر وابتسامة، ونرتاح. إننى أومن يا خالى، أومن بحرارة وقوة.. (تجثو أمامه على ركبتيها وتضع رأسها على يديه. تقول بصوت مرهق) سنرتاح!

(تيليجين يعزف على الجيتار بصوت خافت)

سنرتاح! سنسمع ترانيم الملائكة، وسنرى السماء. مرصعة بالماس، سنرى كيف تغرق كل شرور الدنيا، كل آلامنا فى بحر الرحمة، الذى سيغمر العالم كله، وستصبح حياتنا هادئة، رقيقة، عذبة كالحنان. أنا أومن، أومن.. **(تمسح له دموعه بالمنديل)** ياخالى فانيا المسكين، أنت تبكى.. **(من خلال الدموع)** أنت لم تعرف الفرح فى حياتك، لكن مهلا، مهلا يا خالى فانيا.. سوف نرتاح **(تعانقه)** سنرتاح!

(الحارس يدق)

(تيليجين يدندن بصوت خافت: ماريا فاسيليفنا تدون ملاحظاتها على هامش الكتيب، مارينا تحوك الجورب)

سوف نرتاح!

(الستار يهبط ببطء)

الشقيقات الثلاث

دراما فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

بروزوروف أندريه سرجييفيتش	
نتاليا إيفانوفنا	خطيبته، ثم زوجته فيما بعد
أولجا	
ماشا	شقيقاته
إيرينا	
كوليجين فيودور إيليتش	مدرس ثانوى، زوج ماشا
فيرشينين ألكسندر	مقدم، قائد بطارية مدفعية
توزنباخ نيقولاى لفوفيتش	بارون، ملازم أول
سوليونى فاسيلى فاسيليفيتش	نقيب
تشـيبوتيكـين إيفان رومانوفيتش	طبيب عسكرى
فيدوتيك ألكسى بتروفيتش	ملازم
رودى فلاديمير كارلوفيتش	ملازم
فيرابونت	حارس من إدارة مجلس الإقليم، عجوز
أنفيسا	مربية، عجوز فى الثمانين

ـ تدور الأحداث فى عاصمة إحدى المحافظات

الفصل الأول

(فى منزل آل بروزوروف غرفة جلوس بأعمدة، يرى خلفها صالة كبيرة. الوقت ظهر. الجو مشمس، مرح. فى الصالة يعدون مائدة الإفطار. أولجا فى فستان كحلى، الزى الرسمى لمدرسات المدارس الثانوية للبنات، طوال الوقت تصحح دفاتر التلميذات وهى واقفة وأثناء السير. ماشا فى فستان أسود، جالسة تقرأ كتابا والقبعة على ركبتيها. إيرينا فى فستان أبيض، تقف مستغرقة فى التفكير)

أولجـــــــــــا: بابا مات منذ عام بالضبط فى هذا اليوم، الخامس من مايو، فى عيد شفيعتك يا إيرينا. كان الجو شديد البرودة، والثلج يسقط. بدا لى أننى لن أحتمل، وأنت كنت راقدة، مغمى عليك، كالميتة. وها قد مر عام، وإذا نحن نتذكر ذلك بلا مشقة، وأنت فى ثوب أبيض ووجهك متهلل. **(الساعة تدق الثانية عشرة)** وآنذاك دقت الساعة مثلما الآن.

(صمت)

أذكر عندما حملوا بابا عزفت الموسيقى، وأطلقت النار عندالمقابر. كان جنرالا، قائد لواء، ومع ذلك كان عدد المشيعين قليلا. عموما كانت الدنيا تمطر ساعتها، مطر شديد، وثلج.

إيــــريـــــنـــــا: ما الداعى للتذكر!

(خلف الأعمدة، فى الصلة، بجوار المائدة، يظهر البارون توزنباخ وتشـيبوتيكين وسوليونى)

أوجــــــــــــا: اليوم دافئ، يمكن إبقاء النوافذ مفتوحة، لكن البتولا لم تزهر. بابا تولى قيادة اللواء وسافر بنا من موسكو منذ إحدى عشرة سنة، وأنا أذكر جيدا، فى أوائل مايو، فى مثل هذا الوقت، كان كل شىء فى موسكو مزهرا، تغمره الشمس، والدفء منتشر. مرت إحدى عشرة سنة وما زلت أذكر كل شىء هناك، كأنما رحلنا أمس. يا إلهى! استيقظت اليوم ورأيت الربيع، فتحركت الفرحة فى قلبى، وتُقت بشدة للعودة إلى مسقط رأسى.

تشـيبوتيكــين: لن يكون!

تــوزنــبــاخ: بالطبع هراء.

(ماشا مستغرقة فى التفكير مع الكتاب تصفر لحن أغنية)

أوجــــــــــــا: لا تصفرى يا ماشا. كيف يمكن!

(صمت)

لأنى أذهب إلى المدرسة كل يوم، ثم أعطى دروسا حتى

المساء لا يفارقنى الصداع، وتنتابنى أفكار، كأنما هرمت حقا. وبالفعل، فخلال هذه السنوات الأربع، منذ أن عملت فى المدرسة وأنا أحس كيف تتسرب منى القوة والشباب كل يوم قطرة قطرة. ولا ينمو ويتعزز إلا أمل واحد..

إيـــريـــنــــا: الرحيل إلى موسكو. بيع البيت والخلاص من كل شىء هنا، ثم إلى موسكو..

أولجـــــــــا: نعم إلى موسكو وبسرعة

(تشـيبوتيكين وتوزنباخ يضحكان)

إيـــريـــنــــا: أخونا سيصبح أستاذا فى الغالب، ولن يبقى هنا على أى حال. فقط ماشا المسكينة لديها ما يمنعها.

أولجـــــــــا: ماشا سوف تأتى إلى موسكو كل سنة لقضاء الصيف.

(ماشا تصفر لحن الأغنية بصوت خافت)

إيـــريـــنــــا: إن شاء الله تسوى الأمور. **(تنظر من النافذة)** الجو جميل اليوم. لا أدرى لماذا أشعر بهذه البهجة! تذكرت فى الصباح أن اليوم عيد شفيعتى فأحسست فجأة بالفرحة وتذكرت الطفولة، عندما كانت ماما لا تزال حية. يا لها من أفكار ساحرة هزتنى، يا لها من أفكار!

أولجـــــــــا: أنت اليوم تتهللين، تبدين جميلة بشكل خارق. وماشا أيضا جميلة. أندريه كان يمكن أن يكون جميلا لو لم يسمن كثيرا، وهذا لا يناسبه. أما أنا فهرمت، ونحفت كثيرا،

ربما لأنى أغضب فى المدرسة من البنات. ها أنذا اليوم فى إجازة، فى البيت، فلا أشعر بالصداع، وأحس أننى أصغر مما كنت بالأمس. عمرى ثمان وعشرون سنة، لكن.. كل شيء حسن؛ من عند الله، لكن يبدو لى أننى لو كنت متزوجة، أجلس فى البيت طول النهار، لكان أفضل.

(صمت)

ولأحببت زوجى.

توزنباخ: **(لسوليونى)** أى هراء تقول، مللت سماعك. **(يدخل غرفة الجلوس)** نسيت أن أقول. سيزوركم اليوم قائد بطاريتنا الجديد فيرشينين. **(يجلس إلى البيانو)**

أولجا: حسنا! سعيدة جدا.

إيرينا: أهو عجوز؟

توزنباخ: كلا، معقول. أقصى حد: أربعون، خمسة وأربعون. **(يعزف بصوت خافت)** يبدو أنه فتى طيب. ليس غبيا.. هذا لا شك فيه. فقط كثير الكلام.

إيرينا: أهو طريف؟

توزنباخ: نعم، لا بأس به، فقط عنده زوجة وحماة وبنتان. كما أنه متزوج للمرة الثانية. يقوم بالزيارات، وفى كل مكان يقول إن عنده زوجة وبنتين. وهنا سيقول. زوجته على ما يبدو شبه معتوهة، بضفيرة عذارى طويلة، لا تتفوه إلا بأشياء متحذلقة، تتفلسف، وكثيرا ما تحاول الانتحار، ربما نكاية فى زوجها. لو كنت مكانه لهجرت زوجة كهذه، ولكنه يحتملها، ويشكو فقط.

سوليونى: (**داخلا من الصالة إلى غرفة الجلوس مع تشيبوتيكين**) بيد واحدة أرفع بودا ونصف فقط، وبالاثنتين خمسة بودات، بل وستة. ومن هذا أستنتج أن شخصين هما أقوى من شخص واحد ليس مرتين بل ثلاث، وحتى أكثر.

تشيبوتيكين: (**يقرأ صحيفة أثناء سيره**) فى حالة سقوط الشعر.. درهمان نفتالين على نصف زجاجة كحول.. يذوب ويستعمل يوميا.. (**يسجل فى مفكرة**) لنسجل! (**لسوليونى**) هكذا كما قلت لك، تحشر السدادة فى الزجاجة، ويمر عبرها أنبوب زجاجى.. ثم تأخذ قبضة من أبسط أنواع الشبة، العادية جدا..

إيرينا: إيفان رومانيتش، إيفان رومانيتش العزيز!

تشيبوتيكين: نعم يا بنيتى، نعم يا حلوتى؟

إيرينا: خبرنى لِمَ أنا سعيدة هكذا اليوم؟ كأنما تحملنى أشرعة، وفوق رأسى سماء واسعة زرقاء وتحلق طيور كبيرة بيضاء. لِمَ هذا؟ لِمَ؟

تشيبوتيكين: (**يقبل كلتا يديها، برقة**) أنت طيرى الأبيض..

إيرينا: عندما استيقظت اليوم، ثم نهضت واغتسلت، فجأة أصبح يخيل إلىَّ، أن كل شىء واضح لى فى هذا العالم، وأننى أعرف كيف ينبغى أن أعيش. يا إيفان رومانيتش العزيز، أنا أعرف كل شىء. على الإنسان أن يعمل، أن

يكدح حتى العرق، أيا كان. وفى هذا وحده ينحصر معنى حياته وغايتها، سعادته وأفراحه. ما أجمل أن تكون عاملا، يستيقظ فى الفجر ويكسر الأحجار فى الشارع، أو راعيا، أو معلما يعلم الأطفال، أو سائق قطار.. يا إلهى، ليس إنسانا فحسب، بل الأفضل أن تصبح بغلا، أو مجرد حصان بشرط أن تعمل، من أن تكون امرأة شابة تستيقظ فى الثانية عشرة، ثم تشرب القهوة فى السرير، ثم ترتدى ثيابها ساعتين.. أوه، ما أفظع ذلك! أتحرق إلى العمل كما يتحرق المرء فى يوم قائظ إلى الماء. إذا لم أستيقظ مبكرا وأكدح، فلتتخل عن صداقتك لى يا إيفان رومانيتش.

تشيبوتيكين: (**برقة**) سأتخلى، سأتخلى..

أولجا: بابا عودنا على الاستيقاظ فى الساعة السابعة. والآن تستيقظ إيرينا فى السابعة، وتستلقى فى الفراش للتاسعة على الأقل، وهى تفكر فى شىء ما. ووجهها جدى! (**تضحك**)

إيرينا: تعودتِ على رؤيتى فتاة صغيرة، ولذلك تستغربين عندما يكون وجهى جادا. أنا فى العشرين!

توزنباخ: الحنين إلى العمل، أوه، يا إلهى، كم هو مفهوم لدىَّ! أنا لم أعمل مرة فى حياتى. ولدت فى بطرسبرج، الباردة والفارغة، فى أسرة لم تعرف العمل أبدا ولا أية هموم. أذكر عندما كنت أحضر إلى البيت من الفيلق، كان الخادم ينزع عنى حذائى، وأنا أتدلل ساعتها، بينما تنظر أمى إلىَّ بإجلال، وتدهش عندما ينظر إلىَّ الآخرون

بطريقة مغايرة. كانوا يصونوننى من العمل، لكن غالبا لم يتمكنوا من ذلك، غالبا! جاء وقت الشدة. شىء ضخم يزحف علينا جميعا، تتجمع عاصفة عفية شديدة، وهى تسير، وقد اقتربت منا، وعما قريب ستنفض عن مجتمعنا الكسل، واللامبالاة، والتحيز ضد العمل، والملل العفن. أنا سوف أعمل، وبعد ما لا يزيد عن ٢٥ـ ٣٠ سنة سيعمل كل إنسان. كل إنسان!

تشيبوتيكين: أنا لن أعمل.

توزنباخ: أنت لست محسوبا.

سوليونى: بعد حوالى خمس وعشرين سنة لن تكون على قيد الحياة، والحمد لله. فبعد سنتين أو ثلاث ستموت بالسكتة، أو أفقد أعصابى فأضع رصاصة فى جبينك، يا ملاكى، **(يخرج من جيبه قارورة عطر ويعطر صدره ويديه)**

تشيبوتيكين: **(يضحك)** حقا أنا لم أقم بأى عمل أبدا. منذ أن تخرجت من الجامعة لم أحرك ساكنا، حتى لم أقرأ كتابا واحدا، كنت أقرأ الصحف فقط.. **(يخرج من جيبه جريدة أخرى)** مثلا.. أعرف من الصحف أنه كان يوجد دوبرولوبوف مثلا، ولكن ماذا كتب، لا أدرى[1].. الله أعلم..

(تسمع دقات فى الأرضية من الطابق الأسفل)

---

(١) نيقولاى دوبرولوبوف (١٨٣٦ ـ ١٨٦١) أديب وناقد ومفكر من أقطاب الديمقراطيين الثوريين الروس. المعرب.

هكذا.. إنهم ينادوننى فى الأسفل، جاء إلىَّ شخص ما. سآتى حالا.. انتظرونى.. **(ينصرف بعجلة وهو يمشط لحيته)**

إيــــريــــنــــا: لقد رتب هذا.

تــــوزنــــبــــاخ: نعم. خرج فى هيئة احتفالية، يبدو سيحضر لك هدية الآن.

إيــــريــــنــــا: يا له من شىء مزعج!

أولجــــــــــا: نعم، فظيع، دائما يرتكب الحماقات.

مــــاشــــــا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، قد ثبتت فى جذعها سلسلة من ذهب..[1] **(تنهض وهى تدندن)**.

أولجــــــــــا: أنت اليوم مكتئبة يا ماشا

(ماشا ترتدى القبعة وهى تدندن)

إلى أين؟

مــــاشــــــا: إلى البيت.

إيــــريــــنــــا: غريبة..

تــــوزنــــبــــاخ: تتركين الحفل!

مــــاشــــــا: سيان.. سآتى فى المساء. وداعا يا عزيزتى.. **(تقبل إيرينا)** تمنايتى لك مرة أخرى، بالصحة، بالسعادة. فى السابق عندما كان بابا على قيد الحياة كان يأتينا دائما فى عيد الشفيع ثلاثون أو أربعون ضابطا، ويعلو الصخب، أما

---

(١) مطلع قصيدة بوشكين «روسلان ولودميلا». المعرب.

اليوم فيحضر شخص ونصف، ويعم السكون كما فى الصحراء.. سأذهب.. أنا اليوم معتلة المزاج، مكتئبة، فلا تنصتى إلىَّ. **(تضحك من خلال الدموع)** سنتحدث فيما بعد، أما الآن فوداعا يا عزيزتى، سأذهب إلى مكان ما.

إيـــريـــنـــا: **(باستياء)** يا لك من..

أولجـــــــــا: **(باكية)** أنا أفهمك يا ماشا.

ســولـيـونــى: إذا تفلسف رجل فذلك فلسفة، أو يعنى سفسطة، ولكن إذا تفلسفت امرأة، بل امرأتان فذلك يعنى: شدنى من إصبعى.

مـــــاشـــــا: ماذا تريد بذلك أن تقول أيها الرجل الرهيب جدا؟

ســولـيـونــى: لا شىء. من قبل أن يفتح فاه دهشة، هاجمه الدب ونهشه[1]

(صمت)

مـــــاشـــــا: **(لأولجا بغضب)** كفى عن النواح!

(تدخل أنفيسا وفيرابونت حاملا تورتة)

أنـــفـــيـــســـا: تعال هنا يا أبتاه، ادخل، قدماك نظيفتان. **(لإيرينا)** من مجلس الإقليم، من بروتوبوبوف، ميخائيل إيفانيتش.. كعكة.

إيـــريـــنـــا: شكرا. اشكريه. **(تتناول التورتة)**.

---

(١) من أمثولة (الفلاح والدب) للأديب إيفان كريلوف (١٧٦٩ ـ ١٨٤٤) الذى اشتهر بالقصص الشعرية عن الحيوانات والطيور والتى ضمنها نقدا للأوضاع القائمة وعبرا ومواعظ. المعرب.

فيرابونت: هه؟

إيرينا: **(بصوت أعلى)** اشكريه!

أولجا: يا دادة، أعطيه قطعة كعك. فيرابونت، اذهب، سيعطونك كعكا هناك.

فيرابونت: هه؟

أنفيسا: هيا يا فيرابونت سبيريدونيتش.. هيا **(تخرج مع فيرابونت)**

ماشا: لا أحب بروتوبوبوف هذا، ميخائيل بوتابتش أو إيفانيتش. لا داعى لدعوته.

إيرينا: أنا لم أدعه.

ماشا: عظيم.

(يدخل تشيبوتيكين ومن خلفه جندى يحمل سماورا فضيا، لغط دهشة واستنكار)

أولجا: **(تغطى وجهها بيديها)** سماور! هذا فظيع! **(تخرج إلى الصالة نحو الطاولة)**.

(إيرينا، توزنباخ وماشا يقولون فى صوت واحد)

إيرينا: إيفان رومانيتش، يا عزيزى، ماذا تفعل!

توزنباخ: **(يضحك)** ألم أقل لك.

ماشا: إيفان رومانيتش، هذا غير معقول!

تشيبوتيكين: يا عزيزاتى، يا جميلاتى، لا أحد لدى غيركن، أنتن عندى أغلى من أى شىء فى الدنيا. قريبا أبلغ الستين،

أنا عجوز، وحيد، عجوز بائس.. ليس فىَّ أى شىء طيب غير هذا الحب لَكُنَّ. ولولا أنتن لما كنت على قيد الحياة من زمن طويل.. **(لإيرينا)** يا بنيتى، يا عزيزتى، أنا أعرفك منذ مولدك.. حملتك على يدىَّ.. كنت أحب المرحومة أمك..

إيـــريـــنـــا: ولكن لا داعى لهذه الهدايا الغالية!

تشـيبوتيكـين: **(من خلال الدموع، بغضب)** هدايا غالية.. عيب عليكن! **(للجندى)** احمل السماور إلى هناك **(مقلدا)** هدايا غالية..

(الجندى يحمل السماور إلى الصالة)

أنــفــيــســا: **(مارة عبر غرفة الجلوس)** يا بناتى، عقيد لا أعرفه، نزع المعطف وقادم إلى هنا يا بناتى. أرينوشكا، كونى رقيقة، مؤدبة.. **(ذاهبة)** آن أوان الإفطار من زمان.. يا إلهى.

تــوزنــبــاخ: لا بد أنه فيرشينين.

(يدخل فيرشينين)

المقدم فيرشينين!

فــيرشــيــنــين: **(لماشا وإيرينا)** أتشرف بتقديم نفسى: فيرشينين. سعيد جدا، جدا بزيارتكم أخيرا. كيف أصبحتما! أوه!

إيـــريـــنـــا: تفضل بالجلوس. سعداء جدا.

فــيرشــيــنــين: **(بمرح)** كم أنا سعيد، كم أنا سعيد! ولكن أنتن ثلاث

شقيقات. نعم، أذكر، ثلاث فتيات. لا أذكر الوجوه، ولكن أذكر جيدا، ورأيت بعينى، أنه كان لدى أبيكن، العقيد بروزوروف، ثلاث بنات صغيرات. ما أسرع مرور الزمن! أوه، ما أسرع مرور الزمن!

توزنباخ: ألكسندر أجناتيفيتش قادم من موسكو.

إيرينا: من موسكو؟ أنت من موسكو؟

فيرشينين: نعم، من هناك. المرحوم والدك كان قائد بطارية هناك، وكنت أنا ضابطا فى نفس اللواء. **(لماشا)** وجهك أنت أذكره قليلا، أظن.

ماشا: أما أنا فلا أذكرك!

إيرينا: أوليا، أوليا! **(تصيح نحو الصالة)** أوليا،

(أولجا تدخل من الصالة إلى غرفة الجلوس)

المقدم فيرشينين، ظهر أنه من موسكو.

فيرشينين: إذن فأنت أولجا سرجييفنا، الكبرى.. وأنت ماريا.. وأنت إيرينا.. الصغرى..

أولجا: وأنت من موسكو؟

فيرشينين: نعم. درست فى موسكو، وبدأت الخدمة فى موسكو، وخدمت هناك طويلا، وأخيرا عينت قائد بطارية هنا فجئت إلى هنا كما ترين. أنا فى الواقع لا أذكركن، أذكر فقط أنكن ثلاث شقيقات. والدكن بقى فى ذاكرتى، لو أغمض عينى أراه أمامى، كأنه حى. كنت أزوركم فى موسكو..

أولجـــــــا: كنت أظن أنى أذكر الجميع، وفجأة..

فـيرشـيـنـين: اسمى ألكسندر أجناتيفتيش..

إيـــريـــنـــا: ألكسندر أجناتيفيتش، أنت من موسكو.. يا للمفاجأة!

أولجـــــــا: نحن سننتقل إلى هناك.

إيـــريـــنـــا: نعتقد أننا فى الخريف سنكون هناك. إنها مدينتنا الحبيبة.. مسقط رأسنا.. ولدنا فى شارع ستاريا بسمانايا..

(تضحكان من الفرحة)

مـــاشـــا: فجأة رأينا بلدينا. (**بحيوية**) الآن تذكرت! أتذكرين يا أوليا، كانوا يقولون عندنا: «الرائد العاشق». كنت حينذاك ملازما، وكنت مغرما بفتاة ما، ولسبب ما كانوا يغيظونك «رائدا»..

فـيرشـيـنـين: (**يضحك**) نعم.. نعم.. الرائد العاشق.. هو كذلك..

مـــاشـــا: كنت آنذاك تحمل شاربا فقط.. أوه، كم هرمت! (**من خلال الدموع**) كم هرمت!

فـيرشـيـنـين: نعم، عندما كانوا يسموننى الرائد العاشق كنت شابا بعد، عاشقا. والآن لم أعد كذلك.

أولجـــــــا: ولكن ليس لديك شعرة شائبة واحدة بعد. لقد هرمت، ولكنك لست عجوزا.

فـيرشـيـنـين: ولكنى فى الثالثة والأربعين. من زمان تركتم موسكو؟

إيـــريـــنـــا: منذ إحدى عشرة سنة. ماشا، ما أغربك، لِمَ تبكين.. (**من خلال الدموع**) أنا أيضا سأبكى..

ماشا: أنا لا بأس. وفى أى شارع كنت تسكن ؟

فيرشينين: فى ستاريا بسمانايا.

أولجا: ونحن فى نفس الشارع..

فيرشينين: فى وقت ما كنت أسكن فى شارع نيميتسكايا. ومن شارع نيميتسكايا كنت أسير إلى ثكنات كراسنبى. كان فى الطريق جسر كئيب، وتحت الجسر تصخب المياه. كان السائر وحده يصبح حزينا.

(صمت)

أما هنا فالنهر واسع، يا له من نهر غزير! نهر رائع!

أولجا: نعم، ولكن الجو بارد. هنا برد وبعوض..

فيرشينين: ماذا تقولين! المناخ هنا مناخ سلافى، صحى، جيد. الغابة والنهر.. وهنا أيضا أشجار بتولا. البتولا الرقيقة، المتواضعة، أحبها أكثر من أى أشجار أخرى. الحياة هنا جيدة. ولكن الشىء الغريب أن محطة السكة الحديدة على بعد عشرين كيلومترا.. ولا أحد يعرف لماذا هكذا.

سوليونى: أنا أعرف لماذا هكذا.

(الجميع يتطلعون إليه)

لأنه لو كانت المحطة قريبة، لما كانت بعيدة، وإذا كانت بعيدة، فهى إذن ليست قريبة.

(صمت محرج)

توزنباخ: فاسيلى فاسيليتش يحب المزاح.

أولجـــــــا: الآن تذكرتك أنا أيضا. أذكرك.

فـيرشـيـنـين: كنت أعرف والدتكن.

تشـيبوتيكـين: كانت طيبة، عليها الرحمة.

إيـــريـــنـــا: ماما مدفونة فى موسكو.

أولجـــــــا: فى مقبرة دير نوفو ديفيتشى..

مــــاشـــــا: تصور، بدأت أنسى ملامحها. ونحن أيضا لن يذكرنا أحد. سينسوننا.

فـيرشـيـنـين: نعم. سينسون. هذا قدرنا، ما باليد حيلة ما يبدو لنا جديا، ذا وزن، مهما جدا، سوف ينسى مع الزمن أو سيبدو غير هام.

(صمت)

والطريف أننا لا نستطيع الآن أبدا أن نعرف ما الذى سوف يعد، فى الحقيقة، ساميا، هاما، وما الذى سيعد تافها ومضحكا. ألم يعتبر اكتشاف كوبرنيك، أو كولومبس مثلا، لا ضرورة له ومضحكا فى أول الأمر، بينما بضع كلمات فارغة كتبها شخص غريب الأطوار، بدت وكأنها الحقيقة؟ وقد يحدث بمرور الوقت أن تبدو حياتنا الراهنة التى ألفناها تماما، غريبة، مزعجة، غبية، غير طاهرة كما يجب، بل وربما خاطئة..

تـــوزنـــبـــاخ: من يدرى؟ وربما وصفوا حياتنا بأنها سامية وتذكروها باحترام. لم يعد هناك الآن تعذيب، ولا إعدامات، ولا غزوات، ومع ذلك فما أكثر الآلام!

سوليوني: (**بصوت رفيع**) كت.. كت.. كت.. البارون يفضل أن تدعه يتفلسف على أن تطعمه خبزا.

توزنباخ: فاسيلى فاسيليتش، أرجوك أن تدعنى وشأنى.. (**ينتقل إلى مكان آخر ويجلس**) هذا ممل فى النهاية.

سوليوني: (**بصوت رفيع**) كت.. كت.. كت..

توزنباخ: (**لفيرشينين**) الآلام التى تلاحظ الآن ـ وما أكثرها! ـ تشير مع ذلك إلى نوع من النهضة الأخلاقية التى حققها المجتمع..

فيرشينين: نعم، نعم، طبعا.

تشيبوتيكين: لقد قلت من توك يا بارون سيصفون حياتنا بأنها سامية. ولكن الناس مع ذلك واطئون.. (**ينهض**) انظروا كم أنا واطئ. لتعزيتى ينبغى أن يقال إن حياتى سامية، هذا مفهوم.

(**عزف على الكمان خلف المسرح**)

ماشا: أندريه يعزف، شقيقنا.

إيرينا: إنه عالم، سيصبح أستاذا فى الغالب. كان بابا عسكريا، بينما اختار ابنه السلك العلمى.

ماشا: حسب رغبة بابا

أولجا: اليوم غظناه. يبدو أنه عاشق قليلا.

إيرينا: لإحدى الآنسات هنا. ستأتى اليوم، على الأرجح.

ماشا: أوه، كيف تختار ثيابها! ليست المسألة فى قبح الثياب أو

عدم الموضة، بل شىء يثير الرثاء. تنورة غريبة، زاهية، تميل إلى الصفرة، بهداب سوقى مبتذل، وبلوزة حمراء. وخداها مغسولان جدا، جدا! أندريه ليس عاشقا، أنا لا أظن، فلديه مع ذلك ذوق، بل إنه هكذا، يغيظنا، يتشاقى. سمعت بالأمس أنها ستتزوج بروتوبوبوف رئيس مجلس إقليمنا. عظيم إذن.. **(نحو الباب الجانبى)** أندريه، تعال هنا! يا عزيزى. دقيقة واحدة!

(يدخل أندريه)

أولجا: هذا أخى، أندريه سرجييتش.

فيرشينين: فيرشينين.

أندريه: بروزوروف. **(يمسح العرق من وجهه)** عينت هنا قائد بطارية؟

أولجا: لك أن تتصور، ألكسندر أجناتيفيتش من موسكو.

أندريه: حقا؟ إذن أهنئك، شقيقاتى لن يدعنك فى حالك.

فيرشينين: لقد أضجرت شقيقاتك بالفعل.

إيرينا: انظروا أى إطار صورة أهدانيه أندريه اليوم. **(تريهم الإطار)** صنعه بنفسه.

فيرشينين: **(ينظر إلى الإطار ولا يدرى ماذا يقول)** نعم.. جيد..

إيرينا: وهذا الإطار، فوق البيانو، هو أيضا صنعه.

(أندريه يشيح بيده ويبتعد)

أولجا: أخونا عالم، ويعزف على الكمان، ويصنع من الخشب

شتى الأشياء، باختصار: سبع صنع. أندريه لا تذهب!
من عادته دائما أن يذهب. تعال هنا!

(ماشا وإيرينا تضعان ذراعيه فى أذرعهما وتسحبانه إلى الوراء ضاحكتين)

ماشا: اذهب، اذهب!

أندريه: اتركانى، لو سمحتما.

ماشا: كم أنت مضحك! كانوا يدعون ألكسندر أجناتيفيتش فى وقت ما الرائد العاشق، ولكنه لم يغضب أبدا.

فيرشينين: أبدا!

ماشا: وأنا أريد أن أدعوك: العازف العاشق!

إيرينا: أو الأستاذ العاشق!..

أولجا: إنه عاشق! أندريوشا عاشق!

إيرينا: **(تصفق)** برافوا، برافو! أعد! أندريوشكا عاشق!

تشيبوتيكين: **(يقترب من خلف أندريه ويمسك خصره بكلتا يديه)** للحب وحده قد أنجبتنا أمنا الطبيعة! **(يقهقه. لا يفارق الصحيفة)**.

أندريه: طيب، كفاية.. **(يمسح وجهه)** لم أنم طول الليل، والآن أشعر أنى منرفز، كما يقال. قرأت حتى الرابعة ثم رقدت لكن فشلت فى النوم. فكرت فى هذا وذاك، وإذا بالفجر المبكر، ثم هجمت الشمس على غرفتى. أريد خلال الصيف، وأنا هنا، أن أترجم أحد الكتب من الإنجليزية.

فيرشينين: وهل تقرأ بالإنجليزية؟

أندريه: نعم. والدنا، عليه الرحمة، اضطهدنا بالتربية. إنه لشيء مضحك وأحمق، ولكن ينبغي أن أعترف به.. فبعد وفاته أخذت ازداد وزنا حتى سمنت فى عام واحد، كأنما تخلص جسمى من الاضطهاد. بفضل والدنا أعرف أنا وشقيقاتى اللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية، أما إيرينا فتعرف فوق ذلك الإيطالية. ولكن كم كلفنا ذلك!

ماشا: أن تعرف ثلاث لغات.. ترف لا لزوم له فى هذه المدينة. ليس حتى ترفا، بل زيادة لا لزوم لها، كالإصبع السادس. إننا نعرف أشياء زائدة كثيرة.

فيرشينين: ما هذا الكلام! (**يضحك**) تعرفن أشياء زائدة كثيرة! برأيى أنه لا توجد مدينة مملة وكئيبة لا يكون مطلوبا فيها الشخص الذكى المثقف. لنفرض أنه لا يوجد بين سكان هذه المدينة مائة الألف، المتخلفين والأفظاظ بالطبع، سوى ثلاثة أشخاص مثلكن. من المفهوم طبعا أنكن لن تستطعن التغلب على الكتلة المختلفة المحيطة بكن. فخلال حياتكن سيكون عليكن شيئا فشيئا أن تتراجعن وتذبن فى الكتلة ذات مائة الألف، وستطغى عليكن الحياة، ومع ذلك فلن تختفين، ولن تذهبن بلا أثر. بعدكن سيظهر مثلكن ربما ستة، وبعدهم

اثنا عشر، وهكذا دواليك، إلى أن يصبح أمثالكن، أخيرا، هم الأغلبية. بعد مائتين، أو ثلاثمائة سنة ستصبح الحياة على الأرض رائعة، مدهشة بشكل لا يُتصوَّر. الإنسان بحاجة إلى مثل هذه الحياة، فإذا لم تكن الآن متوفرة، فعلية أن يتنبأ بها، أن ينتظرها، يحلم بها، ويستعد لها، ومن أجل هذا عليه أن يرى ويعرف أكثر مما رآه وعرفه جده وأبوه. (**يضحك**) وأنتن تشتكين من أنكن تعرفن أشياء زائدة كثيرة.

مـــاشـــا: (**تنزع قبعتها**) سأبقى للإفطار.

إيـــريـــنـــا: (**متنهدة**) فى الحقيقة كان ينبغى تسجيل هذا..

(أندريه غير موجود، خرج خفية)

تـــوزنـــبـــاخ: تقول إن الحياة على الأرض بعد سنين طويلة ستكون رائعة، مدهشة. هذا صحيح. ولكن لكى تشارك فيها الآن، ولو من بعيد، ينبغى أن تستعد لها، ينبغى أن تعمل..

فـيرشـيـنـين: (**ناهضا**) نعم. أوه، ما أكثر الأزهار عندكم! (**يطوف بنظره**) والشقة بديعة. أغبطكم! أما أنا فقضيت حياتى فى شقق بكرسيين وكنبة واحدة وبمدافئ تنفث الدخان دائما. فى حياتى كانت تنقصنى بالذات زهور كهذه.. (**يفرك يديه**) إيه! طيب، لا يهم!

تـــوزنـــبـــاخ: نعم، ينبغى أن تعمل. ربما تقول لنفسك: هذا الألمانى

يتحمس. ولكنى روسى، بشرفى، بل ولا أتكلم الألمانية. أبى أرثوذوكسى..

(صمت)

فيرشينين: **(يذرع المسرح)** إننى كثيرا ما أفكر: ماذا لو نستطيع أن نبدأ الحياة من جديد، وبوعى؟ لو أن الحياة الأولى، التى عشناها، كانت، كما يقال، مسودة، والحياة الثانية على بياض! أظن أن كلا منا سيحاول قبل كل شيء ألا يكرر نفسه، على الأقل سيحاول أن يخلق لنفسه ظروفا أخرى للحياة، سيحاول أن يصنع لنفسه شقة كهذه بأزهار، وبكمية كبيرة من الضوء.. أنا عندى زوجة، وبنتان صغيرتان، كما أن زوجتى سيدة مريضة وخلافه وخلافه، ولو أنى بدأت الحياة من جديد لما تزوجت.. كلا، كلا!

(يدخل كوليجين فى زى المدرسين الرسمى)

كوليجين: أختى العزيزة اسمحى لى أن أهنئك بعيد شفيعتك، وأتمنى لك بإخلاص، من صميم القلب، الصحة وكل ما يمكن أن يتمناه المرء لفتاة فى عمرك. ولتسمحى لى أن أهديك هذا الكتاب. **(يقدم لها كتابا)** تاريخ مدرستنا خلال خمسين عاما، كتبته بنفسى. كتاب فارغ، كتب من الملل. ومع ذلك اقرئيه. مرحبا يا سادة! **(لفيرشينين)** كوليجين، مدرس بالمدرسة المحلية. مستشار أهلى[1].

---

(١) رتبة مدنية من الدرجة السابعة فى روسيا القيصرية كانت تعادل رتبة المقدم العسكرية. المعرب.

(**لإيرينا**) ستجدين فى هذا الكتاب قائمة أسماء كل خريجى مدرستنا خلال الخمسين عاما الماضية. Feci quod potui, faciant meliora potentes [1] (**يقبل ماشا**).

إيــــريـــنـــا: ولكنك أهديتنى كتابا مثله فى عيد الفصح.

كــولــيــجــين: (**يضحك**) لا يمكن! فى هذه الحالة أعيديه إلىَّ، أو الأفضل أن تعطيه للعقيد. خذه يا عقيد. قد تقرأه فى يوم ما من الملل.

فــيرشــيــنــين: أشكرك. (**يهم بالذهاب**) أنا سعيد للغاية بالتعرف..

أولجـــــــا: أنت ذاهب؟ كلا، كلا!

إيــــريـــنـــا: ستبقى عندنا للإفطار. من فضلك.

أولجـــــــا: أرجوك!

فــيرشــيــنــين: (**ينحنى**) يبدو أننى جئت فى عيد شفيعتك. أرجو المعذرة، لم أكن أعرف، ولم أهنئك.. (**يخرج مع أولجا إلى الصالة**).

كــولــيــجــين: اليوم يا سادة يوم الأحد، يوم الراحة، فلنسترح إذن، وسوف نمرح، كل حسبما يتفق وسنه ومكانته. ينبغى رفع السجاجيد صيفا وحفظها حتى الشتاء.. بالبودرة الفارسية أو بالنفتالين.. كان الرومان أصحاء لأنهم كانوا يعرفون كيف يكدحون وكيف يستريحون. كان

---

(١) فعلت ما أستطيع، فليفعل أحسن من يقدر. (باللاتينية فى الأصل).

عندهم mens sana in corpore sano [1] كانت حياتهم تسير حسب أشكال معروفة. مديرنا يقول: أهم شىء فى أى حياة هو شكلها.. ما يفقد: شكله ينتهى، وفى حياتنا العادية نفس الأمر. (**يمسك بخصر ماشا ضاحكا**) ماشا تحبنى. زوجتى تحبنى. وستائر النوافذ أيضا إلى حيث السجاجيد.. أنا اليوم مرح، فىَّ مزاج روحى ممتاز. ماشا، فى الساعة الرابعة اليوم سنجتمع عند المدير. ستقام نزهة للمدرسين وعائلاتهم.

ماشا: لن أذهب.

كوليجين: (**محزونا**) ماشا العزيزة، لماذا؟

ماشا: فيما بعد نتكلم.. (**بغضب**) طيب، سأذهب، فقط دعنى، أرجوك.. (**تبتعد**).

كوليجين: ثم نقضى المساء عند المدير. هذا الرجل، رغم حالته المرضية، يسعى قبل كل شىء إلى أن يكون اجتماعيا. شخصية رائعة، مشرقة، إنسان عظيم. بالأمس قال لى بعد جلسة المجلس: «تعبت يا فيدور إيليتش، تعبت!» (**يتطلع إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته**). ساعتكم متقدمة سبع دقائق. نعم، تعبت، قال لى.

(**خلف المسرح عزف على الكمان**)

أولجا: يا سادة لو تكرمتم، تفضلوا إلى الإفطار! الكعكة!

---

(١) العقل السليم فى الجسم السليم (باللاتينية فى الأصل).

كـولـيـجـين: آه، يا أولجا العزيزة، يا عزيزتى! بالأمس اشتغلت من الصباح حتى الحادية عشرة مساء، تعبت، واليوم أشعر بالسعادة. (**يخرج إلى الصالة، إلى المائدة**) يا عزيزتى..

تشـيبوتيكـين: (**يضع الصحيفة فى جيبه ويمشط لحيته**) كعكة؟ عظيم!

مـــاشـــا: (**لتشـيبوتيكـين بصرامة**) أحذرك، إياك أن تشرب اليوم، أتسمع؟ الشرب مضر لك.

تشـيبوتيكـين: لا! انتهى ذلك. منذ سنتين لم أغرق فى الشراب. (**بفروغ صبر**) إيه، سيدتى، أليس سيان!

مـــاشـــا: ومع ذلك إياك أن تشرب. إياك. (**بغضب ولكن بحيث لا يسمعها زوجها**) يا للشيطان، مرة أخرى سنضجر طول المساء عند المدير!

تــوزنــبــاخ: لو كنت مكانك لما ذهبت.. بكل بساطة.

تشـيبوتيكـين: لا تذهبى يا روحى..

مـــاشـــا: لا تذهبى، ما أسهل القول.. هذه الحياة لعينة، لا تطاق.. (**تذهب إلى الصالة**).

تشـيبوتيكـين: (**يتبعها**) لا تقولى!

سـولـيـونـى: (**مارا إلى الصالة**) كت.. كت.. كت..

تــوزنــبــاخ: كفى يا فاسيلى فاسيليتش. كفى!

سـولـيـونـى: كت.. كت.. كت..

كـولـيـجـين: (**بمرح**) فى صحتك يا عقيد! أنا مدرس، ومن أهل البيت، زوج ماشا.. إنها طيبة، طيبة جدا..

فـيرشـيـنـين: سأشرب من هذه الفودكا الداكنة.. (**يشرب**) فى صحتك! (**لأولجا**) كم أشعر بالراحة عندكم!..

(**يبقى فى غرفة الجلوس إيرينا وتوزنباخ فقط**)

إيـريـنـا: ماشا معتلة المزاج اليوم. لقد تزوجت وهى فى الثامنة عشر، عندما كان يبدو لها أذكى رجل. والآن تغير الحال. إنه أطيب رجل ولكنه ليس أذكى رجل.

أولجـا: (**بفروغ صبر**) أندريه، تعال إذن!

أنـدريـه: (**خلف المسرح**) حالا. (**يدخل ويتجه إلى المائدة**).

تـوزنـبـاخ: فيم تفكرين؟

إيـريـنـا: هكذا. أنا لا أحب صاحبك سوليونى وأخشاه. إنه لا يتفوه إلا بالحماقات..

تـوزنـبـاخ: إنه شخص غريب. أنا أرثى له، وأسخط عليه، ولكنى أرثى له أكثر. يخيل إلى أنه خجول.. عندما نكون أنا وهو وحدنا، يصبح إنسانا ذكيا جدا وودودا، أما فى المجتمع فهو إنسان فظ، من هواة المبارزات. لا تذهبى الآن، دعيهم يجلسون إلى المائدة. اسمحى لى أن أبقى بجوارك. فيم تفكرين؟

(**صمت**)

عمرك عشرون سنة، وأنا لم أبلغ بعد الثلاثين. كم سنة

بقيت لنا فى المستقبل، صف طويل، طويل من الأيام المليئة بحبى لك..

إيــــريـــنــــــا: نيكولاى لفوفتش، لا تكلمنى عن الحب.

تــوزنـــبــــاخ: **(لا يصغى إليها)** أنا أشعر بظمأ جارف إلى الحياة، إلى النضال، إلى العمل، وهذا الظمأ قد امتزج فى روحى بحبى لك يا إيرينا، وأنت رائعة، كأنما عن عمد، والحياة تبدو لى جد رائعة. فيم تفكرين؟

إيــــريـــنــــــا: أنت تقول: حياة رائعة. نعم، وما العمل إذا كانت فقط تبدو كذلك! حياتنا نحن الشقيقات الثلاث لم تكن حتى الآن رائعة، لقد طغت علينا كالأعشاب الطفيلية.. دموعى تسيل.. لا داعى لهذا.. **(تمسح وجهها بسرعة، تبتسم)** ينبغى أن نعمل، أن نعمل. إننا نشعر بالكآبة وننظر إلى الحياة بهذا العبوس لأننا لا نعرف العمل. لقد ولدنا من أناس يحتقرون العمل..

(تدخل نتاليا إيفانوفنا. فى فستان وردى وحزام أخضر)

نــــتــــاشـــــا: بدأوا يتناولون الإفطار هناك.. لقد تأخرت.. **(تنظر إلى المرآة بسرعة وتسوى شعرها)** يبدو أن التسريحة ليست سيئة.. **(وقد رأت إيرينا)** إيرينا سرجييفنا العزيزة، تهانىَّ! **(تقبلها بقوة قبلة طويلة)** عندكم ضيوف كثيرون، إننى خجلة فى الحقيقة.. مرحبا يا بارون!

أولجـــــــــا: **(تدخل غرفة الجلوس)** وها هى نتاليا إيفانوفنا. مرحبا يا عزيزتى.

(تتبادلان القبلات)

نـــتــــاشــــا: أهنئكم. عندكم ضيوف كثيرون، إننى خجلة جدا..

أولجـــــــــا: دعيك من هذا، لا أحد غريب. **(بصوت خافت، بفزع)** تضعين حزاما أخضر! يا عزيزتى، هذا ليس طيبا!

نـــتــــاشــــا: هل فى ذلك علامة شؤم؟

أولجـــــــــا: كلا، ببساطة لا يليق.. ثم إنه غريب..

نـــتــــاشــــا: **(بصوت باك)** حقا؟ ولكنه ليس أخضر، بل أقرب إلى الداكن. **(تمضى إلى الصالة فى أثر أولجا)**.

(فى الصالة يشرعون فى الإفطار. لا أحد فى غرفة الجلوس)

كـــولـــيــجــين: أتمنى لك يا إيرينا عريسا جيدا. آن لك أن تتزوجى.

تشـيبوتيكــين: نتاليا إيفانوفنا، ولك أتمنى عريسا.

كـــولـــيــجــين: نتاليا إيفانوفنا لديها بالفعل عريس.

مــــاشـــــا: **(تدق الشوكة على الطبق)** سأشرب كأسى نبيذ! آه، ما أروع الحياة، ليكن ما يكون!

كـــولـــيــجــين: درجة سلوكك اليوم تحت المتوسط.

فــيرشــيــنــين: الشراب المنقوع لذيذ. ما الذى نقعتموه؟

ســولــيــونــى: صراصير.

إيـــريـــنـــا: **(بصوت باك)** اخص! اخص! يا للقرف!..

أولجـــــــــا: فى العشاء سنقدم ديكا روميا محمرا وكعكة حلوة

بالتفاح. الحمد لله أنا اليوم فى البيت طول النهار، ومساء فى البيت.. يا سادة، تعالوا فى المساء.

فيرشينين: اسمحى لى بالمجىء مساء!

إيرينا: تفضل.

نتاشا: لا تكليف عندهم.

تشيبوتيكين: للحب وحده قد أنجبتنا أمنا الطبيعة. (**يضحك**).

أندريه: (**بغضب**) كفى يا سادة! ألم تملوا هذا؟

(يدخل فيدوتيك ورودى بسلة أزهار كبيرة)

فيدوتيك: لقد بدأوا يفطرون.

رودى: (**بصوت عال وبلثغة**) يفطرون؟ نعم، بدأوا..

فيدوتيك: انتظر دقيقة! (**يصور صورة**) واحد! انتظر قليلا.. (**يصور صورة أخرى**) اثنان! الآن جاهز!

(يحملان السلة ويدخلان الصالة فيستقبلونها بصخب)

رودى: (**بصوت. عال**) تهانىَّ، وتمنياتى بكل الخير! الطقس اليوم رائع، العظمة كلها! طول الصباح تنزهت مع التلاميذ. أنا أدرس الجمباز فى المدرسة..

فيدوتيك: يمكنك أن تتحركى يا إيرينا سرجيفنا، يمكنك! (**يصور صورة**) أنت اليوم وسيمة. (**يخرج من جيبه خذروفا**) ها هو، بالمناسبة، خذروف.. صوته مدهش..

إيرينا: ما أروعه!

ماشا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، في جذعها قد ثبتت سلسلة من ذهب.. قد ثبتت سلسلة من ذهب.. (**بصوت باك**) لماذا أقول ذلك؟ منذ الصباح علقت بذاكرتي هذه الجملة..

كوليجين: ثلاثة عشر حول المائدة!

رودى: (**بصوت عال**) أحقا يا سادة تهتمون بالخزعبلات؟

(**ضحك**)

كوليجين: إذا كان عدد الجالسين إلى المائدة ثلاثة عشر فمعناه وجود عاشقين هنا. أصحيح أنك يا إيفان رومانوفيتش، لا قدر الله..

(**ضحك**)

تشيبوتيكين: أنا خاطئ عجوز، ولكنى لا أستطيع أن أفهم أبدا لماذا خجلت نتاليا إيفانوفنا.

(**ضحك عال. نتاشا تركض من الصالة إلى غرفة الجلوس أندريه يتبعها**)

أندريه: كفى، لا تلقى بالا!.. انتظرى.. مهلا، أرجوك..

نتاشا: أنا خجلة.. أنا لا أعرف ماذا يحدث لى، وهم يسخرون منى.. مغادرتى للمائدة الآن عيب، ولكنى لا أستطع.. لا أستطيع.. (**تغطى وجهها بيديها**).

أندريه: يا عزيزتى أرجوك، أتوسل إليك، لا تقلقى. أؤكد لك أنهم يمزحون، بنية صافية. يا عزيزتى، يا غاليتى، كلهم

أناس طيبون ودودون، يحبوننى ويحبونك. تعالى هنا إلى النافذة، من هنا لن يرونا.. (**يتلفت**)

نــتـــاشـــا: لم أتعود على جو المجتمعات!..

أنـــدريــــه: أوه، يا للشباب، يا للشباب البديع الرائع. يا غاليتى، يا عزيزتى لا تقلقى هكذا!.. صدقينى.. كم أشعر بالراحة، القلب عامر بالحب، والإعجاب.. أوه، لا أحد يرانا! لا أحد! لماذا، لماذا أحببتك، متى أحببتك، أوه لا أفهم شيئا. يا غاليتى، يا عزيزتى، أيتها الطاهرة، كونى زوجتى! إننى أحبك، أحبك.. كما لم أحب أبدا..

(**قبلة**)

(**يدخل ضابطان، وإذ يريان الزوج الذى يتبادل القبل يتوقفان فى ذهول**)

(**ســتار**)

الفصل الثانى
ديكور الفصل الأول

(الوقت: الثامنة مساء. فى الخارج، وراء المسرح، يسمع عزف خافت على الأكورديون. لا أضواء. تدخل نتاليا إيفانوفنا فى روب منزلى، تحمل شمعة. تمشى ثم تتوقف عند الباب المؤدى إلى غرفة أندريه)

نـــتــــاشـــا: ماذا تفعل يا أندريوشا؟ تقرأ؟ لا شىء، أنا هكذا.. **(تمضى وتفتح بابا آخر، تطل فيه ثم تغلقه)** هل الضوء مشتعل؟..

أنـــــدريـــــه: **(يدخل وفى يده كتاب)** ماذا حدث يا نتاشا؟

نـــتــــاشـــا: أنظر هل الضوء مشتعل.. الآن عيد المرافع، والخدم ليسوا فى وعيهم، لا بد من الحيطة، وإلا وقع شىء. بالأمس مررت فى نصف الليل بغرفة الطعام فوجدت شمعة مشتعلة. من أشعلها، لم أستطع أن أتوصل إلى شىء. **(تضع الشمعة)** كم الساعة الآن؟

أنـــــدريـــــه: **(يتطلع إلى الساعة)** الثامنة والربع.

نـــتــــاشـــا: أولجا وإيرينا لم تعودا بعد. تكدحان المسكينتان. أولجا فى

المجلس التربوى وإيرينا فى التليغراف.. (تتنهد). اليوم صباحا قلت لأختك: «حافظى على نفسك يا إيرينا يا عزيزتى» فلم تستمع إلىَّ. تقول الثامنة والربع؟ أنا خائفة، ابننا بوبيك مريض. لماذا جسمه بارد هكذا؟ بالأمس كان محموما واليوم بارد كله.. كم أنا خائفة!

أندريه: لا بأس يا نتاشا الصبى بخير.

نتاشا: ومع ذلك فليبق على نظام الغذاء الخاص. أنا خائفة. قالوا إن المتنكرين سيأتون إلينا فى العاشرة مساء اليوم، الأفضل يا أندريوشا، ألا يأتوا.

أندريه: فى الحقيقة لا أعرف. ولكن سبق أن دعوهم.

نتاشا: استيقظ الصبى اليوم صباحا، ونظر إلىَّ، ثم ابتسم فجأة، إذن فقد عرفنى. قلت له: بوبيك، يا جيدا. إذن يا أندريوشا سأخبرهم بألا يستقبلوا المتنكرين.

أندريه: (بتردد) هذا يتوقف على شقيقاتى. هن صاحبات البيت.

نتاشا: وهنّ أيضا سأخبرهن. إنهن طيبات.. (تذهب) أمرتهم أن يقدموا الزبادى فى العشاء. الدكتور يقول إن عليك أن تأكل الزبادى فقط، وإلا فلن ينقص وزنك. (تتوقف) بوبيك بارد. أنا خائفة، أظن برد عليه فى غرفته. ينبغى نقله إلى غرفة أخرى حتى حلول الدفء. غرفة إيرينا مثلا، مناسبة تماما للطفل. جافة، والشمس فيها طول

النهار. ينبغى التحدث معها، يمكنها مؤقتا أن تسكن مع أولجا فى غرفة واحدة.. فهى على العموم لا تبقى فى البيت نهارا، تأتى للمبيت فقط..

(صمت)

أندريوشا، لماذا أنت. ساكت؟

أنـــدريـــه: هكذا، أفكر.. ثم إنه لا شىء يقال..

نـــتـــاشـــا: نعم.. أردت أن أقول لك شيئا.. آه، نعم. جاء فيرابونت من مجلس الإقليم، يريدك.

أنـــدريـــه: **(يتثاءب)** ناديه.

(نتاشا تخرج. أندريه ينحنى على الشمعة التى نسيتها ويقرأ كتابه. يدخل فيرابونت. فى معطف بال مهترئ، بياقة مرفوعة، أذناه معصوبتان)

مرحبا يا عزيزى. ما وراءك؟

فـيرابـونـت: الرئيس أرسل كتابا وورقة لا أدرى ما هى.. تفضل.. **(يقدم له كتابا ومظروفا)**.

أنـــدريـــه: شكرا. حسنا. ولماذا جئت متأخرا هكذا؟ فالساعة تقارب التاسعة.

فـيرابـونـت: هه؟

أنـــدريـــه: **(بصوت أعلى)** أقول جئت متأخرا، الساعة تقارب التاسعة.

فـيرابـونـت: تمام يا سيدى. أنا جئت والدنيا ما زالت مضيئة، ولكن

لم يسمحوا لى بالدخول. قالوا السيد مشغول. طيب، مشغول مشغول، لست مستعجلا (**يظن أن أندريه يسأله عن شىء ما**) هه؟

أندريه: لا شىء (**يتفحص الكتاب**) غدا الجمعة، ليس يوم حضور عندنا، ولكنى سآتى رغم ذلك.. سأهتم بالموضوع. البيت ممل.

(**صمت**)

أيها الجد العزيز، ما أغرب تحولات الحياة، وكم تخدعنا! اليوم، بسبب الملل، بسبب الفراغ، تناولت هذا الكتاب.. المحاضرات الجامعية القديمة، فغلبنى الضحك.. يا إلهى، أنا سكرتير مجلس إقليمى، ذلك المجلس الذى يرأسه بروتوبوبوف. أنا سكرتير، وغاية ما أستطيع أن أؤمل فيه: أن أصبح عضوا فى مجلس الإقليم! أنا.. أصبح عضوا بمجلس الإقليم المحلى، أنا.. الذى أحلم كل ليلة بأنى أستاذ بجامعة موسكو، وعالم مشهور، تفخر به أمنا روسيا!

فيرابونت: لا علم لى.. سمعى ثقيل..

أندريه: لو كنت تسمع جيدا ربما ما تحدثت إليك. أنا بحاجة إلى الحديث مع أحد ما، ولكن زوجتى لا تفهمنى، أما شقيقاتى فأخشاهن لسبب ما، أخشى أن يضحكن منى أو يخجلننى.. أنا لا أسكر، ولا أحب الحانات، ولكن كم

يطيب لى لو كنت الآن جالسا فى حانة تيستوف بموسكو، أو حانة «موسكو الكبيرة» يا عزيزى.

فيرابونت: حكى أحد المقاولين فى المجلس من مدة، قال فى موسكو أكل بعض التجار شطائر. ومنهم واحد أكل أربعين شطيرة، فمات. إما أربعين وإما خمسين.. لا أذكر.

أندريه: تجلس فى موسكو، فى قاعة مطعم ضخمة، لا تعرف أحدا ولا أحد يعرفك، وفى الوقت نفسه لا تشعر بنفسك غريبا. أما هنا فتعرف الجميع والجميع يعرفونك، ولكنك غريب، غريب.. غريب ووحيد.

فيرابونت: هه؟

(صمت)

والمقاول إياه قال أيضا، وربما يكذب، إنهم مدوا حبلا عبر موسكو كلها.

أندريه: وما الداعى؟

فيرابونت: لا أعرف. المقاول قال.

أندريه: هراء. **(يقرأ الكتاب)** هل كنت فى موسكو؟

فيرابونت: **(بعد فترة صمت)** لم أكن. ربنا لم يكتب لى.

(صمت)

هل أذهب؟

أندريه: يمكنك أن تذهب. مع السلامة.

(فيرابونت يخرج)

مع السلامة. **(يقرأ)** تعال غدا صباحا وخذ الأوراق.. انصرف..

(صمت)

لقد ذهب.

(جــرس)

نعم، يا لها من أمور.. **(يتمطى وينصرف إلى غرفته على مهل)**.

(خلف المسرح تغنى مربية مهدهدة طفلا. تدخل ماشا وفيرشينين. أثناء حديثهما تشعل الخادم المصباح والشموع)

مـــــاشـــــا: لا أعرف.

(صمت)

لا أعرف. طبعا العادة تعنى الكثير. بعد وفاة والدنا مثلا، لم نستطع طويلا أن نتعود على أنه لم يعد لدينا جنود مراسلة. وبخلاف العادة أظن أن ما يحركنى كذلك هو الإنصاف. ربما ليس الأمر كذلك فى أماكن أخرى، ولكن فى مدينتنا العسكريون هم أكثر الناس استقامة ونبلا وتهذيبا.

فـيرشـيـنـين: إنى عطشان، لو أشرب شايا.

مـــــاشـــــا: **(تتطلع إلى الساعة)** قريبا سيقدمونه. لقد زوجونى وأنا فى الثامنة عشرة، وكنت أخشى زوجى لأنه كان مدرسا، وأنا لم أكد أتخرج من المدرسة آنذاك. بدا لى حينها

مثقفا جدا، ذكيا وهاما. لكن الموضوع الآن مختلف، للأسف.

فيرشينين: هكذا.. نعم.

ماشا: دعك من زوجى، فقد تعودت عليه، ولكن هناك بين المدنيين عموما الكثير من الأشخاص الأفظاظ، القليلى الذوق، غير المهذبين. إن الفظاظة تثيرنى، تهيننى، وأتعذب عندما أرى الشخص غير حساس بما يكفى، غير رقيق، غير مجامل. عندما يحدث أن أكون بين المدرسين، زملاء زوجى، فإننى أتعذب فعلا.

فيرشينين: نعم.. ولكن يبدو لى أن كلا من المدنى والعسكرى، لا فرق، كلاهما غير شيق، على الأقل فى هذه المدينة لا فرق! فلو استمعت إلى المثقف المحلى، المدنى أم العسكرى، فستجدين أن زوجته قد أعيته، والبيت أعياه، والضيعة أعيته، والخيول أعيته.. الشخص الروسى يتميز إلى درجة كبيرة بنمط التفكير السامى، ولكن خبرينى، لماذا لا يبلغ فى الحياة شأوا بعيدا؟ لماذا؟

ماشا: لماذا؟

فيرشينين: لماذا أعياه الأطفال، أعيته زوجته؟ ولماذا أعيا هو الزوجة والأطفال؟

ماشا: أنت اليوم معتل المزاج قليلا.

فيرشينين: ربما. أنا اليوم لم أتغد، لم أذق شيئا منذ الصباح. ابنتى

مريضة قليلا، وعندما تمرض ابنتاى يتولانى القلق، ويعذبنى ضميرى لأن لديهما أما كهذه. آه لو رأيتها اليوم! يا للتفاهة! بدأنا نتشاجر من السابعة صباحا، وفى التاسعة صفقت الباب وخرجت.

(صمت)

أنا لا أتحدث عن ذلك أبدا، والغريب، أننى لا أشكو إلا لك وحدك. **(يقبل يدها)** لا تغضبى منى. ليس عندى أحد غيرك، أبدا، أبدا..

(صمت)

ماشا: كم تصخب المدفأة. قبيل وفاة بابا بقليل أزت المدخنة. هكذا بالضبط.

فيرشينين: أنت متطيرة؟

ماشا: نعم

فيرشينين: هذا غريب. **(يقبل يدها)** أنت امرأة عظيمة، رائعة. عظيمة، رائعة! المكان مظلم، ولكنى أرى بريق عينيك.

ماشا: **(تجلس على كرسى آخر)** هنا أكثر إضاءة..

فيرشينين: أنا أحبك، أحبك، أحبك.. أحب عينيك، أحب حركاتك، التى أراها فى الحلم.. امرأة عظيمة، رائعة!

ماشا: **(تضحك بصوت خافت)** عندما تتحدث معى هكذا لا أدرى لماذا أضحك، رغم أنى أشعر بالرهبة. لا تكرر

هذا أرجوك.. (**بصوت خافت**) وعموما تحدث، لا فرق عندى.. (**تغطى وجهها بيديها**) لا فرق عندى. أحدهم قادم. تحدث عن شىء آخر..

(**إيرينا وتوزنباخ يدخلان عبر الصالة**)

توزنباخ: اسم عائلتى ثلاثى. البارون توزنباخ.. كرونى.. آلتشاور، ولكنى روسى، أرثوذكسى، مثلك. لم يبق لدى من الألمان إلا القليل، فقط الصبر، والعناد اللذان أضجرك بهما. إننى أوصلك كل مساء.

إيرينا: كم أنا متعبة!

توزنباخ: وكل مساء سوف آتى إلى مكتب التليغراف وأوصلك إلى البيت، سأظل آتى عشر سنوات، عشرين سنة، إلى أن تطردينى.. (**يرى ماشا وفيرشنين، يقول بفرح**) أنتما؟ مرحبا.

إيرينا: ها أنذا أخيرا فى البيت (**لماشا**) جاءتنى منذ قليل سيدة لترسل برقية إلى أخيها فى ساراتوف، بأن ابنها مات اليوم، ولم تستطع أبدا أن تتذكر العنوان. فأرسلتها بدون عنوان، فقط إلى ساراتوف. كانت تبكى. عاملتها بخشونة دون سبب. قلت لها «ليس لدى وقت». ما أغبى ذلك. اليوم سيأتى إلينا المتنكرون؟

ماشا: نعم.

إيرينا: (**تجلس فى مقعد فوتيل**) أريد أن أرتاح. تعبت.

تـــوزنـــبـــاخ: **(بابتسامة)** عندما تعودين من العمل تبدين صغيرة وتعيسة..

(صمت)

إيـــريـــنـــا: تعبت، كلا، أنا لا أحب التليغراف، لا أحبه

مـــاشـــا: أنت نحفت.. **(تصفر)** وصغرت، وأصبح وجهك يشبه وجه صبى.

تـــوزنـــبـــاخ: هذا بفعل التسريحة.

إيـــريـــنـــا: ينبغى أن أجد وظيفة أخرى، هذه ليست لى. ما كنت أتوق إليه، ما كنت أحلم به، هو بالذات ما ليس فيها. عمل بلا شاعرية، بلا أفكار..

(دق على الأرض من الطابق الأسفل)

الدكتور يدق. **(لتوزنباخ)** دق له يا عزيزى. أنا لا أستطيع متعبة..

(توزنباخ يدق على الأرض)

سيأتى الآن. ينبغى اتخاذ إجراء ما. بالأمس كان الدكتور وشقيقنا أندريه فى النادى، وخسرا مرة أخرى. يقال إن أندريه خسر مائتى رويل.

مـــاشـــا: **(بلا مبالاة)** وما العمل الآن!

إيـــريـــنـــا: منذ أسبوعين خسر، وفى ديسمبر خسر. لو أنه يخسر كل شىء بسرعة، إذن فربما رحلنا عن هذه المدينة، يا إلهى، يا ربى، أحلم بموسكو كل ليلة، أصبحت كالممسوسة.

(**تضحك**) سننتقل إلى هناك فى يونيو، وبقى حتى يونيو..
فبراير، مارس، أبريل، مايو.. نصف سنة تقريبا!

مـــــاشـــــا: المهم ألا تعلم نتاشا بطريقة ما بالخسارة.

إيـــريـــنـــا: أعتقد أن هذا سيان لديها.

(تشيبوتيكين، الذى نهض لتوه من السرير ـ كان يرتاح بعد الغداء ـ يدخل الصالة ويمشط لحيته، ثم يجلس إلى الطاولة ويخرج صحيفة من جيبه)

مـــــاشـــــا: ها قد جاء.. هل دفع إيجار الشقة؟

إيـــريـــنـــا: (**تضحك**) كلا. لم يدفع كوبيكا طوال ثمانية أشهر، يبدو نسى.

مـــــاشـــــا: (**تضحك**) كم يجلس بعظمة!

(الجميع يضحكون. صمت)

إيـــريـــنـــا: مالك صامت يا ألكسندر أجناتيفيتش؟

فـيرشـيـنـين: لا أدرى. أرغب فى شاى. نصف حياتى أعطى مقابل كوب شاى! لم أذق شيئا منذ الصباح..

تشـيبوتيكـين: إيرينا سرجييفنا!

إيـــريـــنـــا: ماذا تريد؟

تشـيبوتيكـين: لو سمحت هنا! Venez ici [١]

(إيرينا تذهب وتجلس إلى الطاولة)

أنا لا أستطيع بدونك.

---

(١) تعالى هنا (بالفرنسية فى الأصل).

(إيرينا توزع أوراق اللعب)

فيرشينين: حسنا، طالما لا يقدمون الشاى، هيا على الأقل نتفلسف.

توزنباخ: هيا. وعمَّ؟

فيرشينين: عمَّ؟ هيا نحلم.. مثلا بالحياة التى ستأتى بعدنا، بعد مائتين أو ثلاثمائة سنة.

توزنباخ: حسنا. بعدنا سوف يحلقون بالمناطيد، وستتغير السترات، وربما اكتشفوا الحاسة السادسة وطوروها، ولكن الحياة ستظل كما هى، حياة قاسية، مليئة بالأسرار وسعيدة. وحتى بعد ألف عام سوف يزفر الإنسان هكذا أيضا ويقول: «آه ما أصعب الحياة!»، وفى نفس الوقت، ومثلما الآن، سوف يخاف الموت ولا يتمناه.

فيرشينين: (بعد تفكير) كيف أوضح لك؟ أعتقد أن كل ما على الأرض ينبغى أن يتغير شيئا فشيئا، وهو يتغير بالفعل أمام أعيننا. وبعد مائتى سنة أو ثلاثمائة، أو حتى ألف ـ ليست العبرة بالمدة ـ ستحل حياة جديدة، سعيدة. ولن نشارك فى هذه الحياة بالطبع، ولكننا من أجلها نعيش الآن، ونعمل، وحتى نتعذب، إننا نخلقها. وفى هذا وحده يكمن الغرض من وجودنا، بل وسعادتنا إذا شئتم.

(ماشا تضحك بصوت خافت)

توزنباخ: ماذا بك؟ .

مـــــاشـــــا: لا أدرى. اليوم أضحك طول النهار، منذ الصباح

فـيرشـيـنـين: أنـا تخرجت من حيث تخرجت أنـت، ولم ألتحق بالأكاديمية. أقرأ كثيرا، ولكنى لا أجيد اختيار الكتب وأقرأ ربما غير المطلوب أبدا، ومع ذلك كلما تقدم بى العمر ازددت رغبة فى المعرفة. شعرى يشيب، وقد أصبحت عجوزا تقريبا، ولكن ما أقل ما أعرفه، آه ما أقله! ومع ذلك أعتقد أننى أعرف أهم شىء، الشىء الحقيقى، وأعرفه جيدا. وكم أود أن أثبت لكم أنه لا سعادة لنا، ولا ينبغى أن تكون، ولن تكون.. علينا فقط أن نعمل ونعمل، أما السعادة فهى من نصيب الأجيال القادمة البعيدة.

(صمت)

إن لم أكن أنا فخلف خلفى.

(فيدوتيك ورودى يظهران فى الصالة. يجلسان ويغنيان بصوت خافت وبمداعبة الجيتار)

تـــوزنـــبـــاخ: حسب كلامك لا يجب حتى أن نحلم بالسعادة! وإذا كنت سعيدا!

فـيرشـيـنـين: كـــلا.

تـــوزنـــبـــاخ: **(يشيح بيديه ويضحك)** يبدو أننا لا نفهم بعضنا البعض. حسنا، كيف أقنعك؟

(ماشا تضحك بصوت خافت)

(ملوحا لها بإصبعه) اضحكى! (لفيرشينين) ليس بعد مائتى أو ثلاثمائة سنة، بل وبعد مليون سنة، ستبقى الحياة مثلما كانت. إنها لا تتغير، بل تبقى ثابتة، متبعة قوانينها الخاصة التى لا تعبأ أنت بها، أو التى على الأقل لن تعرفها أبدا. الطيور المهاجرة، اللقالق مثلا، تطير وتطير، وأيا كانت الأفكار التى تراودها، سامية أم تافهة، فسوف تظل تطير وهى لا تعلم لماذا وإلى أين. إنها تطير، وسوف تطير، ومهما ظهر بينها من فلاسفة. فلتتفلسف كما تشاء، المهم أن تطير..

ماشا: ولكن ما المغزى مع ذلك؟

توزنباخ: المغزى.. ها هو الثلج يسقط. فأى مغزى؟

(صمت)

ماشا: أعتقد أن الإنسان ينبغى أن يكون مؤمنا، أو ينبغى أن يبحث عن عقيدة، وإلا فحياته فارغة، فارغة.. أن تعيش دون أن تدرى لماذا تطير اللقالق، ولماذا يولد الأطفال، ولماذا النجوم فى السماء.. إما أن تعرف لماذا تعيش، وإما فكل شيء تافه.

(صمت)

فيرشينين: من المؤسف مع ذلك أن الشباب ولى..

ماشا: عند جوجول يقول أحدهم: الحياة فى هذه الدنيا مملة يا سادة!

توزنباخ: أما أنا فأقول: مجادلتكم صعبة يا سادة! دعونى..

تشيبوتيكين: (يقرأ الصحيفة) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف

(إيرينا تدندن بصوت خافت)

سأسجل هذا فى المفكرة (يسجل) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف. (يقرأ الصحيفة).

إيرينا: (توزع ورق اللعب، مستغرقة فى التفكير) بلزاك عقد قرانه فى برديتشيف[1].

توزنباخ: نفذ السهم. أتدرين يا ماريا سرجييفنا، أنا سأتقاعد.

ماشا: سمعت. ولا أرى فى ذلك أى خيرٍ. أنا لا أحب المدنيين.

توزنباخ: سيان.. (ينهض) أنا لست جميلا، فأى عسكرى أنا؟ نعم، طبعا، سيان على أى حال.. سوف أعمل. أعمل ولو يوما واحدا فى حياتى، بحيث أعود إلى البيت مساء منهكا فأرتمى فى الفراش وأنام على الفور. (يخرج إلى الصالة) لا بد أن العمال ينامون نوما عميقا!

فيدوتيك: (لإيرينا) اشتريت الآن فى شارع موسكوفسكايا، من متجر بيجيكوف أقلاما ملونة لك. وهذه المبراة..

إيرينا: تعودت على معاملتى وكأنى صغيرة، ولكنى أصبحت كبيرة.. (تأخذ الأقلام والمبراة بفرح) ما أروعها!

فيدوتيك: واشتريت لنفسى مطواة.. ها هى، انظرى.. سكين،

---

(١) تزوج الكاتب الفرنسى المعروف أونوريه دى بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) فى مدينة برديتشيف البولندية (حاليا مدينة فى أوكرانيا السوفييتية). المعرب.

وسكين آخر، وثالث. هذا للتنقيب فى الأذن، وهذا مقص، وهذا لتنظيف الأظافر..

رودى: (**بصوت عال**) يا دكتور، كم سنك؟

تشيبوتيكين: أنا؟ اثنان وثلاثون.

(**ضحك**)

فيدوتيك: سأريكم الآن سولتير آخر.. (**يرتب السولتير**)

(**يحضرون السماور. أنفيسا بجوار السماور. بعد قليل تأتى نتاشا وتسعى أيضا بجوار المائدة. يأتى سوليونى ويحيى، ثم يجلس إلى المائدة**)

فيرشينين: يا للريح!

ماشا: نعم. مللت الشتاء. لقد نسيت حتى كيف يبدو الصيف.

إيرينا: ستترتب الأوراق سولتير، أرى ذلك. سننتقل إلى موسكو.

فيدوتيك: كلا، لن تترتب. انظرى، الثمانية جاءت فوق الدوه البستونى. (**يضحك**) إذن لن تنتقلوا إلى موسكو.

تشيبوتيكين: (**يقرأ الصحيفة**) تسيتسيكار. الجدرى يتفشى فى المدينة.

أنفيسا: (**تقترب من ماشا**) ماشا، اشربى الشاى يا بنيتى. (**لفيرشينين**) تفضلوا يا صاحب السعادة.. اعذرنى يا سيدى، نسيت اسمكم..

ماشا: هاتى هنا يا دادة. لن أذهب هناك.

إيرينا: يا دادة!

أنفيسا: حاضر!

ناتاشا: **(لسوليونى)** الأطفال الرضع يفهمون جيدا. قلت له: «مرحبا يا بوبيك، مرحبا يا عزيزى!» فنظر إلىَّ نظرة خاصة. أتظن أننى أقول ذلك لأنى أمه، لا، كلا، أؤكد لك! إنه طفل خارق.

سوليونى: لو كان هذا الطفل طفلى، لحمرته على المقلاة وأكلته. **(يسير بالكوب إلى غرفة الجلوس ويجلس فى الركن)**.

ناتاشا: **(تغطى وجهها بيديها)** يا لك من فظ، عديم التربية!

ماشا: سعيد من لا يلاحظ إن كان الوقت شتاء أم صيفا. يخيل إلىَّ أننى لو كنت فى موسكو لما اهتممت بالجو..

فيرشينين: منذ أيام قرأت مذكرات أحد الوزراء الفرنسيين التى كتبها فى السجن. لقد حكم على الوزير بالسجن فى قضية بنما[1]، بأى نشوة وإعجاب يتذكر الطيور التى يراها من نافذة السجن والتى لم يكن يلاحظها من قبل، عندما كان وزيرا. والآن، وبعد أن أطلق سراحة لم يعد بالطبع يلاحظ الطيور. وهكذا، فلن تلاحظى موسكو عندما ستقيمين فيها. ليس لدينا سعادة، ولا توجد، إننا فقط نتمناها.

توزنباخ: **(يتناول علبة من على المائدة)** وأين الحلوى؟

إيرينا: أكلها سوليونى.

---

(١) وزير الأشغال العامة بايو (١٨٤٣ ـ ١٩٠٥). حكم عليه بالسجن بعد اتهامه بتقاضى رشوة كبيرة من إدارة الشركة التى كانت تقوم بشق قناة بنما. بعد خروجه من السجن أصدر مذكراته بعنوان «مذكرات سجين». المعرب.

تـــوزنـــبـــاخ: كلها؟

أنـــفـــيـــســـا: **(وهى تتدم الشاى)** لك رسالة يا سيدى.

فـيرشـيـنـين: لى؟ **(يتناول الرسالة)** من ابنتى. **(يقرأ لنفسه)** نعم، بالطبع.. عفوا يا ماريا سرجييفنا، أنا سأنصرف بهدوء. لن أشرب الشاى. **(ينهض منفعلا)** دائما هذه المشاكل..

مـــاشـــا: ماذا هناك؟ أليس سرا؟

فـيرشـيـنـين: **(بصوت خافت)** زوجتى تناولت السم مرة أخرى. ينبغى أن أذهب. سأمر خفية. كم هذا منفر. **(يقبل يد ماشا)** يا عزيزتى، أيتها المرأة الطيبة، الرائعة.. سأمر من هنا بهدوء.. **(ينصرف)**.

أنـــفـــيـــســـا: إلى أين هو؟ والشاى.. يا له من..

مـــاشـــا: **(تغضب)** كفى! كم أنت مزعجة.. **(تسير بالفنجان إلى الطاولة)** أضجرتنى أيتها العجوز!

أنـــفـــيـــســـا: ما الذى أغضبك؟ ماذا يا بنيتى؟

صوت أندريه: أنفيسا!

أنـــفـــيـــســـا: **(تقلده)** أنفيسا! قاعد هناك.. **(تخرج)**

مـــاشـــا: **(فى الصالة، بجوار الطاولة، بغضب)** دعونى أجلس! **(تخلط الأوراق على الطاولة)** احتلوا المكان بأوراقهم، اشربوا الشاى!

إيـــريـــنـــا: أنت شريرة يا ماشا.

مـــاشـــا: ما دمت شريرة فلا تتحدثوا معى. لا تلمسونى!

تشـيبوتيكـين: **(ضاحكا)** لا تلمسوها، لا تلمسوها..

مـــــاشـــــا: أنت فى الستين من عمرك بينما تتصرف كصبى وتهذى دائما بأشياء الشيطان يعلمها.

نـــتـــاشـــا: (**تتنهد**) ماشا العزيزة، ما الداعى لاستخدام هذه العبارات فى الكلام؟ بهيئتك الرائعة، أقول لك بصراحة، كان يمكن أن تكونى فاتنة فى المجتمع الراقى، لو لا هذه الكلمات

Je vous prie, pardonnez moi, Marie, mais vous avez de manières un peu grossières.[1]

تـــوزنـــبـــاخ: (**كاتما ضحكه**) أعطونى.. أعطونى.. هناك أظن كونياك.

نـــتـــاشـــا: Il parait, que mon بوبيك Déjà ne dort pas.[2]

استيقظ. إنه اليوم مريض قليلا. سأذهب إليه، عفوا.. (**تخرج**)

إيـــريـــنـــا: أين ذهب ألكسندر أجناتيتش؟

مـــــاشـــــا: إلى البيت. حدث لزوجته شىء غير عادى مرة أخرى.

تـــوزنـــبـــاخ: (**يتجه إلى سوليونى، فى يده دورق كونياك**) دائما تجلس وحدك، تفكر فى شىء ما، ولا أحد يفهم فيم تفكر. حسنا، تعال نتصالح. هيا نشرب كونياكا.

(**يشربان**)

اليوم سأضطر إلى العزف على البيانو طوال الليل، سأعزف فى الغالب أى هراء.. ليكن ما يكون!

---

(١) أرجو المعذرة يا ماريا ولكن لديك طريقة فظة قليلا. (بالفرنسية فى الأصل).

(٢) يبدو أن بوبيك ليس نائما. (بالفرنسية فى الأصل).

سوليوني: لماذا نتصالح؟ أنا لم أتشاجر معك

توزنباخ: إنك دائما تثير لدىَّ شعورا وكأنما حدث بيننا شىء. ينبغى أن أصارحك، إن لديك طبعا غريبا.

سوليوني: **(بلهجة إلقاء)** أنا غريب، فمن ذا غير الغريب! لا تغضب يا أليكو[1]!

توزنباخ: وما دخل أليكو هنا..

(صمت)

سوليوني: عندما أكون مع شخص ما واحد، فلا بأس، أكون كالآخرين. ولكنى فى المجتمع كئيب، خجول و.. أتفوه بشتى الهراء. ومع ذلك فأنا أشرف وأنبل من كثيرين، كثيرين جدا. وأستطيع أن أثبت ذلك.

توزنباخ: أنا كثيرا ما أغضب منك، وأنت دائما ما تتحرش بى عندما نكون فى مجتمع، ومع ذلك أميل إليك لسبب ما. ليكن ما يكون، فلأسكر اليوم لنشرب!

سوليوني: لنشرب.

(يشربان)

ليس عندى أبدا أى شىء ضدك يا بارون. ولكن طبعى كطبع ليرمنتوف[2]. **(بصوت خافت)** بل إنى أشبه

---

(١) أليكو ـ بطل قصيدة بوشكين «الغجر». **المعرب**.

(٢) ميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١) شاعر روسى كبير يمتاز شعره بالوجدانية الحزينة والشفافية. له رواية «بطل من هذا الزمان». قتل فى مبارزة. **المعرب**.

ليرمنتوف قليلا.. كما يقولون.. **(يستخرج من جيبه قارورة عطر ويسكب على يديه).**

تـــوزنـــبـــاخ: سأتقاعد. كفى! خمس سنوات وأنا أفكر، وأخيرا قررت. سوف أعمل.

ســولــيــونــى: لا تغضب يا أليكو.. فلتنسها، فلتنس أحلامك..

(أثناء حديثهما يدخل أندريه ومعه كتاب ويجلس فى هدوء بجوار الشمعة)

تـــوزنـــبـــاخ: سوف أعمل.

تشـيبوتيكــين: **(متجها إلى غرفة الجلوس مع إيرينا)** والأكل أيضا كان قوقازيا حقيقيا: شوربة بصل، ثم طبق تشيخارتما باللحم.

ســولــيــونــى: التشيريمشا ليست لحما على الإطلاق، بل نباتا مثل البصل عندنا.

تشـيبوتيكــين: كلا يا ملاكى. التشيخارتما ليست بصلا، بل لحم ضأن محمر.

ســولــيــونــى: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.

تشـيبوتيكــين: وأنا أقول لك التشيخارتما ضأن.

ســولــيــونــى: وأنا أقول لك التشيريمشا بصل.

تشـيبوتيكــين: لماذا أتجادل معك! أنت لم تكن فى القوقاز أبدا ولم تذق التشيخارتما.

ســولــيــونــى: لم أذقها لأنى لا أطيقها. فبعد أن تأكلها تفوح منك رائحة الثوم تماما.

أنـــدريـــه: **(ضارعا)** كفى يا سادة! أرجوكم!

تـوزنـبـاخ: متى سيأتى المتنكرون؟

إيـريـنـا: وعدوا بالمجىء فى التاسعة، يعنى حالا.

تـوزنـبـاخ: **(يضم أندريه)** يا مدخل بيتى ما أعجب[1]..

أنـــدريـــه: **(يرقص ويغنى)** يا مدخل من خشب القيقب..

تشيبوتيكين: **(يرقص)** يا مدخل من خشب شبكى!

(ضحك)

تـوزنـبـاخ: **(يقبل أندريه)** يا للشيطان، هيا نشرب. أندريوشا، هيا نشرب نخب التآخى. وسأهذب معك يا أندريوشا إلى موسكو، إلى الجامعة.

سـولـيـونـى: إلى أى جامعة؟ فى موسكو جامعتان.

أنـــدريـــه: فى موسكو جامعة واحدة.

سـولـيـونـى: وأنا أقول لك جامعتان.

أنـــدريـــه: فليكن حتى ثلاث. هذا أفضل.

سـولـيـونـى: فى موسكو جامعتان!

(زمجرة وهسهسة استهجان)

فى موسكو جامعتان، جامعة قديمة وجامعة جديدة. أما إذا كنت لا ترغب فى سماعى، إذا كانت كلماتى تستفزك فبوسعى ألا أتكلم. بل حتى أتسطيع الذهاب إلى غرفة أخرى.. **(يخرج عبر أحد الأبواب)**.

---

(١) أغنية شعبية روسية راقصة، سريعة الإيقاع. المعرب.

تـــوزنـــبـــاح: برافوا، برافو! (**يضحك**) ابدأوا يا سادة، أنا سأجلس إلى البيانو! مضحك سوليونى هذا.. (**يجلس إلى البيانو ويعزف لحن فالس**)

مـــــاشـــــا: (**ترقص الفالس وحدها**) البارون سكران، البارون سكران، البارون سكران!

(**تدخل نتاشا**)

نـــتـــاشـــا: (**لتشيبوتيكين**) إيفان رومانيتش! (**تتحدث مع تشيبوتيكين فى أمر ما، ثم تخرج بهدوء**).

(**تشيبوتيكين يلمس كتف توزنباخ ويهمس له بشىء ما**).

إيـــريـــنـــا: ماذا هناك؟

تشيبوتيكـين: آن لنا أن ننصرف. نترككم بخير.

تـــوزنـــبـــاخ: ليلة سعيدة. آن أن ننصرف.

إيـــريـــنـــا: مهلا.. والمتنكرون؟

أنـــدريـــه: (**محرجا**) المتنكرون لن يأتوا. الموضوع يا عزيزتى يعنى.. نتاشا تقول إن بوبيك مريض قليلا، ولذلك.. باختصار أنا لا أعرف شيئا، وسيان عندى تماما.

إيـــريـــنـــا: (**تهز كتفيها**) بوبيك مريض!

مـــــاشـــــا: ليكن ما يكون! طالما يطردوننا فلنذهب. (**لإيرينا**) ليس بوبيك المريض بل هى نفسها.. هكذا (**تدق بإصبعها على جبينها**) الجلفة!

(أندريه ينصرف إلى غرفته عبر الباب الأيمن، تشـيبوتيكين يتبعه، فى الصالة يتبادلون عبارات الوداع)

فـيـدوتـيـك: يا للأسف! كنت آمل فى قضاء السهرة هنا، لكن إذا كان الصبى مريضا، فطبعا.. سأحضر له غدا لعبة..

رودى: **(بصوت عال)** أنا اليوم أخذت قسطى من النوم بعد الغذاء خصيصا، كنت أظن أننى سأرقص طول الليل. الساعة الآن التاسعة فقط!

مـــاشـــا: لنخرج إلى الشارع ونبحث الأمر. ونقرر ماذا نعمل.

(يُسمع: «وداعا! نترككم فى خير!» يتردد ضحك توزنباخ المرح. الجميع يخرجون. أنفيسا وخادمة تجمعان الأوانى من على الطاولة وتطفئان الأضواء. يسمع غناء المربية. يدخل أندريه بهدوء مرتديا المعطف والقبعة ومعه تشـيبوتيكـين)

تشـيبوتيكـين: لم ألحق أن أتزوج لأن الحياة مرقت كالبرق. ثم إنى كنت أحب والدتك بجنون، وكانت متزوجة..

أنـــدريـــه: لا داعى للزواج. لا داعى لأنه ممل.

تشـيبوتيكـين: هو كذلك حقا، ولكن الوحدة. مهما تفلسفت فالوحدة شىء رهيب يا عزيزى.. رغم أنه فى الحقيقة.. طبعا.. سيان تماما!

أنـــدريـــه: هيا، فلنسرع.

تشـيبوتيكـين: ولم العجلة؟ سنلحق.

أنـــدريـــه: أخشى أن تستوقفنى زوجتى.

تشيبوتيكين: آه!

أندريه: اليوم لن ألعب، سأتفرج فقط. أشعر بوعكة.. ماذا أفعل يا إيفان رومانيتش لضيق التنفس؟

تشيبوتيكين: لِمَ تسألنى! لا أذكر يا عزيزى. لا أعرف.

أندريه: تعال عن طريق المطبخ.

(يخرجان)

(جرس، ثم جرس آخر. تسمع أصوات وضحك)

إيرينا: **(تدخل)** ماذا هناك؟

أنفيسا: **(همسا)** المتنكرون!

(جرس)

إيرينا: قولى لهم يا دادة: لا أحد فى المنزل. فليعذرونا.

(أنفيسا تخرج. إيرينا تذرع الغرفة مستغرقة فى التفكير. تبدو منفعلة. يدخل سوليونى)

سوليونى: **(باستغراب)** لا أحد.. وأين الآخرون؟

إيرينا: انصرفوا.

سوليونى: غريبة. وأنت وحدك هنا؟

إيرينا: وحدى.

(صمت)

وداعا.

سوليونى: لم يكن سلوكى منذ قريب متزنا ولا مهذبا. ولكن لست كالآخرين، أنت سامية وطاهرة، وترين الحقيقة.. أنت

وحدك، لا أحد غيرك يستطيع أن يفهمنى. أنا أحبك، أحبك بعمق، بلا حدود..

إيـــريــــنــــا: وداعا! انصرف.

ســولــيــونــى: لا أستطيع أن أحيا بدونك. (**يمضى خلفها**) آه يا نعمتى! (**عبر الدموع**) يا سعادتى! أيتها العينان الرائعتان الساحرتان الفاخرتان، اللتان لم أر لهما مثيلا عند أى امرأة أخرى..

إيـــريــــنــــا: (**ببرود**) كف عن هذا يا فاسيلى فاسيليتش!

ســولــيــونــى: أول مرة أبوح بحبى لك، وأشعر كأنما لست على الأرض، بل على كوكب آخر. (**يحك جبينه**) حسنا، سيان. بالطبع لن تغصب أحدا على الحب.. ولكن لا ينبغى أن يكون لى غرماء سعداء.. لا ينبغى.. أقسم لك بكل المقدسات إننى سأقتل غريمى.. أوه، يا ساحرتى!

(**نتاشا تمر حاملة شمعة**)

نـــتـــاشـــا: (**تطل فى باب، ثم فى آخر، وتمر بجوار باب غرفة زوجها**) أندريه هنا. فليقرأ.عفوا يا فاسيلى فاسيليتش، لم أكن أعرف أنك هنا، أنا فى ملابس البيت.

ســولــيــونــى: سيان عندى. وداعا! (**يخرج**).

نـــتـــاشـــا: أنت متعبة يا عزيزتى، يا فتاتى المسكينة! (**تقبل إيرينا**). هلا نمت مبكرا.

إيـــريــــنــــا: بوبيك نائم؟

نـــتـــاشـــا: نائم. لكن نومه قلق. بالمناسبة يا عزيزتى، كنت أريد

أن أقول لك، ولكن تارة أنت غير موجودة، وتارة أنا مشغولة.. أعتقد أن الجو فى غرفة بوبيك الحالية بارد ورطب عليه. وغرفتك ممتازة للطفل. يا عزيزتى، يا حبيبتى، انتقلى إلى غرفة أوليا!

إيـــريـــنـــا: **(لا تفهم)** إلى أين؟

(يسمع صوت عربة ترويكا بأجراس تقترب من المنزل)

نـــتـــاشـــا: اسكنى مع أوليا فى غرفة واحدة مؤقتا، وغرفتك نعطيها لبوبيك. كم هو لطيف. اليوم قلت له: «بوبيك أنت لى، لى!» بينما أخذ ينظر إلىَّ بعينيه الحلوتين.

(جرس)

يبدو أنها أولجا. كم تتأخر!

(الخادم تقترب من نتاشا وتهمس فى أذنها)

بروتوبوبوف؟ يا له من غريب الأطوار. بروتوبوبوف وصل. يدعونى لركوب الترويكا معه. **(تضحك)** ما أغرب هؤلاء الرجال..

(جرس)

أحدهم جاء. قد أركب معه لأتنزه لربع ساعة.. **(للخادم)** قولى له حالا.

(جرس)

الجرس يدق..إنها أولجا على ما أعتقد. **(تخرج)**

(الخادم تنصرف ركضا. إيرينا تجلس مستغرقة فى التفكير. يدخل كوليجين وأولجا، ومن خلفهما فيرشينين)

كوليجين: يا لها من مفاجأة. ألم يقولوا إنه ستكون عندهم سهرة.

فيرشينين: غريبة، أنا ذهبت منذ وقت قريب، من نصف ساعة، وكانوا فى انتظار المتنكرين.

إيرينا: الجميع انصرفوا.

كوليجين: وماشا أيضا؟ إلى أين ذهبت؟ ولماذا ينتظر بروتوبوبوف تحت فى الترويكا؟ من ينتظر؟

إيرينا: لا توجه لى أسئلة.. أنا متعبة.

كوليجين: آه من هذه المتدللة..

أولجا: المجلس انتهى لتوه. تعذبت. رئيستنا مريضة، وأنا الآن أحل محلها.آه، صداع، رأسى.. (تجلس) بالأمس خسر أندريه مائتى روبل فى القمار.. المدينة كلها تتحدث عن ذلك..

كوليجين: نعم، وأنا تعبت فى المجلس. (يجلس)

فيرشينين: زوجتى قررت منذ قليل أن ترهبنى، كادت أن تنتحر سما. كل شىء انتهى بخير، وأنا سعيد، أرتاح الآن.. إذن علينا أن ننصرف؟ حسنا، اسمحوا لى أن أتمنى لكم كل خير. فيودور إبليتش، فلنذهب معا إلى مكان ما! أنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل، لا أتسطيع أبدا.. لنذهب!

كوليجين: أنا متعب. لن أذهب. (ينهض) متعب. هل ذهبت زوجتى إلى البيت؟

إيـــريـــنـــا : أعتقد.

كـولـيـجـين: (**يقبل يد إيرينا**) وداعا. غدا وبعد غد استراحة طول النهار. أتركك بخير! (**يذهب**) كم أرغب فى شاى. كنت آمل فى قضاء سهرة فى صحبة لطيفة، ولكن يا. Fallacem hominum spem! [1] مفعول به وعلامة تعجب..

فـيرشـيـنـين: إذن سأذهب وحـدى. (**ينصرف مع كوليجين مصفرا**).

أولجـــــــا: صداع، رأسى.. أندريه خسر.. المدينة كلها تتحدث.. سأذهب لأرقد. (تذهب) غدا إجازة.. أوه يا إلهى، ما أجمل ذلك! غدا إجازة، وبعد غد إجازة.. رأسى، صداع.. (تخرج).

إيـــريـــنـــا: (**وحدها**) كلهم ذهبوا، لم يبق أحد.

(**فى الخارج عزف أكورديون، مربية تغنى**)

نـــتـــاشـــا: (**فى معطف وقبعة من الفراء تمر عبر الصالة. من خلفها الخادم**) سأعود بعد نصف ساعة. سأركب قليلا. (تخرج).

إيـــريـــنـــا: (**تبقى وحدها، تشعر بالوحشة**) إلى موسكو! إلى موسكو، إلى موسكو!

(**ســتار**)

---

(١) يا أملا إنسانيا وهميا (باللاتينية فى الأصل).

الفصل الثالث

(غرفة أولجا وإيرينا . سريران إلى اليمين واليسار يحجبهما ستاران. الساعة تدور فى الثالثة ليلا. فى الخارج يدق ناقوس الإنذار بسبب الحريق الذى شب من وقت طويل. واضح أنهم فى المنزل لم يأووا بعد إلى النوم. ماشا راقدة على الكنبة، كالعادة فى فستان أسود. تدخل أولجا وأنفيسا)

أنفيسا: هم جالسون الآن تحت السلم.. أقول لهم: «تفضلوا فوق، لا يمكن هكذا»، لكنهم يبكون. يقولون: «لا نعرف أين بابا، نخشى أن يكون احترق، لا قدر الله». ما هذا الكلام! وفى الحوش غيرهم.. وبدون ملابس أيضا.

أولجا: **(تخرج من الدولاب ثيابا)** خذى هذا الفستان الرمادى.. وهذا أيضا.. والبلوزة أيضا.. وهذه التنورة خذيها يا دادة.. يا إلهى ما هذا! حارة كيرسانوف احترقت كلها فيما يبدو.. خذى هذا.. خذى هذا.. **(تلقى إليها بملابس)** المساكين آل فيرشينين فزعوا.. كاد بيتهم أن يحترق. فليبيتوا عندنا.. لا تدعوهم يذهبون إلى منزلهم.. فيدوتيك المسكين إحترق كل ما عنده، لم يبق شىء..

أنـــفـــيـــســـا: هلا استدعيت فيرابونت يا أوليا، الحمل صعب على..

أولجـــــــــــا: **(تدق الجرس)** لن يسمع.. **(فى الباب)** من هناك، تعال هنا!

(تظهر فى الباب المفتوح نافذة، حمراء من اللهب، تسمع فرقة الإطفاء مارة بجوار البيت)

يا للفظاعة. كم سئمت هذا!

(يدخل فيرابونت)

خذ هذا، احمله إلى تحت.. أسفل السلم آنسات آل كولوتيلين.. أعطه لهن. وهذا أيضا أعطه..

فـــيرابـــونـــت: حاضر. فى سنة اثنتى عشرة موسكو احترقت أيضا. آه يا ربى، يا إلهى! اندهش الفرنسيون[1].

أولجـــــــــــا: اذهب، امش..

فـــيرابـــونـــت: حاضر. **(ينصرف)**.

أولجـــــــــــا: يا دادة، يا عزيزتى، أعطيهم كل شىء.. لسنا بحاجة إلى شىء، أعطيهم كل ما عندنا يا دادة.. أنا تعبت، لا أقوى على الوقوف.. لا تدعوا آل فيرشينين يعودون إلى منزلهم.. فلتنم الفتاتان فى غرفة الجلوس، وألكسندر أجناتيفيتش تحت مع البارون.. وفيدوتيك أيضا مع البارون، أو عندنا فى الصالة.. الدكتور، للحظ، سكران،

---

(١) الإشارة إلى حريق موسكو أثناء الحرب الوطنية ضد الغزاة الفرنسيين عام ١٨١٢. **المعرب.**

سكران جدا، ولا يمكن إرسال أحد عنده. وزوجة فيرشينين أيضا فى غرفة الجلوس.

أنفيسا: (**بإرهاق**) أوليا العزيزة، لا تطردينى! لا تطردينى!

أولجا: ما هذا الكلام الفارغ يا دادة. لا أحد يطردك.

أنفيسا: (**تضع رأسها على صدر أولجا**) يا حبيبتى، يا كنزى الغالى، إننى أعمل، أنا أكدح.. إذا ضعفت سيقول الجميع: اذهبى! فإلى أين أذهب؟ عمرى ثمانون.. الثانية والثمانون الآن..

أولجا: اجلسى يا دادة.. لقد تعبت يا مسكينة.. (**تجلسها**) استريحى يا حبيبتى. كم أنت شاحبة!

(**تدخل نتاشا**)

نتاشا: يقولون هناك لا بد من الإسراع بإنشاء جمعية لمساعدة منكوبى الحريق. ماذا؟ فكرة رائعة. وعموما ينبغى مساعدة الفقراء، هذا واجب على الأغنياء. بوبيك وصوفى ينامان وكأنما لا يحدث شىء. عندنا خلق كثيرون، البيت كله ملىء بالناس. الإنفلونزا منتشرة الآن فى المدينة، اخشى أن تنتقل العدوى إلى الأولاد.

أولجا: (**لا تصغى إليها**) من هذه الغرفة لا يرى الحريق، غرفة هادئة..

نتاشا: نعم.. يبدو أننى مشعثة. (**أمام المرآة**) يقولون إنى سمنت.. غير صحيح! أبدا ماشا نائمة، تعبت، المسكينة.. (**لأنفيسا ببرود**) إياك أن تجلسى فى حضورى! قفى! امشى من هنا!

(أنفيسا تخرج. صمت)

لماذا تحتفظين بهذه العجوز، لست أفهم!

أولجـــــــــا: **(مذهولة)** عفوا، أنا أيضا لا أفهم..

نـــتـــاشـــا: لا داعى لوجودها هنا. إنها فلاحة، ينبغى أن تعيش فى الريف.. ما هذا التدليل! أنا أحب النظام فى البيت! لا ينبغى أن يوجد أشخاص زيادة. **(تربت على خدها)** أنت متعبة، يا مسكينة! رئيستنا متعبة! عندما تكبر صوفى وتدخل المدرسة سوف أخشاك.

أولجـــــــــا: لن أكون رئيسة.

نـــتـــاشـــا: سيختارونك يا أوليا. هذا مقرر.

أولجـــــــــا: سأرفض. لا أستطيع.. هذا فوق طاقتى.. **(تشرب ماء)** أنت الآن عاملت الدادة بفظاظة.. اعذرينى، ولكنى لا أستطيع أن أحتمل.. بل إن الدنيا غامت أمام عينى..

نـــتـــاشـــا: **(بانفعال)** سامحينى يا أوليا، سامحينى.. أنا لم أقصد الإساءة إليك.

(ماشا تنهض وتأخذ الوسادة وتنصرف غاضبة)

أولجـــــــــا: افهمى يا عزيزتى.. ربما تكون تربيتنا غريبة، ولكنى لا أطيق هذا. هذه المعاملة تثقل علىَّ، تمرضنى.. إننى أشعر بالخور!..

نـــتـــاشـــا: سامحينى، سامحينى.. **(تقبلها)**.

أوليـــــــــــا: كل فظاظة، مهما كانت تافهة، وكل كلمة تقال بغير لباقة، تثيرنى..

نـــتــــاشـــــا: أنا كثيرا ما أقول أشياء لا داعى لها، هذا صحيح، ولكن ألا توافقينى يا عزيزتى، إنها يمكن أن تعيش فى الريف.

أوليـــــــــــا: إنها عندنا منذ ثلاثين سنة.

نـــتــــاشـــــا: ولكنها الآن لا تقدر على العمل! إما أننى لا أفهمك، وإما أنك لا تريدين أن تفهمينى. إنها لا تقوى على العمل، إنها تجلس أو تنام فقط.

أوليـــــــــــا: دعيها تجلس.

نـــتــــاشـــــا: **(بدهشة)** كيف دعيها تجلس؟ ولكنها من الخدم. **(من خلال الدموع)** أنا لا أفهمك يا أوليا. أنا عندى دادة، ومرضعة، وعندنا خادم وطاهية.. فما حاجتنا إلى هذه العجوز؟ لأى غرض؟

(الناقوس يدق خلف المسرح)

أوليـــــــــــا: هذه الليلة هرمت عشر سنوات.

نـــتــــاشـــــا: علينا أن نتفق يا أوليا، اتفاقا لا رجعة فيه.. أنت فى المدرسة وأنا فى البيت، العلم لك، والشئون المنزلية لى. وإذا قلت شيئا بخصوص الخدم فأنا أعرف ما أقوله. أنا أعرف ما أقـ.. و.. له.. غدا لا تكون هذه اللصة العجوز هنا، هذه العجوز الشمطاء.. **(تدق بقدميها)**

هذه الشيطانة!.. إياك أن تجرئى على إثارتى! إياك! **(تتمالك نفسها فجأة)** بجد، إذا لم تنتقلى إلى تحت فسوف نتشاجر دائما. هذا فظيع.

(يدخل كوليجين)

كـــولـــيـــجـــين: أين ماشا؟ آن لنا أن نعود إلى البيت. يقولون الحريق ينتهى. **(يتمطى)** لم يحترق إلا حى واحد، رغم وجود رياح، فى أول الأمر بدا وكأن المدينة كلها تحترق. **(يجلس)** تعبت. يا أوليا العزيزة.. إننى كثيرا ما أفكر: لولا ماشا لكنت تزوجتك يا أوليا. أنت لطيفة جدا.. تعبت **(يصيخ)**.

أولجـــــــــــا: ماذا؟

كـــولـــيـــجـــين: كأنما عن عمد، الدكتور عنده نوبة شراب، إنه سكران جدا. كأنما عن عمد! **(ينهض)** ها هو قادم إلى هنا، أظن.. أتسمعين؟ نعم، إلى هنا.. **(يضحك)** يا له من رجل، فعلا.. سأختبئ. **(يتجه إلى الدولاب ويقف فى الركن)** ياله من عربيد.

أولجـــــــــــا: لم يشرب منذ سنتين، وها هو فجأة يغرق فى الشرب.. **(تذهب مع نتاشا إلى عمق الغرفة)**.

(يدخل تشيبوتيكن. لا يترنح، يسير كالمفيق عبر الغرفة، ويتوقف ويتطلع. ثم يتجه إلى المغسلة ويبدأ فى غسل يديه).

تشـيبوتيكـــين: **(عابسا)** فليذهبوا جميعا إلى الشيطان.. جميعا.. يظنون

أننى طبيب، أجيد علاج شتى الأمراض، وأنا لا أعرف شيئا على الإطلاق، نسيت كل شىء، لا أذكر شيئا،على الإطلاق.

(تخرج أولجا ونتاشا دون أن يلحظ)

فليذهبوا إلى الشيطان. فى الأربعاء الماضى عالجت امرأة من زاسيبى فماتت. وأنا المذنب فى موتها. نعم.. كنت أعرف بعض الأشياء قبل حوالى خمس وعشرين سنة، أما الآن فلا أذكر شيئا لا شىء.. فى رأسى خواء، وفى قلبى برودة. ربما لم أكن إنسانا، بل أتظاهر بأن لدىَّ يدين ورجلين.. ورأسا. ربما لم أكن موجودا على الإطلاق، بل يخيل إلى أننى أسير، وآكل، وأنام. **(يبكى)** أوه لو لم أكن موجودا! **(يكف عن البكاء. يقول عابسا)** يا للشيطان.. منذ يومين دار حديث فى النادى. تحدثوا عن شكسبير، فولتير.. أنا لم أقرأ لهما، لم أقرأ لهما شيئا، ولكنى رسمت على وجهى ملامح المطلع. والآخرون أيضا مثلى. يا للابتذال! يا للحقارة! وتلك المرأة التى تسببت فى موتها يوم الأربعاء تذكرتها.. تذكرت كل شىء، وأحسست فى روحى بالتشوه، بالقرف، بالوضاعة.. وأطلقت لنفسى العنان، وشربت..

(تدخل إيرينا وفيرشينين وتوزنباخ. توزنباخ يرتدى حلة مدنية جديدة وعصرية)

إيـــريـــنـــا: لنجلس هنا. لن يأتى إلى هنا أحد.

فيرشينين: لولا الجنود لاحترقت المدينة كلها. جدعان! **(يفرك يديه من المتعة)** قوم ممتازون! آه ما أجدعهم!

كوليجين: **(مقتربا منهم)** كم الساعة يا سادة؟

توزنباخ: بدأت تدور فى الرابعة. الفجر يلوح.

إيرينا: الجميع يجلسون فى الصالة، ولا أحد ينصرف. وصاحبك سوليونى هذا، جالس.. **(لتشيبوتيكين)** هلا ذهبت فنمت يا دكتور.

تشيبوتيكين: لا بأس.. أشكرك **(يمشط لحيته)**.

كوليجين: **(ضاحكا)** سكرت طينة يا إيفان رومانيتش! **(يربت على كتفه)** شاطر! قال القدماء: in vino veritas [1]

توزنباخ: الجميع يرجوننى أن أنظم حفلة لصالح منكوبى الحريق.

إيرينا: حسنا، ومن يستطيع..؟

توزنباخ: يمكن تنظيم الحفل لو هناك رغبة. ماريا سرجييفنا مثلا تعزف على البيانو بروعة.

كوليجين: تعزف بروعة!

إيرينا: لقد نسيت ذلك. منذ ثلاثة أعوام لم تعزف.. أو ربما أربعة.

توزنباخ: لا أحد فى المدينة على الإطلاق يفهم الموسيقى، ولا

---

(١) الحقيقة فى الخمر (باللاتينية فى الأصل).

شخص واحد، ولكنى أنا أفهمها، وأؤكد لك بشرفى، أن ماريا سرجييفنا تعزف بروعة، بموهبة تقريبا.

كـولـيـجـين: أنت محق يا بارون، إننى أحبها جدا، ماشا، إنها لطيفة.

تـوزنـبـاخ: أن تجيد العزف بهذه العظمة، وفى الوقت نفسه تدرك أن لا أحد يفهمك، لا أحد!

كـولـيـجـين: (يزفر) نعم.. ولكن هل من اللائق لها أن تشترك فى الحفل؟

(صمت)

إننى لا أعرف شيئا يا سادة. ربما كان ذلك طيبا. ينبغى أن أعترف لكم بأن مديرنا رجل طيب، بل طيب جدا، ذكى للغاية، ولكن لديه أفكارا كهذه.. بالطبع ليس هذا شأنه، ومع ذلك، إذا شئتم فقد أتحدث معه.

(تشيبوتيكين يتناول ساعة من الخزف ويتأملها)

فـيرشـيـنـين: توسخت تماما فى الحريق، منظرى غريب.

(صمت)

بالأمس سمعت حديثا عابرا بأن لواءنا سينقل إلى مكان بعيد. البعض يقول: إلى مملكة بولندا، والبعض الآخر: إلى تشيتا.

تـوزنـبـاخ: أنا أيضا سمعت. ماذا؟ إذن ستصبح المدينة خاوية تماما.

إيـريـنـا: ونحن سنرحل!

تشيبوتيكين: (تسقط منه الساعة فتتحطم) طارت شظايا!

(صمت. الجميع متضايقون محرجون)

كوليجين: (يجمع الشظايا) أتكسر مثل هذا الشيء الثمين، آه يا إيفان رومانيتش، يا إيفان رومانيتش، سلوكك تستحق عليه ناقص صفر!

إيرينا: إنها ساعة المرحومة أمي.

تشيبوتيكين: ربما.. حسنا، ساعة ماما. ربما أنا لم أكسرها، بل يبدو فقط أنني كسرتها. ربما يبدو لنا فقط أننا موجودون، بينما في الحقيقة لا وجود لنا. أنا لا أعرف شيئا، لا أحد يعرف شيئا. (عند الباب) لماذا تنظرون؟ نتاشا على علاقة غرامية مع بروتوبوبوف، وأنتم لا ترون.. أنتم تجلسون هنا، ولا ترون شيئا، بينما نتاشا على علاقة غرامية مع بروتوبوبوف.. (يغنى) هل ترغب أن تأكل هذه البلحة..

(يخرج)

فيرشينين: نعم.. (يضحك) ما أغرب هذا في الحقيقة!

(صمت)

عندما بدأ الحريق أسرعت ركضا إلى البيت. عندما وصلت نظرت، فرأيت بيتنا سليما لم يصبه سوء، ولا يهدده الخطر، ولكن بنتيَّ تقفان عند العتبة، في ملابس النوم، وأمهما ليست هناك، الناس متجمعون، وتركض الخيول

والكلاب، وعلى وجوه الفتاتين ارتسم القلق، الرعب، التوسل، لا أدرى ماذا. انقبض قلبى عندما رأيت هذه الملامح. قلت لنفسى: يا إلهى، أى عذاب سيقدر لهاتين الصغيرتين أن تعانياه خلال حياتهما الطويلة! التقطتهما وركضت، وطوال الوقت كنت أفكر فى شىء واحد: أى عذاب سيقدر لهما أن تعانياه فى هذه الدنيا!

(الناقوس يدق. صمت)

جئت إلى هنا فإذا أمهما هنا، أخذت تصرخ وتغضب.

(تدخل ماشا بالوسادة وتجلس على الكنبة)

عندما كانت ابنتاى واقفتين حافيتين، بملابس النوم فقط على العتبة، والشارع أحمر من النار، والضجة رهيبة، فكرت بأن شيئا مثل هذا كان يحدث منذ سنوات طويلة مضت، عندما يهجم الأعداء فجأة فينهبون ويحرقون.. وفى الحقيقة فأى فرق هناك بين ما يجرى الآن وما جرى من قبل! وسوف يمر وقت قليل، حوالى مائتى أو ثلاثمائة عام، وسينظرون إلى حياتنا الراهنة أيضا بمثل هذا الخوف والسخرية، وسوف يبدو لهم كل ما لدينا الآن أخرق وثقيلا، وغير مريح جدا وغريبا. أوه يا لها من حياة ستكون فى الغالب، يا لها من حياة! **(يضحك)** عفوا، مرة أخرى أتفلسف. اسمحوا لى أن أواصل يا سادة. إننى أرغب بشدة فى التفلسف، عندى مزاج لذلك الآن.

(صمت)

كأنما الجميع نيام. وهكذا أقول: يالها من حياة ستكون! يمكنكم فحسب أن تتصوروا.. أمثالكم فى المدينة الآن ثلاثة فقط، وفى الأجيال التالية سيكونون أكثر، أكثر فأكثر، وسيأتى وقت يتغير فيه كل شىء حسبما تريدون، وستكون الحياة كما تريدون، وبعد ذلك يتقادم العهد حتى بكم، ويولد أناس آخرون، أفضل منكم.. **(يضحك)** عندى اليوم مزاج خاص. أرغب فى العيش بجنون.. **(يغنى)** كل الأعمار تطيع الحب، دفق حرك نبض القلب[1].. **(يضحك)**

ماشا: ترام.. تم.. تم..

فيرشينين: ترام.. تم..

ماشا: ترا.. را.. را؟

فيرشينين: ترا.. تا.. تا **(يضحك)**

(يدخل فيدوتيك)

فيدوتيك: **(راقصا)** احترقت، احترقت! لآخر فتلة!

(ضحك)

إيرينا: ما هذا المزاح. كل شىء احترق؟

فيدوتيك: **(ضاحكا)** لآخر فتلة. لم يبق شىء. والجيتار احترق، والصور احترقت، وكل رسائلى.. وأردت أن أهديك مفكرة، احترقت هى أيضا.

---

(١) دور الأمير جريمين فى أوبرا «يفجينى أنيجين» للموسيقار تشايكوفسكى. المعرب.

(يدخل سوليونى)

إيـــريـــنـــا: لا، أرجوك، اخرج يا فاسيلى فاسيليتش. ممنوع الدخول هنا.

ســولــيــونــى: ولماذا مسموح للبارون وممنوع لى؟

فــيرشــيــنــين: بالفعل، ينبغى أن نذهب. كيف الحريق؟

ســولــيــونــى: يقال بدأ ينطفئ. كلا، ولكنى مستغرب جدا، لماذا مسموح للبارون وممنوع لى؟ **(يخرج قارورة عطر ويسكب منها).**

فــيرشــيــنــين: ترام.. تم.. تم.

مـــاشـــا: ترام.. تم.

فــيرشــيــنــين: **(يضحك. لسوليونى)** لنذهب إلى الصالة.

ســولــيــونــى: حسنا، لنسجل هذا فى المحضر لولا أخاف غضبة الأوز والصياح، لقلت رأيى واستفضت فى الإيضاح[1].. **(ينظر إلى توزنباخ)** كت.. كت.. كت..

(يخرج مع فيرشينين وفيدوتيك)

إيـــريـــنـــا: ملأ الغرفة دخانا سوليونى هذا.. **(باستغراب)** البارون نائم! يا بارون! يا بارون!

تــوزنــبــاخ: **(يستيقظ)** أنا تعبان فعلا.. مصنع الطوب.. لست أهذى بل هذا واقع، فعما قريب سأذهب إلى مصنع الطوب وأبدأ فى العمل.. تحدثت فى هذا الموضع. **(لإيرينا برقة)**

---

(١) استشهاد غير دقيق ببيت من حكاية «الأوز» للأديب الروسى إيفان كريلوف. المعرب.

كم أنت شاحبة، رائعة، جذابة.. يخيل إلَيَّ أن شحوبك يضيء الجو المظلم كالنور.. أنت حزينة، غير راضية عن الحياة.. أوه، فلتأتى معى، لنعمل معا!

ماشا: نيكولاى لفوفيتش، اخرج من هنا.

توزنباخ: (**ضاحكا**) أنت هنا؟ أنا لا أرى. (**يقبل يد إيرينا**) وداعا، أنا راحل..أنظر إليك الآن وأتذكرك فى زمن بعيد، فى عيد شفيعتك، عندما كنت مفعمة بالحيوية، مرحة، تتحدثين عن سعادة العمل.. وكم لاحت لى ساعتها آفاق حياة سعيدة! فأين هى؟ (**يقبل يدها**) أرى الدموع فى عينيك. اذهبى نامى، الفجر طلع.. سيبدأ الصباح.. لو كان مسموحا لى بأن أقدم حياتى فداءك!

ماشا: نيكولاى لفوفيتش اخرج! كفى حقا..

توزنباخ: أنا خارج.. (**يخرج**)

ماشا: (**ترقد**) أنت نائم يافيودور؟

كوليجين: هـه؟

ماشا: هلا عدت إلى البيت.

كوليجين: ماشا يا عزيزتى، ماشا يا حبيبتى..

إيرينا: إنها متعبة. دعها تستريح يا فيودور.

كوليجين: سأذهب حالا.. زوجتى طيبة، رائعة.. أحبك يا حبى الوحيد..

ماشا: (بغضب) Amo, amas amat, amamus, amatis,[1] amant

كوليجين: (يضحك) حقا، إنها مدهشة. تزوجتك منذ سبع سنين، بينما يخيل لى أننى تزوجتك بالأمس فقط أقسم بشرفى. حقا أنت امرأة مدهشة. أنا مبسوط، أنا مبسوط، أنا مبسوط!

ماشا: سئمت، سئمت، سئمت.. (تنهض وتتحدث جالسة) لا أستطيع أن أبعده عن تفكيرى.. شىء يثير السخط. كالمسمار فى رأسى، لا أستطيع أن أسكت. أنا أقصد أندريه.. رهن البيت فى البنك، واستولت زوجته على المبلغ كله، ولكن البيت ليس ملكه وحده، بل ملكنا الأربعة! عليه أن يعرف هذا، إذا كان رجلا شريفا.

كوليجين: دعيك من ذلك يا ماشا! ما حاجتك إليه؟ أندريوشا مدين للجميع، ليكن، له الله.

ماشا: هذا مثير للسخط على أى حال. (ترقد)

كوليجين: نحن لسنا فقراء. أنا أعمل، أذهب إلى المدرسة ثم أعطى دروسا.. أنا رجل شريف. بسيط.. Omnia mea[2] mecum porto كما يقال.

ماشا: لست بحاجة إلى شىء، ولكن الظلم يثيرنى.

---

(١) أحب، تحب، يحب، نحب، تحبون، يحبون. (باللاتينية فى الأصل).
(٢) كل ما أملكه أحمله معى. (باللاتينية فى الأصل).

(**صمت**)

اذهب يا فيودور.

كــولــيــجــين: (**يقبلها**) أنت متعبة، استريحى نصف ساعة، وسأجلس أنا هناك، سأنتظرك. نامى.. (**يمضى**) أنا مبسوط. أنا مبسوط، أنا مبسوط. (**يخرج**)

إيــــريــــنــــا: حقا، إلى أى حد تدهور أخونا أندريه، كم ذبل وهرم بجوار هذه المرأة! فى وقت ما كان يستعد لأن يصبح أستاذا، وبالأمس تباهى بأنه أصبح، أخيرا، عضوا بالمجلس المحلى. هو عضو المجلس وبروتوبوبوف رئيسه.. المدينة كلها تتحدث وتسخر، وهو الوحيد الذى لا يعرف ولا يرى شيئا.. وها قد أسرع الجميع إلى الحريق، أما هو فيجلس فى غرفته ولا يبالى بشىء.. فقط يعزف على الكمان. (**بعصبية**) أوه، فظاعة، فظاعة! (**تبكى**) أنا لا أستطيع، لا أستطيع أن أحتمل أكثر!.. لا أستطيع، لا أستطيع!

(**تدخل أولجا، تنظف المكان بجوار طاولتها**)

(**تنتحب بصوت عال**) دعونى، دعونى! لم أعد أحتمل!

أولجــــــــا: (**فزعة**) ماذا، ماذا بك؟ يا عزيزتى!

إيــــريــــنــــا: (**تنتحب**) أين؟ أين؟ اين اختفى كل شىء؟ أين هو؟ يا إلهى، يا إلهى! أنا نسيت، نسيت كل شىء.. اختلط فى

ذهنى كل شىء.. لا أذكر كيف تكون نافذة بالإيطالية، أو سقف.. أنسى كل شىء، كل يوم أنسى، بينما الحياة تنقضى ولن تعود أبدا، أبدا، لن نرحل إلى موسكو أبدا.. أنا أرى أننا لن نرحل..

أولجـــــا: يا عزيزتى، يا عزيزتى..

إيـــريـــنـــا: **(تكتم انفعالها)** أوه، كم أنا تعيسة.. لا أستطيع أن أعمل، لن أعمل. كفى، كفى! كنت أعمل فى التليغراف، والآن فى إدارة المدينة، وأكره، أحتقر كل عمل يكلفوننى به.. أنا فى الرابعة والعشرين، وأعمل من زمن طويل، وعقلى جفَّ، وأنا نحفت، وقبحت، وهرمت، ولا شىء، لا شىء، لا متعة على الإطلاق، بينما الزمن يمضى، ويخيل إلى طوال الوقت أننى أبتعد عن الحياة الحقيقية الرائعة، أبتعد أكثر فأكثر، نحو هاوية ما. أنا يئست، يئست، يئست! وكيف لا أزال حية، كيف لم أقتل نفسى إلى الآن، لست أفهم..

أولجـــــا: لا تبكى يا صغيرتى، لاتبكى.. إننى أتعذب.

إيـــريـــنـــا: أنا لا أبكى، لا أبكى.. كفى.. هكذا، انظرى، أنا لا أبكى. كفى.. كفى!

أولجـــــا: يا عزيزتى، أقول لك كأخت، كصديقة، إذا أردت نصيحتى تزوجى البارون!

(إيرينا تبكى بصوت خافت)

إنك تحترمينه، وتقدرينه كثيرا.. صحيح أنه غير جميل، ولكنه مستقيم، طاهر.. الفتيات لا يتزوجن بدافع الحب، بل فقط أداء للواجب. أنا على الأقل أفكر هكذا، وسأتزوج دون حب لو عُرِض عليَّ. أيا كان الخاطب، سيان، سأتزوجه، المهم أن يكون إنسانا مستقيما. بل حتى لو كان عجوزا..

إيـــريــــنـــــا: كنت طوال الوقت أنتظر أن ننتقل إلى موسكو، وهناك سألقى فارس أحلامى الحقيقى، الذى كنت أحبه.. ولكن ظهر أن كل شىء هراء، هراء..

أولجــــــــــا: **(تضم شقيقتها)** يا حبيبتى، يا شقيقتى الرائعة، أنا أفهم جيدا. عندما ترك البارون نيكولاى لفوفيتش الخدمة العسكرية وجاء إلينا فى سترة، بدا لى قبيحا إلى درجة، حتى إننى بكيت.. وسألنى: «ماذا يبكيك؟» فكيف أجيبه! ولكن لو قدر له الله أن يتزوجك، لكنت سعيدة. المسألة هنا مختلفة، مختلفة تماما.

(نتاشا تمر عبر الخشبة فى صمت من الباب الأيمن إلى الأيسر، حاملة شمعة)

مـــــاشـــــا: **(تجلس)** إنها تسير هكذا وكأنها هى التى أشعلت الحريق.

أولجــــــــــا: أنت غبية يا ماشا. أنت أغبى شخص فى عائلتنا. اعذرينى من فضلك.

(صمت)

مـــــاشــــــا: أريد يا شقيقتيَّ العزيزتين أن أعترف بذنبى. روحى تتعذب. سأعترف لكما ولن أبوح لغيركما، أبدا.. لحظة واحدة، سأقول. (**بصوت خافت**) إنه سرى أنا، ولكن ينبغى أن تعرفا كل شىء.. لا أستطيع السكوت..

(صمت)

أنا أحبه، أحبه.. أحب هذا الرجل.. لقد رأيتماه لتوكما.. فليكن إذن. باختصار، أحب فيرشينين..

أولجـــــــــــا: (**تذهب إلى فراشها وراء الستار**) دعيك من ذلك. سيان، أنا لا أسمع.

مـــــاشــــــا: وما العمل! (**تمسك رأسها بيديها**) بدا لى أولا أنه غريب، ثم أحببته.. أحببته بصوته، بكلماته، ببلاياه، بابنتيه..

أولجـــــــــــا: (**من وراء الستار**) سيان، أنا لا أسمع. مهما قلت من حماقات، فإنى لا أسمعها.

مـــــاشــــــا: أوه، أنت غريبة يا أوليا. أحبه، إذن فهو قدرى. هكذا، إذن، نصيبى.. وهو يحبنى.. هذا كله مرعب. نعم؟ عيب هذا؟ (**تشد إيرينا من ذراعها وتضمها إليها**) أوه يا عزيزتى.. كيف ستمضى حياتنا، ترى إلام مصيرنا.. عندما تقرئين رواية ما يبدو لك ذلك كله قديما وجد مفهوم، وما إن تحبين بنفسك حتى ترين أنه لا أحد يعرف شيئا، وعلى كل واحد أن يقرر بنفسه.. يا شقيقتيَّ العزيزتين.. ها قد

اعترفت لكما، والآن سأصمت.. سأصبح الآن مثل مجنون جوجول.. صمتا.. صمتا[1]..

(يدخل أندريه، وخلفه فيرابونت)

أنـــــدريـــــه: **(بغضب)** ماذا تريد؟ أنا لا أفهم.

فـيرابـونـت: **(فى الباب، بفروغ صبر)** قلت يا أندريه سرجييش عشر مرات .

أنـــــدريـــــه: أولا أنا بالنسبة لك لست أندريه سرجييتش، بل صاحب السعادة!

فـيرابـونـت: رجال الإطفاء يا صاحب السعادة يرجون السماح لهم بالمرور من البستان للوصول إلى النهر. لأنهم يدورون يدورون حول المكان، تعذبوا تماما!

أنـــــدريـــــه: طيب. قل لهم طيب.

(فيرابونت يخرج)

أضجرونى. أين أولجا؟

(أولجا تظهر من خلف الستار)

جئت أطلب منك مفتاح الدولاب، لقد فقدت مفتاحى. لديك مفتاح صغير.

(أولجا تناوله المفتاح فى صمت. إيرينا تذهب إلى سريرها وراء الستار. صمت)

---

(١) الإشارة إلى قصة جوجول «مذكرات مجنون» حيث تتردد عبارة: «لا بأس، لا بأس.. صمتا». المعرب.

يا له من حريق ضخم! الآن بدأ يهدأ. ياللشيطان، غاظنى فيرابونت هذا فقلت له شيئا أحمق.. صاحب السعادة..

(صمت)

مالك صامته يا أوليا؟

(صمت)

آن الأوان لأن تتركى عنك هذه الحماقات ولا تغضبى هكذا، بلا سبب.. أنت هنا يا ماشا، وإيرينا هنا، هذا رائع، فلنتصارح، مرة وإلى الأبد. ما الذى تأخذنه علىَّ؟ ماذا؟

أولجـــــــــا: دعك من هذا يا أندريوشا. غدا نتصارح. **(بقلق)** يا لها من ليلة مضنية!

أنـــــدريــــه: **(مرتبك للغاية)** اطمئنى. إننى أسألكن بكل برود أعصاب: ما الذى تأخذنه علىَّ؟ تكلمن بصراحة.

(صوت فيرشينين: «ترام.. تم.. تم!»)

مـــــاشــــا: **(تنهض، بصوت عال)** ترا.. تا.. تا! **(لأولجا)** وداعا يا أوليا، فى رعاية الله. **(تمضى إلى ماوراء الستار وتقبل إيرينا)** نامى مطمئنة.. وداعا يا أندريه. اذهب، إنهما متعبتان.. غدا نتصارح.. **(تنصرف)**

أولجـــــــــا: حقا يا أندريوشا، لنؤجله إلى الغد.. **(تذهب إلى ركنها وراء الستار)** آن أن ننام.

أنـــــدريــــــه: سأقول كلمتين وأنصرف. حالا.. أولا: أنتن تأخذن شيئا ما على نتاشا، زوجتى، وأنا ألاحظ ذلك منذ يوم الزفاف. لو أردتن أن تعرفن رأيي إن نتاشا إنسانة رائعة، شريفة، صريحة ونبيلة. هذا هو رأيي. إننى أحب زوجتى وأحترمها، أتفهمن، أحترمها، وأطالب الآخرين أيضا باحترامها. أكرر، إنها إنسانة شريفة، نبيلة، وكل ما تبدينه من عدم رضى، فاعذرننى، هذا نزق..

(صمت)

وثانيا: يبدو وكأنكن غاضبات لأنى لم أصبح أستاذا، ولا أشتغل بالعلم. ولكنى أعمل فى المجلس المحلى، وأنا عضو إدارة، وأعتبر عملى هذا خدمة مقدسة وجليلة كخدمة العلم. إننى عضو إدارة المجلس المحلى، وأفخر بذلك، إذا أردتن أن تعرفن..

(صمت)

وثالثا.. مازالت معى الكمة. لقد رهنت البيت دون أن أستأذنكن.. أنا مخطئ فى ذلك، نعم، وأرجو المعذرة. دفعتنى إلى ذلك الديون.. خمسة وثلاثون ألفا.. أنا لم أعد ألعب القمار، من زمان، ولكن أهم ما أستطيع أن أقوله تبريرا لموقفى هو أنكن، الفتيات، تحصلن على معاش، أما أنا فلم يكن عندى.. دخل، كما يقال..

(صمت)

كــولــيــجــين: (فى الباب) أليست ماشا هنا؟ (بقلق) أين هى إذن؟ هذا غريب.. (ينصرف)

أنـــــدريــــــه: لا يسمعوننى. نتاشا إنسانة رائعة، شريفة **(يذرع خشبة المسرح فى صمت، ثم يتوقف)** عندما تزوجت، ظننت أننا سنكون سعداء.. الكل سعداء.. ولكن يا إلهى.. **(يبكى)** يا شقيقاتى العزيزات، يا شقيقاتى الغاليات، لا تصدقننى، لا تصدقن.. **(يخرج)**

كـولـيــجــين: **(فى الباب، بقلق)** أين ماشا؟ أليست ماشا هنا؟ شىء عجيب. **(يخرج)**

(الناقوس يدق الخشبة خاوية)

إيـــريـــنـــــا: **(خلف الستار)** أوليا، من الذى يدق عل الأرضية؟

أوجلـــــــــــا: الدكتور إيفان رومانيتش. إنه سكران.

إيـــريـــنـــــا: يا لها من ليلة مزعجة!

(صمت)

أوليا! **(تطل من وراء الستار)** هل سمعت؟ اللواء سيأخذونه منا، ينقلونه إلى مكان بعيد.

أوجلـــــــــــا: هذه مجرد إشاعات.

إيـــريـــنـــــا: سنبقى وحدنا عندئذ.. أوليا!

أوجلـــــــــــا: ماذا؟

إيـــريـــنـــــا: يا عزيزتى، يا حبيبتى، إننى أحترم البارون، وأقدره، إنه شخص رائع، سأتزوجه، موافقة، لكن لنرحل إلى موسكو! أتوسل إليك، لنرحل! ليس فى الدنيا أفضل من موسكو! لنرحل يا أوليا، لنرحل!

(ســتار)

الفصل الرابع

(بستان قديم ملحق بمنزل آل بروزوروف. ممر طويل من أشجار الشوح، يرى فى نهايته نهر. فى الضفة الأخرى من النهر غابة. إلى اليمين شرفة المنزل. هنا، على طاولة، زجاجات وأكواب. من الواضح أن الحاضرين قد شربوا شمبانيا لتوهم. الساعة الثانية عشرة ظهرًا. من الشارع يمر بعض المارة إلى النهر عبر البستان من حين لآخر. يمر بسرعة حوالى خمسة جنود. تشيبوتيكين فى مزاج منشرح لا يفارقه طوال هذا الفصل، يجلس فى مقعد فى البستان منتظرًا إلى حين يدعونه. يرتدى عمرة ويمسك بعصا. إيرينا، وكوليجين بوسام قلادة فى عنقه، بلا شوارب؛ وتوزنباخ، يقفون فى الشرفة ويودعون فيدوتيك ورودى اللذين يهبطان. الضابطان فى زى السفر).

توزنباخ: **(يتبادل القبلات مع فيدوتيك)** أنت طيب، كم عشنا فى وفاق. **(يتبادل القبلات مع رودى)** ثانية.. وداعا يا عزيزى!

إيرينا: إلى اللقاء!

فيدوتيك: ليس إلى اللقاء بل وداعا، لن نتقابل بعد أبدا!

كـولـيـجـيـن: من يدرى! (**يمسح عينيه، يبتسم**) ها أنذا قد بكيت.

إيـــريـــنــــا: سنلتقى يوما ما.

فـيـدوتـيـك: بعد عشر أو خمس عشرة سنة؟ ولكننا حينذاك لن نعرف بعضنا فى الغالب، وسنتبادل التحية ببرود.. (**يلتقط صورة**) قفوا.. مرة ثانية، لآخر مرة.

رودى: (**يضم توزنباخ**) لن نلتقى بعد.. (**يقبل يد إيرينا**) شكرا على كل شىء، على كل شىء!

فـيـدوتـيـك: (**بأسى**) انتظر!

تـوزنـبـاخ: إن شاء الله نلتقى. اكتبا لنا. اكتبا ضرورى.

رودى: (**يلقى نظرة على البستان**) وداعا يا أشجار!

(**يصيح**) هوب.. هوب!

(**صمت**)

وداعا يا صدى!

كـولـيـجـيـن: احذرا أن تتزوجا فى بولندا.. الزوجة البولندية ستعانقك وتقول «كوخانى»[1]! (**يضحك**)

فـيـدوتـيـك: (**ينظر إلى الساعة**) بقى أقل من ساعة. من بطاريتنا لن يستقل الصندل سوى سوليونى، أما نحن فسنذهب مع وحدة الطابور. سترحل اليوم ثلاث بطاريات فوجا، وغدا ثلاث أخرى، ثم يحل فى المدينة الهدوء والسكينة.

---

(١) حبيبى (بالبولونية).

تـــوزنـــبـــاخ: والملل الرهيب.

رودى: وأين ماريا سرجييفنا؟

كـولـيـجـيـن: ماشا فى البستان.

فـيـدوتـيـك: ينبغى أن نودعها.

رودى: وداعا، ينبغى أن أذهب وإلا بكيت.. (**يعانق بسرعة توزنباخ وكوليجين، يقبل يد إيرينا**) قضينا هنا فترة رائعة..

فـيـدوتـيـك: (**لكوليجين**) هذا لك، للذكرى.. مفكرة بقلم.. سنذهب من هنا إلى النهر..

(**يبتعدان، يتلفتان**)

رودى: (**يصيح**) هوب.. هوب!

كـولـيـجـيـن: (**يصيح**) وداعا!

(**فى عمق المسرح يلتقى فيدوتيك ورودى بماشا ويودعانها. تنصرف معهما**).

إيـــريـــنـــا: ذهبا.. (**تجلس على أسفل درجات الشرفة**)

تشيبـــوتيكين: نسيا أن يودعانى.

إيـــريـــنـــا: وأنت، لماذا سكت؟

تشيبـــوتيكين: أنا أيضًا نسيت. على أى حال سأراهما قريبًا. غدا أرحل. نعم.. بقى لدىَّ يوم آخر. بعد عام سأحال إلى التقاعد، عندئذ سآتى إلى هنا ثانية، وأقضى بقية عمرى بجواركم.. لم يبق لى حتى المعاش سوى سنة واحدة..

(**يضع الصحيفة فى جيبه، ويخرج أخرى**) سآتى إليكم هنا فأغير حياتى تغييرا جذريًا. سأصبح وديعا.. مسالما؛ مستقيما..

إيــــريــــنـــــا: أنت بحاجة إلى تغيير حياتك يا عزيزى. بطريقة ما.

تشيبــــوتيكين: نعم. أشعر. (يغنى بصوت خافت) ترا.. را.. بومبيا.. أنتِ يا حلوة يا..

كــولــيــجــيــن: إيفان رومانيتش لا يمكن إصلاحه! لا يمكن!

تشيبــــوتيكين: لو أتعلم على يديك. إذن لأمكن إصلاحى.

إيــــريــــنـــــا: فيودور حلق شنبه. لا أطيق رؤيته!

كــولــجــيــن: وماذا؟

تشيبــــوتيكين: كان بودى أن أقول لك ماذا تشبه سحنتك الآن، لكنى لا أستطيع.

كــولــيــجــيــن: فليكن! هذا متبع. هذا modus vivendi [1] المدير عندنا بلا شنب، وأنا أيضًا، ما إن أصبحت مفتشًا حتى حلقته. أنا مبسوط. بشنب أم بلا شنب فأنا مبسوط بنفس الدرجة.. (**يجلس**)

(**فى عمق المسرح أندريه يدفع عربة بها طفل نائم**)

إيــــريــــنـــــا: إيفان رومانيتش، يا عزيزى،أيها الحبيب، أنا قلقة للغاية. أنت كنت بالأمس فى المنتزه، خبرنى، ماذا حدث هناك؟

---

(١) نمط الحياة المتبع (باللاتينية فى الأصل).

تشيبــــوتيكين: ماذا حدث؟ لا شىء. شىء تافه. **(يقرأ الجريدة)** سيان!

كــولــيــجــيــن: كما يقولون، فقد التقى سوليونى والبارون أمس فى المنتزه قرب المسرح..

تــوزنــبــاخ: كفاك! حقا، ما هذا.. **(يشيح بيده ويدخل إلى البيت)**

كــولــيــجــيــن: قرب المسرح.. وأخذ سوليونى يتحرش بالبارون، فلم يطق البارون صبرا وقال له شيئًا مهينا..

تشيبــــوتيكين: لا أدرى. هراء كل هذا.

كــولــيــجــيــن: يقال إن سوليونى يعشق إيرينا وإنه أصبح يمقت البارون.. هذا مفهوم. إيرينا فتاة رائعة. إنها حتى تشبه ماشا، ومثلها متروية. لكن طبعك يا إيرينا ألطف. رغم أن طبع ماشا، عموما، هو أيضًا جيد جدا، أنا أحبها، ماشا.

(فى عمق البستان خلف المسرح تتردد: «أو! أو! هوب.. هوب!»)

إيـــريـــنـــا: **(تنتفض)** طوال اليوم يفزعوننى.

(صمت)

جهزت كل شىء، بعد الغداء أرسل حاجياتى. سنعقد قراننا أنا والبارون غدا، وغدا أيضًا نرحل إلى مصنع الطوب، وبعد غد أكون فى المدرسة، ستبدأ حياة جديدة. فكيف ستكون؟ عندما أديت امتحان المدرسات بكيت من الفرحة، من التأثر..

(صمت)

ستأتى الآن عربة لنقل الحاجيات..

كوليجين: هذا كله صحيح، ولكن لا يبدو جادا. مجرد أفكار، والجدى فيه قليل. وعموما، أتمنى لك من صميم قلبى.

تشيبوتيكين: (بتأثر) يا رائعتى، يا حلوة.. يا غاليتى.. ابتعدت كثيرًا، من الصعب اللحاق بك. تخلفت أنا، مثل طير مهاجر أدركته الشيخوخة، فلا يقوى على الطيران. طيروا يا أحبائى، طيروا فى رعاية الله!

(صمت)

عبثًا حلقت شنبك يا فيودور إيليتش.

كولجين: كفاك! (يتنهد) اليوم سيرحل العسكريون، ويعود كل شىء إلى سابق العهد. ومهما قيل، فإن ماشا امرأة طيبة، شريفة، وأنا أحبها جدا، وأشكر قدرى. الأقدار تختلف لدى الناس.. يعمل هنا فى الضرائب شخص يدعى كوظيريف. كان يدرس معى، وفصلوه من الصف الخامس فى المدرسة لأنه لم يستطع أبدا أن يفهم ut consecutivum [1]. وهو الآن يعيش فى فقر فظيع، ومريض، وعندما أقابله أقول له: «مرحبا يا ut consecutivum فيقول: نعم، فعلا consecutivum.. ويسعل. أما أنا فالحظ يحالفنى طول حياتى، أنا سعيد،

---

(١) إحدى قواعد تركيب الجملة فى اللغة اللاتينية. المعرب.

بل حتى لدىّ وسام ستانسلاف من الطبقة الثانية، وأنا نفسى أدرس الآن للآخرين هذه الـ ut consecutivum. طبعا أنا رجل ذكى، أذكى من كثيرين، ولكن السعادة ليست فى هذا..

(فى المنزل يعزفون على البيانو لحن «صلاة العذراء»[1])

إيـــريـــنـــا: فى مساء الغد لن أسمع «صلاة العذراء» هذه، ولن التقى مع بروتوبوبوف..

(صمت. بروتوبوبوف جالس هناك فى غرفة الجلوس. واليوم أيضًا جاء..)

كـولـيـجـيـن: ألم تأت الرئيسة بعد؟

(فى عمق المسرح تمر ماشا بهدوء، تتجول)

إيـــريـــنـــا: كلا. أرسلنا فى طلبها. آه لو تدرى كم تصعب علىَّ الحياة هنا وحدى، بدون أوليا.. إنها تعيش فى المدرسة. إنها رئيسة، طول النهار مشغولة بالعمل، أما أنا فوحدى، أشعر بالملل، ولا عمل عندى، وأمقت الغرفة التى أحيا فيها.. لقد قررت لنفسى: إذا لم يقدر لى أن أنتقل إلى موسكو، فليكن. إذن تلك مشيئة القدر. ما باليد حيلة.. كل شىء بإرادة الله، هذا صحيح. نيكولاى لفوفيتش طلب يدى..

---

(١) معزوفة للموسيقارة البولندية بدارجيفسكايا ـ برانوفسكايا (١٨٣٨ـ١٨٦٢). المعرب.

حسنا. فكرت وقبلت. إنه إنسان طيب. طيب، إلى درجة مدهشة.. فكأنما نبت لروحى جناحان فجأة، داخلنى المرح، وأحسست بخفة، فعاودتنى الرغبة فى أن أعمل، وأعمل.. لكن بالأمس حدث شىء ما، سرّ ما قد خيّم علّى..

تشيبوتيكين: هراء..

نتاشا: **(فى النافذة)** الرئيسة!

كوليجين: الرئيسة وصلت. هيا بنا.

(يدخل البيت مع إيرينا)

تشيبوتيكين: **(يقرأ الصحيفة، ويدندن بصوت خافت)** ترا.. را.. بومبيا.. أنتِ يا حلوة يا..

(ماشا تقترب، فى العمق أندريه يدفع عربة أطفال)

ماشا: جالس هنا، مرتاح..

تشيبوتيكين: وماذا؟

ماشا: **(تجلس)** لا شىء..

(صمت)

هل كنت تحب أمى؟

تشيبوتيكين: جدا.

ماشا: وهى، كانت تحبك؟

تشيبوتيكين: **(بعد صمت)** لم أعد أذكر.

مـــــاشـــــا: رجلى هنا؟ كانت طاهيتنا مارفا تتحدث عن زوجها الشرطى هكذا: رجلى.. رجلى هنا؟

تشيبــــوتيكين: كلا بعد.

مـــــاشـــــا: عندما تأخذ السعادة خطفا، قطعة قطعة، ثم بعد ذلك تفقدها، مثلى، تجد نفسك شيئا فشيئا قد أصبحت فظا، حقودا **(تشير إلى صدرها)** هنا يغلى.. **(تنظر إلى شقيقها أندريه الذى يدفع عربة الأطفال)** ها هو أندريه، شقيقنا.. ها هى الآمال الخائبة. آلاف الناس رفعوا الناقوس، وأنفق عليه من الجهد والمال الكثير، وإذا به يسقط فجأة ويتحطم. فجأة، بلا أى مقدمات. هكذا أندريه..

أنــــدريــــه: متى يهدأون أخيرا فى هذا البيت. يا للضجة.

تشيبــــوتيكين: قريبا. **(ينظر إلى ساعته ثم يملؤها. الساعة تدق)** ساعتى عتيقة، برنين.. البطارية الأولى والثانية والخامسة سترحل فى الواحدة تماما.

(صمت)

وأنا غدا.

أنــــدريــــه: نهائيا؟

تشيبــــوتيكين: لا أدرى. ربما أعود بعد عام. ولكن، الشيطان يعلم.. سيان..

(يسمع عزف على القيثار والكمان آت من بعيد)

أنــــدريــــه: ستصفر المدينة. كأنما سيضعون فى أذنيها سدادة.

(صمت)

حدث شيء ما أمس بجوار المسرح. الجميع يتحدثون عنه، وأنا لا أعرف.

تشيبوتيكين: لا شيء. حماقات.. سوليونى أخذ يتحرش بالبارون، فأحقد هذا عليه وأهانه، وانتهى الأمر بأن اضطر سوليونى أن يدعوه للمبارزة. (**ينظر إلى ساعته**) أعتقد حان الوقت.. فى الثانية عشرة والنصف، فى الغابة الأميرية، فى تلك التى ترى من هنا وراء النهر.. طيخ.. طاخ (**يضحك**) سوليونى يظن نفسه ليرمنتوف، بل ويكتب أشعارا. ولكن بعيدا عن المزاح، هذه هى المبارزة الثالثة له.

ماشا: لمن؟

تشيبوتيكين: لسوليونى.

ماشا: والبارون؟

تشيبوتيكين: ما له البارون؟

(صمت)

ماشا: كل شيء اختلط فى رأسى.. ومع ذلك لا يجوز السماح لهما. فهو قد يجرح البارون، أو حتى قد يقتله.

تشيبوتيكين: البارون إنسان طيب، ولكن بارونا أكثر أو بارونا أقل، أليس سيان؟ ليكن! سيان!

(**فى البستان صيحة: «آو! هوب.. هوب!»**)

مهلاً. إنه سكفورتسوف يصيح، الشاهد. جالس فى القارب.

(صمت)

أنـــدريـــه:: أعتقد أن المشاركة فى المبارزة وحضورها، حتى ولو كطبيب، عمل لا أخلاقى.

تشيبـــوتيكين: هذا يبدو فقط.. لا شىء فى الدنيا، نحن غير موجودين، بل يبدو فقط أننا موجودون.. ثم أليس سيان!

مـــاشـــا: هكذا طوال النهار يتحدثون، يتحدثون.. **(تسير)** نعيش فى جو لا تدرى فيه إلا والثلج يهطل فجأة، ثم إذا بهذه الأحاديث.. **(تتوقف عن السير)** لن أدخل المنزل، لا أستطيع دخوله.. عندما يحضر فيرشينين أخبرونى.. **(تسير فى الممر)** الطيور المهاجرة بدأت ترحل.. **(تنظر إلى أعلى)** بجع أو أوز.. أيتها العزيزات.. حبيباتى السعيدات..

(يخرج)

أنـــدريـــه: سيخلو بيتنا. سيرحل الضباط، وسترحل أنت، شقيقتى ستتزوج، وسأبقى وحدى فى المنزل.

تشيبـــوتيكين: وزوجتك؟

(فيرابونت يدخل بأوراق)

أنـــدريـــه: الزوجة هى الزوجة. إنها مستقيمة، شريفة ولنقل طيبة، ومع ذلك ففيها شىء يحط منها إلى مستوى حيوان تافه،

أعمى، خشن الملمس. إنها على أى حال ليست إنسانا. أقول لك هذا باعتبارك صديقى، الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أفتح له قلبى. أنا أحب نتاشا، هذا صحيح، ولكنها تبدو لى أحيانا مبتذلة إلى درجة مذهلة، وعندئذ أرتبك، ولا أفهم لماذا وعلام أحبها هكذا، أو على الأقل، كنت أحبها..

تشيبوتيكين: (**ينهض**) إننى مسافر غدا يا أخى، وربما لن نلتقى بعد أبدا، فإليك نصيحتى إذن. اسمع. البس القبعة، وخذ العصا فى يدك وارحل.. ارحل وامش، امش ولا تلتفت. وكلما ابتعدت كان هذا أفضل.

(سوليونى يمر فى عمق المسرح مع ضابطين. يرى تشيبوتيكين فيتجه إليه. الضابطان يواصلان سيرهما).

سوليونى: يا دكتور، حان الوقت! الساعة منتصف الواحدة (**يحيى أندريه**)

تشيبوتيكين: حالا. أضجرتمونى. جميعًا. (**لأندريه**) لو سأل عنى أحد يا أندريوشا، فقل إننى حالا.. (**يتنهد**) أوه، أوه!

سوليونى: من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه. (**يسير معه**) ما لك تزحر أيها العجوز؟

تشيبوتيكين: كفى!

سوليونى: كيف الصحة؟

تشيبـــوتيكين: (**بغضب**) مثل المرأة القبيحة.

سـولـيـونـى: عبثا يقلق العجوز. لن أسمح لنفسى إلا بالقليل، فقط سأرديه كدجاجة برية. (**يخرج قارورة عطر ويسكب منها على يديه**) سكبت اليوم قارورة، ومع ذلك ما زالت رائحتها تفوح. من يدى تفوح رائحة جثة.

(**صمت**)

هكذا.. أتذكر هذه القصيدة؟ مضطربا يروم عاصفة، كما لو أن فى العواصف الهدوء..

تشيبـــوتيكين: نعم. من قبل أن يفتح فاه دهشة هاجمه الدب ونهشه.

(**يخرج مع سوليونى**)

(**تسمع صيحات: «هوب.. هوب! آو». يدخل أندريه وفيرابونت**)

فـيـرابـونـت: ألا توقعون الأوراق..

أنـــدريــــه: (**بعصبية**) ابتعد عنى! ابتعد! أرجوك! (**يخرج دافعا عربة الأطفال**)

فـيـرابـونـت: ولكن الأوراق وجدت لكى يوقعوا عليها (**يمضى إلى عمق المسرح**)

(**تدخل إيرينا وتوزنباخ فى قبعة من القش، كوليجين يمر عبر المسرح صائحا: «يا ماشا! آو!»**)

تـــوزنـــبـــاخ: أظن أن هذا هو الشخص الوحيد فى المدينة الذى يسره رحيل العسكريين.

إيـــريـــنــــا: هذا مفهوم.

(**صمت**)

ستخلو مدينتنا الآن.

تـــوزنـــبـــاخ: يا عزيزتى، سأعود حالا.

إيـــريـــنـــا: إلى أين؟

تـــوزنـــبـــاخ: عندى مشوار فى المدينة ثم.. سأودع الزملاء.

إيـــريـــنـــا: ليس صحيحا.. نيكولاى، لماذا أنت شارد الذهن اليوم؟

(صمت)

ماذا حدث أمس عند المسرح؟

تـــوزنـــبـــاخ: **(بحركة متعجلة)** بعد ساعة سأعود، وسأكون ثانية بجوارك. **(يقبل يديها)** يا رائعتى.. **(يتفرس فى وجهها)** خمس سنوات وأنا أحبك ولكنى لا أستطيع أن أتعود، وتبدين لى أروع فأروع. يا لهـذا الشعر السـاحر البديع! يا للعينين! سأحملك غدا من هنا، وسوف نعمل، سنكون أغنياء، وتتحقق أحلامى. ستكونين سعيدة. شىء واحد فقط، شىء واحد: أنت لا تحبيننى!

إيـــريـــنـــا: لا سلطان لى على قلبى! سأكون زوجتك الوفية، المطيعة، ولكن بلا حب، ما العمل! **(تبكى)** أنا لم أحب فى حياتى ولا مرة. أوه، كم كنت أحلم بالحب، أحلم من زمان، أياما وليالى، ولكن روحى كمعزف ثمين مغلق ومفتاحه فقد.

(صمت)

نظراتك قلقة.

توزنباخ: أنا لم أنم طول الليل. ليس فى حياتى أى شىء رهيب يمكن أن يخيفنى، فقط هذا المفتاح المفقود هو الذى يمزق روحى ويؤرقنى. قولى لى شيئًا ما.
(صمت)
قولى لى شيئًا ما..

إيرينا: ماذا؟ ماذا أقول؟ كل ما حولنا غامض، الأشجار القديمة تقف صامتةً.. **(تضع رأسها على صدره).**

توزنباخ: قولى لى شيئًا ما.

إيرينا: ماذا؟ ماذا أقول؟ ماذا؟

توزنباخ: أى شىء

إيرينا: كفى! كفى!

(صمت)

توزنباخ: يا لها من أشياء تافهه، يا لها من تفاصيل حمقاء تكتسب أحيانا أهمية فى الحياة، فجأة بلا سبب. وتسخر منها كسابق العهد، وتعتبرها تافهة، ومع ذلك تسير وتشعر أنه لا قدرة لك على التوقف. أوه، لن نتحدث عن هذا! إننى أشعر بالمرح. كأنما لأول مرة فى حياتى أرى أشجار الشوح والقيقب والبتولا هذه، وكل شىء ينظر إلىَّ بفضول وينتظر. يا لها من أشجار جميلة، وأى حياة جميلة، فى الحقيقة، ينبغى أن تكون حولها!
(صيحة: «آو! هوب.. هوب»)
ينبغى أن أذهب، حان الوقت.. هذه شجرة جفت، ومع

ذلك فهى تتمايل فى الريح مع الأخريات. وكذلك يبدو لى، أننى حتى لو مت، فسوف أظل أشارك فى الحياة بشكل أو بآخر. وداعا يا حبيبتى.. (**يقبل يديها**). أوراقك التى أعطيتنيها موجودة على مكتبى، تحت التقويم.

إيـــريـــنــــا: سأذهب معك.

تـــوزنـــبــــاخ: (**بقلق**) كلا! كلا! (**يذهب بسرعة، يتوقف فى الممر**) إيرينا!

إيـــريـــنــــا: ماذا؟

تـــوزنـــبــــاخ: (**لا يدرى ماذا يقول**) أنا لم أشرب القهوة اليوم. قولى لهم أن يعدوها.. (**يخرج بسرعة**).

(**إيرينا تقف مستغرقة فى التفكير، ثم تذهب إلى عمق المسرح وتجلس فى الأرجوحة. يدخل أندريه بعربة الأطفال. يظهر فيرابونت**).

فـيـرابــونــت: أندريه سرجييتش، هذه ليست أوراقى، إنها أوراق حكومية. أنا لم أخترعها.

أنـــدريـــــه: أوه، أين ماضىّ، إلى أين ذهب، عندما كنت شابا، مرحا، ذكيا، عندما كانت أحلامى وأفكارى جميلة، عندما كان الأمل يضىء حاضرى ومستقبلى؟ وما السبب فى أننا، ما إن نبدأ الحياة، حتى نصبح مملين، باهتين، غير ممتعين، كسولين لا مبالين، بلا فائدة، تعساء.. مدينتنا تقوم منذ مائتى سنة، وفيها مائة ألف شخص، ولا أحد

منهم إلا ويشبه الآخرين، ولا متحمس واحد، لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولا عالم واحد، ولا مصور واحد، ولا شخصية شهيرة ولو قليلا يمكن أن تثير الحسد أو الرغبة الجارفة فى الاقتداء بها. فقط يأكلون، ويشربون، وينامون، ثم يموتون.. ويولد آخرون، وأيضًا يأكلون، ويشربون، وينامون، ولكى لا يتبلدوا من الملل ينوعون حياتهم بالأقاويل الدنيئة، وبالفودكا والقماروالمشاكسات، والزوجات يخنّ أزواجهن، والأزواج يكذبون، ويتظاهرون بأنهم لا يرون شيئًا ولا يسمعون شيئًا، والتأثير الوضيع الطاغى يقهر الأطفال، ويطفئ فيهم الشرارة الإلهية، فيصبحون أمواتا بؤساء يشبهون بعضهم بعضا، مثل آبائهم وأمهاتهم... **(لفيرابونت بجفاء)** ماذا تريد؟

فيرابونت: هه؟ توقيع الأوراق.

أندريه: كم أضجرتنى.

فيرابونت: **(مقدما الأوراق)** بواب مصلحة الضرائب قال منذ قليل.. إن البرد، كما يقول، وصل فى بطرسبرج إلى مائتى درجة تحت الصفر.

أندريه: الحاضر بغيض، ولكن عندما أفكر فى المستقبل فما أروع ذلك! أشعر بالخفة والرحابة.. ويشع النور فى البعيد، فأرى الحرية، أرى كيف نتحرر أنا وأولادى

من الفراغ، من الكفاس، من الأوز المحشو بالكرنب، من النوم بعد الغداء، من الطفيلية الدنيئة..

فيرابونت: ومات ألفا شخص كما يقول. والناس فزعوا جدا. إما في بطرسبرج أو في موسكو، لا أذكر.

أندريه: (**يستولى عليه شعور رقيق**) يا شقيقاتى الغاليات، يا شقيقاتى الرائعات! (**من خلال الدموع**) ماشا يا أختاه..

نتاشا: (**فى النافذة**) من هنا يرفع صوته هكذا؟ أهو أنت يا أندريوشا؟ ستوقظ صوفى Il ne faut pas faire du bruit, la Sophie est dormée déjà. Vous (**تغضب**) êtes un ours.[1] إذا كنت تريد أن تتحدث فلتعط العربة بالطفل لشخص آخر. فيرابونت، خذ العربة من السيد!

فيرابونت: حاضر. (**يأخذ العربة**).

أندريه: (**محرجا**) إننى أتحدث بصوت خافت.

نتاشا: (**خلف النافذة تلاطف ابنها**) بوبيك! بوبيك يا شقى! بوبيك يا وحش!

أندريه: (**ينظر فى الأوراق**) حسنا، سأبحثها، وسأوقع ما هو مطلوب، وأنت ستعود بها إلى الإدارة.. (**يدخل البيت وهو يقرأ الأوراق. فيرابونت يدفع العربة**)

---

(١) لا تثر ضجة، فصوفى نائمة. أنت دب. (بفرنسية غير سليمة).

نـــتـــاشـــا: (**خلف النافذة**) بوبيك، ما اسم ماما يا بوبيك؟ يا حبيبى، يا حبيبى! ومن هذه؟ هذه عمتك أوليا. قل لعمتك: مرحبا يا أوليا!

(**موسيقيان متجولان، رجل وفتاة، يعزفان على الكمان والقيثـار. يخـرج مـن البيـت فيرشينيـن وأولجـا وأنفيسـا، ويصغون فى صمت نحو دقيقة. تقترب منهم إيرينا**).

أولـــجـــا: بستاننا مثل السوق، الكل يمر منه، مشيا وركوبا. يا دادة أعطى هؤلاء العازفين شيئا..

أنـــفـــيـــســـا: (**تمنح العازفين**) الله يسهل لكم يا أولادى. (**العازفان ينحنيان وينصرفان**) ناس مساكين. من الشبع لن تعزف. (**لإرينا**) مرحبا يا إيريشا! (**تقبلها**) إيه يا بنتى، كيف أصبحت أعيش! عيشة عظيمة! أسكن يا حبيبتى فى المدرسة، فى شقة ميرى، مع أوليا.. هكذا قدّر الله لى فى آخر العمر. أستغفر الله، لم أعش أبدا مثل هذه العيشة.. شقة كبيرة، ميرى، وعندى غرفة كاملة، وسرير. كله ميرى. أصحو فى الليل و.. يا ربى، ياسيدتى العذراء، لا أحد أسعد منى!

فيـــرشينيـــن: (**ينظر إلى الساعة**) سنرحل الآن يا أولجا سرجييفنا. علّى أن أذهب.

(**صمت**)

أتمنى لك كل خير... أين ماريا سرجييفنا؟

إيـــريـــنـــا: في مكان ما في الحديقة. سأذهب وأبحث عنها.

فيـــرشينيـــن: لو تكرمت. أنا مستعجل.

أنـــفـــيـــســـا: وأنا أيضًا سأبحث عنها. (**تصيح**) ماشنكا، آو!

(تمضى مع إيرينا إلى عمق البستان)

آو.. آو!

فيـــرشينيـــن: لكل شيء نهاية. ها نحن نفترق. (**ينظر إلى الساعة**) أقامت لنا المدينة ما يشبه مائدة الإفطار، وشربنا شمبانيا، وألقى رئيس المدينة خطبة، وكنت آكل وأسمع، لكن قلبي كان هنا، عندكم..(**يلقى نظرة على البستان**) تعودت عليكم.

أولـــجـــا: ترى هل سنتقابل ثانية في يوم ما؟

فيـــرشينيـــن: لا أظن

(صمت)

زوجتي وابنتاي سيبقين هنا حوالي شهرين آخرين، أرجوك إذا حدث شيء، أو احتجن إلى شيء..

أولـــجـــا: نعم نعم، طبعا. اطمئن.

(صمت)

غدا لن يكون في المدينة عسكري واحد، وسيصبح كل شيء ذكرى، وبالطبع ستمضي حياتنا على نحو جديد..

(صمت)

كل شىء يجرى على غير ما نريد. أنا لم أرد أن أكون رئيسة، ومع ذلك صرت. وإذن فلن نذهب إلى موسكو..

فيـــرشينيـــن: طيب.. شكرا لكم على كل شىء. وعفوا إذا كان قد بدر منى شىء.. لقد تكلمت كثيرا، كثيرا جدا، فلتغفروا لى هذا أيضًا، ولا تذكرونى بسوء.

أولـــجـــا: (**تمسح عينيها**) ما لها ماشا لا تأتى ..

فيـــرشينيـــن: ماذا أقول لك فى الوداع؟ عن أى شىء أتفلسف؟.. (**يضحك**) الحياة قاسية. إنها تبدو للكثيرين منا صماء لا أمل فيها، إلا أنها، وينبغى أن نعترف، تصبح أوضح وأرحم. وأعتقد أنه ليس ببعيد ذلك اليوم الذى ستصبح فيه واضحة تماما. (**ينظر إلى الساعة**) حان الوقت، علىَّ أن أذهب! فى السابق كانت البشرية مشغولة بالحروب، تملأ كل كيانها بالحملات، والغزوات، والانتصارات، أما الآن فقد اندثر كل ذلك، مخلفا وراءه مكانا ضخما خاويا لا يوجد حتى الآن ما يملأه. والبشرية تبحث بحماسة، وبالطبع ستجد. آه، لو فقط بسرعة!

(**صمت**)

أتدرين، لو أضيفت إلى حب العمل المعرفة، وإلى المعرفة حب العمل. (**ينظر إلى الساعة**) ولكن علىَّ أن أذهب..

أولـــــجـــــا: ها هى قادمة.

(تدخل ماشا)

فيـــرشينيـــن: جئت أودع..

(أولجا تبتعد قليلا لكى لا تعوقهما عن الوداع)

مـــاشـــــا: **(تحدق فى وجهه)** وداعا..

(قبلة طويلة)

أولـــــجـــــا: كفى، كفى..

(ماشا تنتحب بقوة)

فيـــرشينيـــن: اكتبى.. لا تنسينى! اتركينى.. آن الأوان.. يا أولجا سرجييفنا، أمسكيها، آن لى أن أذهب.. حان الوقت.. تأخرت.. **(متأثرا يقبل يدى أولجا، ثم يضم ماشا ثانية وينصرف بسرعة)**

أولـــــجـــــا: كفى يا ماشا، كفى يا عزيزتى..

(يدخل كوليجين)

كـولـيـجـيـن: **(خجلا)** لا بأس، دعيها تبكى، دعيها.. ماشا عزيزتى، ماشا حبيبتى.. أنت زوجتى، وأنا سعيد، مهما كان هناك.. أنا لا أشكو، ولا أوجه إليك أى لوم.. وها هى أوليا شاهدة.. سنبدأ الحياة ثانية كما فى الماضى، ولن أقول لك كلمة واحدة، ولا تلميح..

مـــاشـــــا: **(تكتم النحيب)** بلوطة خضراء عند شاطئ الأحلام، فى جذعها سلسلة من الذهب.. فى جذعها سلسلة

من الذهب.. إننى أجن.. بلوطة خضراء.. عند شاطئ الأحلام..

أولــــجـــا: أهدئى يا ماشا.. أهدئى.. أعطها ماء.

مـــاشـــا: أنا لم أعد أبكى..

كـولـيـجـيـن: لم تعد تبكى.. إنها طيبة..

(تسمع طلقة بعيدة مكتومة)

مـــاشـــا: بلوطة خضراء عند شاطئ الأحـلام، فى جذعها سلسلة من الذهب.. قطة خضراء.. بلوطة خضـراء.. أنا أخلط.. **(تشرب ماء)** حياة فاشلة.. لا أريد بعد الآن شيئا.. سأهدأ الآن.. سيان.. ما معنى عند شاطئ الأحلام؟ لماذا تدور هذه الكلمة فى رأسى؟ أفكارى مضطربة.

(تدخل إيرينا)

أولــــجـــا: اهدئى يا ماشا. نعم، شاطرة.. هيا إلى الغرفة.

مـــاشـــا: **(بغضب)** لن أذهب إلى هناك. **(تنتحب ولكنها تتوقف فورا)** أنا لم أعد أدخل البيت، ولن أدخله..

إيـــريـــنـــا: هيا نجلس معا، ولو فى صمت. غدا أنا سأرحل..

(صمت)

كـولـيـجـيـن: بالأمس انتزعت من أحد الأولاد فى الصف الثالث هذا الشارب واللحية.. **(يضع الشارب واللحية)** أشبه

مدرس اللغة الألمانية.. (**يضحك**) أليس كذلك؟ مضحكون هؤلاء الأولاد.

ماشا: حقا تشبه مدرسكم الألمانى.

أولجا: (**تضحك**) نعم.

(ماشا تبكى)

إيرينا: كفاك يا ماشا!

كوليجين: أشبهه جدا..

(تدخل نتاشا)

نتاشا: (**للخادم**) ماذا؟ صوفى سيجلس معها بروتوبوبوف، ميخائل إيفانيتش، أما بوبيك فلينزهه أندريه سرجيتش فى العربة. ما أكثر المشاغل مع الأولاد.. (**لإيرينا**) سترحلين غدا يا إيرينا، يا للأسف. ابقى ولو أسبوعا آخر. (**ترى كوليجين فتصرخ. يضحك وينزع عنه الشارب واللحية**) كم أفزعتنى، أعوذ بالله! (**لإيرينا**) أنا تعودت عليك، فهل تظنين أن فراقك سيكون سهلا علىَّ؟ سآمر بنقل أندريه إلى غرفتك مع كمانه، فلميزِّك هناك! وفى غرفته نسكن صوفى. إنها طفل ساحر، بديع! يا لها من صبية! اليوم نظرت إلىّ بعينيها وقالت «ماما»!

كوليجين: طفلة رائعة، هذا صحيح.

نتاشا: إذن غدا سأبقى وحدى هنا (**تتنهد**) سآمر قبل كل شىء بقطع أشجار الشوح فى الممر، ثم شجرة القيقب هذه.

إنها تبدو فى المساء رهيبة، قبيحة.. (**لإيرينا**) يا عزيزتى، هذا الحزام لا يليق عليك أبدا.. هذه قلة ذوق. الأنسب شيء ما فاتح. وهنا سآمر بغرس زهور، زهور فى كل مكان، وستكون رائحة.. (**بصرامة**) لماذا هنا شوكة ملقاة على الأريكة، إنى أسألك؟ (**تصيح**) اخرس!

كوليجين: هاجت وماجت!

(خلف المسرح تعزف الموسيقى لحن مارش، الجميع ينصتون)

أولجا: يرحلون.

(يدخل تشيبوتيكين)

ماشا: رجالنا يرحلون. حسنا.. طريق السلامة! (**لزوجها**) لنعد إلى البيت.. أين قبعتى وإزارى..

كوليجين: حملتها إلى البيت.. سأحضرها حالا. (**يدخل البيت**)

أولجا: نعم، الآن يمكن أن نعود إلى بيوتنا. آن الأوان.

تشيبوتيكين: أولجا سرجييفنا!

أولجا: ماذا؟

(صمت)

ماذا؟

تشيبوتيكين: لا شيء.. لا أدرى كيف أخبرك.. (**يهمس فى أذنها**)

أولجا: (**مرتاعة**) لا يمكن!

تشيبوتيكين: نعم.. يا لها من حكاية.. أنا تعبت، تعذبت، لا أريد أن أتكلم بعد.. (**بأسى**) وعموما، فالأمر سيان!

مـــــاشــــا: ماذا حدث؟

أولـــجــــا: **(تضم إيرينا)** يا له من يوم رهيب.. لا أدرى كيف أخبرك يا حبيبتى..

إيـــريـــنـــا: ماذا؟ قولوا بسرعة، ماذا؟ أتوسل إليكم! (تبكى)

تشيبـــوتيكين: الآن، فى المبارزة، قتل البارون.

إيـــريـــنـــا: كنت أعرف، كنت أعرف..

تشيبـــوتيكين: **(يجلس على الأريكة فى عمق المسرح)** تعبت.. **(يخرج الصحيفة من جيبه)** فليبكين قليلا.. **(يدندن بصوت خافت)** ترا .. را.. بومبيا، أنت يا حلوة يا.. أليس سيان!

(الشقيقات الثلاث يقفن ملتصقات بعضهن ببعض)

مـــــاشــــا: أوه، ما أجمل عزف الموسيقى! إنهم يرحلون عنا، أحدهم رحل نهائيًا، رحل إلى الأبد، وسنبقى وحدنا، لكى نبدأ حياتنا من جديد. ينبغى أن نعيش..

إيـــريـــنـــا: **(تضع رأسها على صدر أولجا)** سيأتى عهد ويعرف الجميع لأى غرض كان هذا كله، ولماذا هذه الآلام، لن تكون هناك أسرار، أما الآن فينبغى أن نعيش.. ينبغى أن نعمل، نعمل فقط! غدا سأذهب وحدى، سوف أُعلِّم فى المدرسة، وسأهب حياتى كلها لمن هم، ربما، فى حاجة إليها. الآن خريف، وقريبا يأتى الشتاء ويغطى الثلج الأرض، وأنا سوف أعمل، سوف أعمل..

أولـــجــــا: **(تضم شقيقتيها)** كم تعزف الموسيقى بمرح وحيوية،

فأرغب فى الحياة! أوه، يا إلهى! سيمر زمن ونرحل نحن أيضا إلى الأبد، وسينسانا الناس، سينسون ملامحنا وأصواتنا وكم كان عددنا، لكن آلامنا ستصبح أفراحا لمن سيعيشون بعدنا، وستحل على الأرض المسرة والسلام، وسيذكرون بالخير ويباركون أولئك الذين يعيشون الآن. يا شقيقتيَّ العزيزتين، حياتنا لم تنته بعد. سوف نعيش! كم تعزف الموسيقى بمرح، بفرحة ويبدو وكأنما بعد قليل سنعرف لماذا نعيش، لماذا نتعذب.. لو أننا ندرى، آه لو ندرى!

(يخفت عزف الموسيقى رويدا رويدا. كوليجين يأتى مرحا ومبتسما وهو يحمل القبعة والإزار، أندريه يدفع العربة وبوبيك جالس فيها).

تشيبـــوتيكين: **(يدندن بصوت خافت)** ترا.. را.. بومبيا، يا حلوة يا..

(يقرأ الصحيفة) سيان! سيان!

أولـــــجـــــا: لو أننا ندرى، لو أننا ندرى!

(ستار)

بستان الكرز

كوميديا فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

رانيفسكايا لوبوف أندريفنا	إقطاعية
آنيا	ابنتها، ١٧ سنة
فاريا	ابنتها بالتبنى، ٢٤ سنة
جايف ليونيد أندرييفتش	شقيق رايفسكايا
لوباخين يرمولاى أليكسييفتش	تاجر
تروفيموف بيوتر سيرجييفتش	طالب
سيميونوف ـ بيشيّك بوريس	
بوريسوفتش	إقطاعى
شارلوتا إيفانوفنا	مربية أطفال
ييبيخودوف سيميون	
بانتيلييفتش	وكيل أعمال
دونياشا	خادمة (فتاة)
فيرس	خادم عجوز، ٨٧ سنة
ياشا	خادم شاب
عابر سبيل	
ناظر محطة	
موظف بريد	
ضيوف، خدم	

ـ الأحداث تجرى فى ضيعة رانيفسكايا

الفصل الأول

(غرفة ما زالت إلى الآن تسمى غرفة الأطفال. أحد الأبواب يفضى إلى غرفة آنيا. الوقت فجر، قريبا ستشرق الشمس. شهر مايو قد حل، وأشجار الكرز مزهرة، إلا أن الجو فى البستان بارد، صقيع خفيف فى الصباح. نوافذ الغرفة مغلقة. تدخل دونياشا بشمعة ولوباخين بكتاب فى يده).

لوباخين: وصل القطار والحمد لله. كم الساعة؟

دونياشا: تقريبا الثانية **(تطفئ الشمعة)** الدنيا نور.

لوباخين: وإذن فكم تأخر القطار؟ ساعتين على الأقل. **(يتثاءب وهو يتمطى)** يالى من شاطر، أى حماقة ارتكبت! جئت خصيصا إلى هنا لأستقبلهم فى المحطة، وإذا بى أنعس.. نمت جالسا. شىء مؤسف.. أما كان بوسعك أن توقظينى.

دونياشا: ظننتك رحلت. **(تصيخ السمع)** هاهم قادمون فيما يبدو.

لوباخين: **(مصيخا)** كلا... فإلى أن يتسلموا الأمتعة، وغير ذلك من الأمور..

(صمت)

لوبوف أندرييفنا أمضت فى الخارج خمس سنوات، فلا أدرى كيف أصبحت الآن... إنها شخص طيب. شخص لطيف، بسيط. أذكر عندما كنت صبيا، فى حوالى الخامسة عشرة، ضربنى المرحوم أبى ـ وكان آنذاك صاحب دكان هنا فى القرية ـ ضربنى بقبضته فى وجهى، فتدفق الدم من أنفى.. جئت معه آنذاك لغرض ما إلى هذه الدار، وكان ثملا. وأذكر كأنما الآن كيف أخذتنى لوبوف أندرييفنا، وكانت ما تزال شابة، نحيفة للغاية، إلى حوض الغسيل هنا، فى هذه الغرفة نفسها، غرفة الأطفال. وقالت لى: «لا تبك أيها الفلاح الصغير، ستشفى قبل الزواج..».

(صمت)

الفلاح الصغير.. حقا كان أبى فلاحا، أما أنا فأرتدى صديريا أبيض، وحذاء أصفر. من خفير إلى أمير. إننى غنى، ونقودى كثيرة، ولكن إذا أمعنا التفكير ودققنا فأنا فلاح جلف.. (**يقلب صفحات الكتاب**) قرأت هذا الكتاب فلم أفهم شيئا. نعست وأنا أقرأ.

(صمت)

دونياشا: الكلاب لم تنم طول الليل، تشعر أن أسيادها قادمون.

لوباخين: مالك يا دونياشا هكذا..

دونياشا: يداى ترتعشان.. سيغمى علىّ.

لوباخين: يالك من رقيقة يا دونياشا. وتلبسين ثيابا كثياب السيدة، وتسريحتك أيضا. لا يصح. ينبغى أن تذكرى من أنت.

(يدخل يبيخودوف ومعه باقة زهر، يرتدى سترة وحذاء عاليا منظفا حتى اللمعان يصدر عنه صرير قوى. عندما يدخل تسقط منه الباقة).

يبيخودوف: **(يرفع الباقة)** البستانى أرسل هذا، قال ضعوها فى غرفة الطعام **(يعطى الباقة لدونياشا).**

لوباخين: هاتى معك كفاسا[1].

دونياشا: حاضر. **(تنصرف).**

يبيخودوف: الصقيع الآن يهبط فى الصباح، ثلاث درجات تحت الصفر، والكرز فى عز ازدهاره. لا أستطيع أن أحبذ مناخنا. **(يتنهد)** لا أستطيع. مناخنا لا يمكن أن يعين بالصورة المناسبة. اسمح لى يا يرمولاى أليكسييفتش أن أضيف إلى القول بأنى اشتريت منذ ثلاثة أيام حذاء، فإذا به، ودعنى أؤكد لك، يصر إلى درجة لا تحتمل. فبم أدهنه؟

لوباخين: ابتعد، أضجرتنى.

يبيخودوف: كل يوم تصيبنى بلوى ما. ولكنى لا أتذمر، تعودت، بل حتى أبتسم.

---

(١) الكفاس ـ مشروب شعبى يصنع من الخبز الأسود المخمر. المعرب.

(تدخل دونياشا وتقدم الكفاس للوباخين).

سأذهب **(يصطدم بالكرسى فيسقط الكرسى)** انظر.. **(بلهجة ظافرة)** أرأيت، واعذرنى على التعبير، هذه الحالة بالمناسبة.. بل هذا ببساطة رائع! **(ينصرف).**

دونياشا: أصارحك يا يرمولاى أليكسييفتش بأن يبيخودوف عرض علىّ الزواج.

لوباخين: آ!

دونياشا: لا أدرى ما العمل.. إنه شخص طيب، ولكن أحيانا يبدأ فى الكلام فلا تفهم منه شيئا.. كلام جميل، مؤثر، لكن غير مفهوم. يخيل إلى أنه يعجبنى. وهو يحبنى بجنون. إنه إنسان تعيس، كل يوم يحدث له شىء.. وهكذا يغيظونه هنا باسم: العشرون مصيبة..

لوباخين: **(يصيخ)** هاهم قادمون فيما يبدو..

دونياشا: قادمون! ماذا جرى لى.. البرودة تشملنى كلى.

لوباخين: بالفعل قادمون. هيا نستقبلهم. ترى هل ستعرفنى؟ لم نتقابل منذ خمس سنوات.

دونياشا: **(منفعلة)** سأسقط الآن.. آه سأسقط!

(يسمع صوت عربتين تدلفان إلى المنزل. لوباخين ودونياشا ينصرفان بسرعة. الخشبة خاوية. فى الغرف المجاورة تتصاعد ضجة. فيرس الذى كان قد سافر لاستقبال لوبوف أندرييفنا يمر عبر الخشبة بعجلة، معتمدا

على عصاه، يرتدى كسوة خدم عتيقة الطراز وقبعة عالية يكلم نفسه بعبارات مبهمة لا يمكن فهم كلمة واحدة منها. الضجة تتصاعد خلف الخشبة. صوت يقول: «هيا نمر من هنا..» لوبوف أندرييفنا وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا معها كلب صغير بمقود، مرتديات ثياب السفر. فاريا فى معطف ومنديل رأس. جايف وسيميونوف بيشيك، ولوباخين ودونياشا ومعها صرة وشمسية، والخدم يحملون الأمتعة، الكل يمرون عبر الغرفة).

آنـــيـــا: فلنمر من هنا. أتذكرين يا ماما أية غرفة هذه؟

لوبوف أندرييفنا: (بفرحة، من خلال الدموع) غرفة الأطفال!

فـــاريـــا: يا للبرد، يداى تجمدتا (للوبوف أندرييفنا) غرفتاك، البيضاء والبنفسجية، ظلتا كما كانت يا ماما.

لوبوف أندرييفنا: غرفة الأطفال، غرفتى الحبيبة، الرائعة.. كنت أنام هنا وأنا طفلة.. (تبكى) والآن أيضا أبدو كطفلة.. (تقبل أخاها وفاريا، ثم أخاها ثانية) أما فاريا فهى كما كانت من قبل، تشبه الراهبة. ودونياشا عرفتها.. (تقبل دونياشا).

جـــايـــف: القطار تأخر ساعتين، هل رأيت؟ أرأيت هذه الأمور؟

شـــارلـــوتـــا: (لبيشّيك) كلبتى تأكل حتى الجوز.

بـــيـــشـــيـــك: (مندهشا) يا سلام!

(يخرج الجميع ما عدا آنيا ودونياشا).

دونـــيـــاشـــا: كم انتظرناكم.. (تنزع عن آنيا المعطف والقبعة).

آنـــــيـــــــا: لم أنم فى الطريق أربع ليال.. أشعر الآن ببرودة شديدة.

دونـــيـــاشـــا: أنتم سافرتم فى الصيام الكبير، وكان وقتها ثلج، صقيع، والآن؟ آه يا حبيبتى! **(تضحك، تقبلها)** كم انتظرناك يا فرحتى، يا نور عينى.. سأخبرك الآن حالا، أنا لا أستطيع أن أنتظر دقيقة واحدة..

أنـــــيـــــــا: **(بفتور)** شيئًا ما مرة أخرى..

دونـــيـــاشـــا: وكيل الأعمال يبيخودوف بعد عيد الفصح عرض علىَّ الزواج.

آنـــــيـــــــا: دائما عن نفس الشىء.. **(تسوى شعرها)** ضيعت كل بنسى.. **(مرهقة جدًا، بل حتى تترنح)**

دونـــيـــاشـــا: لست أدرى ما العمل. إنه يحبنى، كم يحبنى!

آنـــــيـــــــا: **(تنظر عبر باب غرفتها برقة)** غرفتى، نوافذى، كأنى لم أرحل. أنا فى البيت! غدا صباحا سأنهض فأركض إلى البستان.. آه لو أستطيع أن أنام! لم أنم طوال الطريق، وتملكنى القلق.

دونـــيـــاشـــا: بيوتر سيرجييفتش جاء منذ ثلاثة أيام.

آنـــــيـــــــا: **(بفرحة)** بيتيا!

دونـــيـــاشـــا: ينام فى الحمَّام، وهناك يعيش. يقول: أخشى أن أضايقكم. **(تنظر إلى ساعة جيبها)** ينبغى أن أوقظه، لكن فارفارا ميخايلوفنا منعتنى، قالت لى: لا توقظيه.

(تدخل فاريا وفى حزامها سلسلة مفاتيح)

فـــاريـــا: القهوة يا دونياشا، بسرعة.. ماما تريد قهوة.

دونـيـاشـا: -تالا: **(تخرج)**

فـــاريـــا: وصلتم والحمد لله. ها أنت فى البيت ثانية. **(تلاطفها)** حبيبتى جاءت! حسنائى جاءت!

آنـــيـــا: كم تعذبت!

فـــاريـــا: أتصور ذلك!

آنـــيـــا: سافرت من هنا فى أسبوع الآلام، وكان الجو باردا. وأخذت شارلوتا تتحدث طوال الطريق وتقدم ألعابا. لا أدرى لماذا فرضت علىّ شارلوتا..

فـــاريـــا: لا يمكن أن تسافرى وحدك يا روحى. فى السابعة عشرة!

آنـــيـــا: وصلنا إلى باريس.. برد، وفرنسيتى فظة. ماما تسكن فى الطابق الخامس. دخلت، فوجدت عندها فرنسيين لا أعرفهم وسيدات وقس عجوز يمسك بكتاب، والدخان يملأ الغرفة، والجو غير مريح. وفجأة أحسست بالرثاء الشديد لماما، فضممت رأسها إلىّ، وأطبقت عليه بيدى ولم أستطع أن أتركه. وبعدها ظلت ماما تلاطفنى طويلا وتبكى...

فـــاريـــا: **(من خلال الدموع)** نعم، نعم..

آنـــيـــا: كانت قد باعت فيلتها قرب «منتونا»، ولم يعد لديها شيء، على الإطلاق. وأنا أيضًا لم يبق لدى كوبيك،

وصلنا بالكاد. ولكن ماما لا تفهم! إذا جلسنا فى مقصف المحطة للغداء تطلب أغلى المأكولات، وتعطى بقشيشا لكل خادم روبلا. وشارلوتا أيضًا. وياشا أيضًا يطلب لنفسه طبقا، شىء فظيع. لدى ماما خادم، ياشا، جئنا به إلى هنا..

فاريا: رأيته الوغد.

آنيا: حسنا، ماذا؟ هل سددتم فوائد الدين؟

فاريا: من أين لنا.

آنيا: يا إلهى، يا إلهى..

فاريا: فى أغسطس ستباع الضيعة..

آنيا: يا إلهى...

لوباخين: **(يطل من الباب ويخور)** مو.. مو.. مو.. **(ينصرف)**

فاريا: **(من خلال الدموع)** بودى لو ضربته فى سحنته... **(تتوعد بقبضتها)**

آنيا: **(تعانق فاريا، تقول بصوت خافت)** فاريا، هل تقدم لخطبتك؟ **(فاريا تهز رأسها سلبا)** ولكنه يحبك.. لماذا لا تتصارحان، ماذا تنتظران؟

فاريا: أعتقد لن نتوصل إلى شىء. لديه أعمال كثيرة، عنده ما يشغله عنى.. لا يلقى إلىَّ بالاً، سامحه الله، رؤيته أمامى كم تعذبنى. الجميع يتحدثون عن زواجنا، الجميع يهنئون، بينما ليس هناك شىء، كأنما حلم.. **(بنبرة أخرى)** بروشك هذا يشبه النحلة.

آنـــيـــا: (**بحزن**) ماما اشترته. (**تذهب إلى غرفتها،تقول بصوت مرح، كالأطفال**) فى باريس طرت فى المنطاد!

فـــاريـــا: حبيبتى جاءت! حسنائى جاءت!

(**دونياشا تعود بغلاية القهوة وتشرع فى إعدادها**)

(**واقفة بجوار الباب**) أدور يا حبيبتى طول النهار فى البيت وأنا أعمل وأحلم. لو نزوجك من رجل غنى، إذن لاطمأن قلبى، ولذهبت إلى الدير ثم إلى كييف.. وإلى موسكو، ولطفت بجميع الأماكن المقدسة.. لظللت طوال الوقت أطوف وأطوف.. يا للجلال!..

آنـــيـــا: الطيور تصدح فى البستان. كم الساعة الآن؟

فـــاريـــا: لعلها الثالثة. ينبغى أن تنامى يا حبيبتى (**تدخل غرفة آنيا**) يا للجلال!

(**يدخل ياشا بحرام وحقيبة سفر**)

يـــاشـــا: (**يسير عبر الخشبة، بلهجة مؤدبة**) أيمكننى أن أمر من هنا؟

دونـيـاشـا: كم تغيرت يا ياشا فى الخارج. يصعب التعرف عليك.

يـــاشـــا: إم.. ومن أنت؟

دونـيـاشـا: عندما سافرت كنت أنا هكذا.. (**تشير بيدها بارتفاع عن الأرض**) أنا دونياشا.. ابنة فيودور كوزودويف. لا تذكرنى!

يـــاشـــا: إم.. يا للتفاحة! **(يتلفت ثم يحضنها، تصرخ ويسقط منها الطبق. ياشا ينصرف بسرعة)**

فـــاريـــا: **(فى الباب، بصوت ساخط)** ماذا يحدث هنا؟

دونـــيـــاشـــا: **(من خلال الدموع)** كسرت الطبق..

فـــاريـــا: هذا فأل حسن.

آنـــيـــا: **(خارجة من غرفتها)** يجب تنبيه ماما، بأن بيتيا هنا..

فـــاريـــا: أنا أمرت بعدم إيقاظه.

آنـــيـــا: **(بتفكير)** منذ ست سنوات مات أبى، وبعد شهر غرق فى النهر أخى جريشا، صبى لطيف فى السابعة. لم تحتمل ماما فهربت، لاذت بالفرار.. **(تنتفض)** آه لو تدرى كم أفهمها!

(صمت)

كان بيتيا تروفيموف يدرس لجريشا، وقد يذكرها به..

(يدخل فيرس، يرتدى سترة وصديريًا أبيض)

فـــيـــرس: **(يتجه إلى غلاية القهوة، يقول مهمومًا)** السيدة ستتناولها هنا.. **(يرتدى القفاز الأبيض)** القهوة جاهزة؟ **(يقول لدونياشا بصرامة)** أنت! والكريمة؟

دونـــيـــاشـــا: آه يا إلهى!.. **(تخرج بسرعة)**

فـــيـــرس: **(يسعى مهموما بجوار غلاية القهوة)** يا لك من مغفلة.. **(يدمدم لنفسه)** جاؤوا من باريس... والسيد أيضًا ذهب إلى باريس فى زمانه.. على الخيول.. **(يضحك)**

فــــاريــــا: عم تتحدث يا فيرس؟

فــــيــــرس: أى خدمة؟ (**بفرح**) سيدتى عادت! عشت حتى رأيتها! الآن أستطيع أن أموت.. (**يبكى من الفرحة**)

(تدخل لوبوف أندرييفنا، وجايف، وسيميونوف ـ بيشّيك. سيميونوف ـ بيشّيك يرتدى سترة من الجوخ الخفيف وسروالا فضفاضا. جايف أثناء دخوله يصنع بيديه وجسمه حركات وكأنه يلعب البلياردو).

لوبوف أندرييفنا: كيف ذلك؟ دعنى أتذكر.. الصفراء إلى الزاوية! دوبل إلى الوسط!

جــــايــــف: اضرب فى الزاوية! فى وقت ما كنا ننام معا فى هذه الغرفة يا أختاه، أما الآن فعندى واحد وخمسون عاما، مهما بدا غريبا..

لــوبــاخــيــن: نعم، الزمن يمضى.

جــــايــــف: من؟

لــوبــاخــيــن: أقول الزمن يمضى.

جــــايــــف: هنا تفوح رائحة العطور الرخيصة.

آنــــيــــا: سأذهب لأنام. تصبحين على خير يا ماما. (**تقبل أمها**)

لوبوف أندرييفنا: يا بنيتى الكتكوتة (**تقبل يديها**) أنت سعيدة بالعودة للبيت؟ أنا لا أستطيع أن أهدأ.

آنــــيــــا: الوداع يا خالى.

جـــايــــف: **(يقبل وجهها ويديها)** يحرسك الله. كم تشبهين أمك! **(لأخته)** كنت يا لوبوف فى عمرها مثلها بالضبط.

(آنيا تمد يدها إلى لوباخين وبيشّيك، ثم تخرج وتوصد الباب خلفها)

لوبوف أندرييفنا: إنها مرهقة جدا.

بـيـشـيـك: لابد أن الطريق طويل.

فـــاريـــا: **(إلى لوباخين وبيشيك)** ماذا يا سادة؟ الساعة الثالثة، آن أن تنصرفا.

لوبوف أندرييفنا: **(تضحك)** أنت مثلما كنت يا فاريا **(تضمها إليها وتقبلها)** سأفرغ من القهوة فننصرف جميعا.

(فيرس يضع وسادة تحت قدميها)

أشكرك يا عزيزى.. لقد تعودت على القهوة. أشربها نهارا وليلا. أشكرك يا عجوزى. **(تقبل فيرس)**

فـــاريـــا: سأرى هل أحضروا كل الأمتعة.. **(تخرج)**

لوبوف أندرييفنا: أحقا أنا الجالسة؟ **(تضحك)** أريد أن أقفز، أن أشيح بيدى **(تخفى وجهها بيديها)** ربما كنت نائمة! يعلم الله كم أحب الوطن، أحبه برقة، لم أستطع النظر من العربة، كنت أبكى. **(من خلال الدموع)** لكن ينبغى أن أشرب القهوة. شكرا يافيرس، شكرا يا عجوزى. كم أنا سعيدة لأنك ما زلت حيا.

فـيـرس: أول أمس.

جـــايــــف: إنه لا يسمع جيدا.

لوباخين: عليّ الآن، في الخامسة صباحا، أن أسافر إلى خاركوف. يا للأسف! وددت أن أستمتع بصحبتك، بالحديث معك.. أنت كما كنت رائعة.

بيشيك: **(يتنفس بصعوبة)** بل وازددت حسنا.. في أزياء باريسية.. فلتهلك عربتي، وعجلاتها الأربع..

لوباخين: أخوك، ليونيد أندرييفتش هذا، يقول عني إنني جلف، كولاك، ولكن ذلك سيان بالنسبة لي. فليقل. بودي فقط أن تصدقيني كما في السابق، أن تنظر إليّ عيناك المدهشتان المؤثرتان كما في السابق. يا إلهي الرحيم! لقد كان أبي عبدا عند جدك وأبيك، ولكنك، أنت بالذات، صنعت الكثير من أجلي في وقت ما، حتى إنني نسيت كل شيء، وأصبحت أحبك كقريبة.. بل أكثر من قريبة.

لوبوف أندرييفنا: لا أستطيع أن أبقى جالسة، لا أقوى.. **(تقفز وتذرع الغرفة في إنفعال شديد)** لن أتحمل هذه الفرحة.. اضحكوا مني فأنا حمقاء.. يا دولابي الغالي **(تقبل الدولاب)** يا طاولتي.

جايف: في غيابك ماتت الدادة.

لوبوف أندرييفنا: **(تجلس وتشرب القهوة)** نعم، عليها الرحمة. علمت من الرسائل.

جايف: وأنستاسي أيضًا مات. بتروشكا الأعور تركني، وهو

الآن فى المدينة، يعيش عند رئيس الشرطة (**يخرج من جيبه علبة كراملة ويمص منها**)

بيشيك: ابنتى داشنكا.. تبعث إليك بتحياتها..

لوباخين: بودى أن أقول لك شيئا سارا للغاية، مفرحا (**ينظر إلى ساعته**) سأسافر الآن، لا وقت للكلام.. طيب، فى كلمتين أو ثلاث. أنت قد علمت بأن بستان الكرز، بستانكم، سيباع سدادا للديون، وتحدد الثانى والعشرون من أغسطس للمزاد ولكن لا تقلقى ياعزيزتى، نامى مطمئنة، فهناك حل.. هاكم مشروعى أرجو الانتباه! ضيعتك تقع على بعد عشرين كيلو مترا فقط من المدينة، وبقربها مد خط سكك حديدية، ولو قُسم بستان الكرز والأراضى الواقعة على النهر إلى قطع لبناء الفيلات، وأُجّرت هذه القطع، فسوف تحصلين على خمسة وعشرين ألفا فى السنة على الأقل.

جايف: عفوا، هذا كلام فارغ!

لوبوف أندرييفنا: أنا لا أفهمك تماما يا يرمولاى أليكسييفتش.

لوباخين: ستأخذون من المصطافين، أصحاب الفيلات، خمسة وعشرين روبلا على الأقل فى السنة مقابل عشر الهكتار، ولو أعلنتم الآن فورا فأقسم لكم بما تشاءون بأنه حتى الخريف لن يتبقى لديكم قطعة أرض واحدة، ستؤجر كلها. وباختصار أهنئكم، لقد أُنقِذتُم. الموقع رائع، والنهر عميق. لكن بالطبع ينبغى تنظيف المكان قليلا،

وتهذيبه.. مثلا، يعنى، إزالة جميع المبانى القديمة، وهذا المنزل، الذى لم يعد يصلح أبدا، تقطيع أشجار بستان الكرز القديم..

لوبوف أندرييفنا: تقطيع الأشجار؟ يا عزيزى، عفوا، إنك لا تفقه شيئًا. إذا كان هناك فى المحافظة كلها شىء طريف بل ورائع، فهو فقط بستان كرزنا.

لوباخين: الشىء الرائع الوحيد فى هذا البستان أنه كبير جدا فالكرز لا يثمر إلا مرة كل عامين. ثم إنه لا يمكن تصريفه، لا أحد يشتريه.

جايف: وفى «المعجم الموسوعى» ورد ذكر هذا البستان.

لوباخين: **(ينظر إلى ساعته)** إذا لم نتوصل إلى شىء ولم نجد حلا ففى الثانى والعشرين من أغسطس سيباع بستان الكرز والضيعة فى المزاد. أقدموا إذن! لا يوجد حل آخر، أقسم لكم. لا يوجد، لا يوجد.

فيرس: فى الماضى، منذ حوالى أربعين أو خمسين سنة، كانوا يجففون الكرز، وينقعونه، ويخللونه، ويصنعون منه المربى وكانوا..

جايف: اسكت يا فيرس.

فيرس: وكانوا يرسلون الكرز المجفف بالعربات إلى موسكو وخاركوف. ما كان أكثر النقود! وكان الكرز المجفف آنذاك طريا، ريان، حلوا، عطرا.. كانت لديهم طريقة آنذاك..

لوبوف أندرييفنا: وأين تلك الطريقة الآن؟

فيرس: نسوها. لا أحد يذكرها.

بيشيك: **(للوبوف أندرييفنا)** ماذا فى باريس؟ كيف الحال؟ أكلت ضفادع؟

لوبوف أندرييفنا: أكلت تماسيح.

بيشيك: يا سلام..

لوباخين: لم يكن يعيش فى الريف من قبل سوى السادة والفلاحين، أما الآن فظهر المصطافون، أصحاب الفيلات. جميع المدن حتى أصغرها، محاطة اليوم بالفيلات. ويمكن القول إنه خلال عشرين سنة سيتكاثر المصطافون بدرجة هائلة. المصطاف الآن يشرب الشاى فقط فى الشرفة، ولكن ربما يحدث أن يمارس الفلاحة فى عشر هكتاره، وعندئذ سيصبح بستان كرزكم محظوظا، ثريا، فخما..

جايف: **(باستياء)** ما هذا الهراء!

(تدخل فاريا وياشا)

فاريا: وصلت برقيتان لك يا ماما. **(تجد المفتاح المناسب وتفتح دولابا قديما برنين عال)** هاهما.

لوبوف أندرييفنا: إنهما من باريس. **(تمزق البرقيتين دون أن تقرأهما)** باريس انتهت..

جايف: أتعلمين يا لوبا كم عمر هذا الدولاب؟ منذ أسبوع سحبت الدرج الأسفل فرأيت أرقاما

محفورة. صنع الدولاب منذ مائة عام بالضبط. أرأيت؟ هه؟ كان من الممكن الاحتفال بعيده. إنه مادة غير حية ولكنه، مهما كان، دولاب كتب.

بيشيك: (**بدهشة**) مائة عام.. يا سلام!..

جايف: نعم هذه تحفة.. (**يتلمس الدولاب**) أيها الدولاب العزيز الموقر! إننى أحيى وجودك، الذى كان موجها منذ أكثر من مائة عام إلى المُثُل المشرقة للخير والعدالة. إن دعوتك الصامتة إلى العمل المثمر لم تضعف طوال مائة عام، وهى تساند (**من خلال الدموع**) الهمة والإيمان بمستقبل أفضل فى أجيال عائلتنا، وتربى فينا مُثُل الخير والوعى الاجتماعى.

(**صمت**)

لوباخين: نعم..

لوبوف أندرييفنا: أنت لم تتغير يا لونيا.

جايف: (**خجلا بعض الشىء**) من الكرة إلى اليمين إلى الزاوية! اضرب فى الوسط!

لوباخين: (**يتطلع إلى الساعة**) حسنا، حان رحيلى.

ياشا: (**يقدم الدواء للوبوف أندرييفنا**) ربما تتناولين الأقراص الآن..

بيشيك: لا داعى لتناول الأدوية يا عزيزتى.. ليس منها ضرر أو نفع.. هاتيها هنا، سيدتى الموقرة (**يأخذ الأقراص**

ويفرغها فى راحة يده، وينفخ فيها ثم يضعها فى فمه ويبلّعها بالكفاس) هكذا!

لوبوف أندرييفنا: **(بفزع)** أنت جننت!

بيشيك: تناولت كل الأقراص.

لوباخين: يالها من بلاّعة!

(الجميع يضحكون)

فيرس: فى عيد القيامة كان عندنا، أكل نصف دلو خيار.. **(يدمدم)**

لوبوف أندرييفنا: عم يتحدث؟

فاريا: منذ ثلاث سنوات وهو يدمدم هكذا. لقد تعودنا.

ياشا: سن متأخرة!

(تمر عبر الخشبة شارلوتا إيفانوفنا فى فستان أبيض، نحيفة جدا، مشدودة، بمنظار فى حزامها)

لوباخين: عفوا يا شارلوتا إيفانوفنا، لم أتمكن بعد من تحيتك **(يريد أن يقبل يدها)**

شارلوتا: **(تجذب يدها)** إذا سمحت لك بتقبيل يدى فسترغب بعد ذلك فى تقبيل كوعى، ثم كتفى..

لوباخين: أنا اليوم سيئ الحظ.

الجميع يضحكون

شارلوتا إيفانوفنا، أرينا نمرة!

لوبوف أندرييفنا: شارلوتا، أرينا نمرة!

شارلوتا: لاداعى. أريد أن أنام. **(تنصرف)**

لوباخين: أراكم بعد ثلاثة أسابيع. **(يقبل يد لوبوف أندرييفنا)** إلى اللقاء، وداعا. حان الوقت! **(لجايف)** إلى اللقاء. **(يتبادل القبلات مع بيشيك)** إلى اللقاء. **(يمد يده لفاريا ثم لفيرس ثم لياشا)** لا أرغب فى الرحيل. **(للوبوف أندرييفنا)** إذا فكرت بخصوص الفيلات وقررت أخبرينى، وسأحصل على قرض بحدود خمسين ألفا. فكرى جديا.

فاريا: **(بغضب)** هلا رحلت فى النهاية!

لوباخين: راحل، راحل.. **(ينصرف)**

جايف: جلف. لكن عفوا.. فاريا ستتزوجه، إنه عريس فاريا الغالى.

فاريا: لاداعى لهذا الكلام يا خالى.

لوبوف أندرييفنا: حسنا يافاريا. سأكون سعيدة جدًا. إنه رجل طيب.

بيشيك: الحقية إنه رجل.. ذو مكانة.. وداشنكا ابنتى تقول أيضًا.. تقول أشياء كثيرة «يغط ويشخر ثم يفيق فى التو» ومع ذلك يا سيدتى الموقرة أقرضينى.. سلفة. مائتين وأربعين روبلا.. علىّ أن أسدد غدا ديون الرهونات.

فاريا: **(بفزع)** لا يوجد، لا يوجد!

لوبوف أندرييفنا: بالفعل ليس لدى نقود.

بيشيك: ستجدين (**يضحك**) أنا لا أفقد الأمل أبدا. ظننت أن كل شىء ضاع، إننى هلكت، وإذا بالسكة الحديدية تمر عبر أرضى و.. دفعوا لى. وهكذا ربما يحدث شىء آخر، إن لم يكن اليوم فغدا.. ربما تفوز داشنكا بمائتى ألف.. لديها ورقة يانصيب.

لوبوف أندرييفنا: القهوة شربناها، ويمكننا أن ننام.

فيرس: (**ينظف جايف بالفرشاة، يقول بوصاية**) مرة ثانية لم تلبس السروال المناسب. آه، ماذا أفعل معك!

فاريا: (**بصوت خافت**) آنيا نامت. (**تفتح النافذة بحذر**) أشرقت الشمس والجو غير بارد. انظرى يا ماما، ما أروع هذه الأشجار! يا إلهى، والهواء! والزرازير تشدو!

جايف: (**يفتح النافذة الأخرى**) البستان كله أبيض. ألم تنسى يا لوبا؟ هذا الدرب الطويل يمتد مستقيما مستقيما، كأنه حزام مشدود، وفى الليالى المقمرة يلمع. أتذكرين؟ ألم تنسى؟

لوبوف أندرييفنا: (**تنظر من النافذة إلى البستان**) يا طفولتى، يا طهارتى! فى غرفة الأطفال هذه كنت أنام، وأنظر من هنا إلى البستان، والسعادة تستيقظ معى كل صباح، وكان آنذاك مثلما هو الآن تماما، لم يتغير شىء (**تضحك من الفرحة**) كله، كله أبيض! يا بستانى الحبيب! بعد الخريف المظلم المكفهر، والشتاء البارد عدت فتيا،

مفعما بالسعادة ولم تهجرك ملائكة السماء.. لو أستطيع أن ألقى عن صدرى وكتفىّ ذلك الحجر الثقيل، لو أستطيع أن أنسى الماضى!

جـــايـــف: نعم، وسيباع البستان سدادا للديون، مهما بدا هذا غريبا..

لوبوف أندرييفنا: انظروا، المرحومة أمى تسير فى البستان.. فى فستان أبيض! **(تضحك من الفرحة)** إنها هى.

جـــايـــف: أين؟

فـــاريـــا: ماما، ماذا بك!

لوبوف أندرييفنا: لا أحد، خيّل إلىَّ. إلى اليمين، عند المنعطف المؤدى إلى العريشة، انحنت شجرة بيضاء، تشبه امرأة..

(يدخل تروفيموف فى سترة طلابية بالية، يرتدى نظارة)

ياله من بستان رائع! كتل من الزهر الأبيض، والسماء زرقاء..

تـروفـيـمـوف: لوبوف أندرييفنا! **(تلتفت نحوه)**

جئت لأحييك وسأنصرف فورا. **(يقبل يدها بحرارة)** أمرونى أن أنتظر حتى الصباح، لكنى لم أطق صبرا..

(تنظر لوبوف أندرييفنا إليه بدهشة)

فـــاريـــا: **(من خلال الدموع)** هذا بيتيا تروفيموف..

تـروفـيـمـوف: بيتيا تروفيموف، المدرس السابق لابنك جريشا.. أحقا تغيرتُ إلى هذه الدرجة؟

(لوبوف أندرييفنا تعانقه وتبكى بصمت)

جـــايـــف: **(مرتبكا)** كفى، كفى يا لوبا.

فـــاريـــا: **(تبكى)** ألم أقل لك يا بيتيا أن تنتظر إلى الصباح.

لوبوف أندرييفنا: جريشا ولدى.. حبيبى.. جريشا.. ابنى..

فـــاريـــا: ما العمل يا ماما. مشيئة الله.

تـروفـيـمـوف: **(بصوت ناعم، من خلال الدموع)** كفى، كفى..

لوبوف أندرييفنا: **(تبكى بصوت خافت)** مات ولدى.. غرق.. لماذا؟ لماذا يا صديقى. **(بصوت أهدأ)** آنيا نائمة هناك وأنا أتحدث بصوت عال.. أثير ضجة.. حسنا يا بيتيا؟ لماذا ساء حالك هكذا؟ لماذا هرمت؟

تـروفـيـمـوف: فى القطار أطلقت علىّ إحدى الفلاحات وصف: السيد الباهت.

لوبوف أندرييفنا: كنت آنذاك صبيا صغيرا، طالبا لطيفا، والآن نسل شعرك، ووضعت نظارة. أما تزال بعد طالبا؟ **(تسير نحو الباب)**

تـروفـيـمـوف: يبدو أننى سأظل طالبا أبديا.

لوبوف أندرييفنا: **(تقبل أخاها، ثم فاريا)** حسنا، اذهبوا لتناموا .. أنت أيضًا هرمت يا ليونيد.

بـيـشـيـك: **(يتبعها)** وإذن آن أن ننام.. آه من نقرسى اللعين. سأبيت عندكم.. لوبوف أندرييفنا، يا روحى، لو يعنى صباح الغد.. مائتين وأربعين روبلا..

جـــايـــف: ما زال يردد مواله.

بيشيك: مائتين وأربعين روبلا.. لتسديد فوائد الرهونات.

لوبوف أندرييفنا: ليس عندى نقود يا عزيزى.

بيشيك: سأرده يا عزيزتى.. مبلغ تافه..

لوبوف أندرييفنا: طيب، حسنا، ليونيد سيعطيك.. أعطه يا ليونيد.

جايف: فليأخذ إن وجد.

لوبوف أندرييفنا: وما العمل، أعطه.. إنه محتاج.. سيرده.

(لوبوف أندرييفنا وتروفيموف وبيشيك وفيرس ينصرفون. يبقى جايف وفاريا وياشا).

جايف: لم تنس أختى بعد تبذير النقود **(لياشا)** ابتعد يا حضرة، تفوح منك رائحة الدجاج.

ياشا: **(بسخرية)** وأنت يا ليونيد أندرييفتش مازلت مثلما كنت.

جايف: من؟ **(لفاريا)** ماذا قال؟

فاريا: **(لياشا)** أمك جاءت من القرية، منذ الأمس تجلس فى غرفة الخدم، تريد أن تراك..

ياشا: الله يسهل لها!

فاريا: يا للوقاحة!

ياشا: لم العجلة؟ تستطيع أن تأتى غدًا **(ينصرف)**

فاريا: ماما مثلما كانت، لم تتغير أبدا. لو تُركت على حريتها لوزعت كل شىء.

جايف: نعم..

(صمت)

إذا اقترح الكثير من الوسائل لعلاج مرض ما، فهذا يعنى أن المرض لا شفاء منه. إننى أفكر، وأجهد عقلى، وعندى الكثير من الوسائل الكثير جدا. وإذن، فعمليا، ليس لدى ولا واحدة. لو أمكن الحصول على ميراث من شخص ما، لو أمكن تزويج آنيا من رجل غنى جدا، لو أمكن الذهاب إلى ياروسلافل لأجرب حظى مع عمتى الكونتيسة. فعمتى غنية، غنية جدا.

فـــاريـــا: (تبكى) لو يساعدنا الله.

جـــايـــف: لا تنوحى. عمتى غنية جدا، لكنها لا تحبنا. فأولا: تزوجت أختى من محام، من غير النبلاء..

(آنيا تظهر فى الباب)

تزوجت من رجل غير نبيل، ولم يكن سلوكها، يعنى، يمكن وصفه بالعفة الشديدة. إنها إنسانة جيدة، طيبة، رائعة، وأنا أحبها جدا، ولكن مهما بحثنا عن أعذار مخففة، فلا بد من الاعتراف بأنها فاسدة. ويلوح هذا فى أية حركة منها.

فـــاريـــا: (هامسة) آنيا تقف فى الباب.

جـــايـــف: من؟

(صمت)

عجيبة، عينى اليمنى أصابها شىء.. لم أعد أبصر جيدا. يوم الخميس، عندما كنت فى محكمة الناحية..

(**آنيا تدخل**)

فـــــاريــــــا: لماذا لا تنامين يا آنيا؟

آنــــيـــــا: لا أستطيع. عندى أرق.

جــــايــــف: يا صغيرتى (**يقبل وجه آنيا ويديها**) يا بنيتى..
(**من خلال الدموع**) أنت لست ابنة أختى، أنت ملاكى،
أنت كل شيء بالنسبة لى. صدقينى، صدقينى..

آنــــيـــــا: إننى أصدقك يا خالى. الجميع يحبونك، يحترمونك..
ولكن الأفضل، يا خالى، أن تصمت، فقط تصمت. ماذا
كنت تقول منذ لحظة عن أمى، عن أختك؟ لأى غرض
تقول ذلك؟

جــــايــــف: نعم، نعم.. (**يغطى وجهه بيدها هى**) حقا، هذا فظيع.
يا إلهى يا إلهى خلصنى! واليوم ألقيت كلمة أمام
الدولاب.. يا للحماقة! لم أدرك أنها حماقة إلا عندما
فرغت.

فـــــاريــــــا: حقا يا خالى، الأفضل أن تصمت. اصمت ولا شيء
أكثر.

آنــــيـــــا: إذا لزمت الصمت ستشعر بالاطمئنان أكثر.

جــــايــــف: سأصمت. (**يقبل أيدى آنيا وفاريا**) سأصمت.
فقط سأتحدث عن عمل. يوم الخميس كنت فى
محكمة الناحية، حسنا، التقيت مجموعة من المعارف،
ودار الحديث فى شتى الأمور، ويبدو أنه سيكون من

الممكن الحصول على سلفة بكمبيالات وتسديد الفوائد للبنك.

فـــاريـــا: لو يساعدنا الله!

جـــايـــف: سأسافر يوم الثلاثاء مرة أخرى للتباحث. **(لفاريا)** لا تنوحى. **(لآنيا)** ستتحدث أمك مع لوباخين. لن يرفض طلبها بالطبع.. أما أنت فما إن تستريحى حتى تسافرى إلى ياروسلافل، إلى الكونتيسة، جدتك. وهكذا سنتحرك من ثلاث جهات، وعندئذ فالمسألة مضمونة. سنسدد الفوائد، أنا واثق.. **(يضع حبة كراملة فى فمه)** أقسم لكم بشرفى، بكل ما تريدون، لن تباع الضيعة! **(بانفعال)** أقسم بسعادتى! ها هى يدى، ولتعتبرينى وغدا بلا شرف لو سمحت بإجراء المزاد! أقسم بكل كيانى!

آنـــيـــا: **(عاد إليها المزاج الهادئ، وهى سعيدة)** كم أنت طيب يا خالى، كم أنت ذكى! **(تعانقه)** أنا الآن مطمئنة! أنا مطمئنة! أنا سعيدة!

(يدخل فيرس)

فـــيـــرس: **(بعتاب)** يا ليونيد أندرييفتش، ألا تخاف الله! متى ستنام؟

جـــايـــف: حالا، حالا. اذهب أنت يا فيرس. لا بأس، سأنزع ملابسى بنفسى. طيب يا بناتى، إلى النوم.. التفاصيل غدا، أما الآن فاذهبا لتناما. **(يقبل آنيا وفاريا)** أنا من

جيل الثمانينيات.. لا يمتدحون هذه الفترة ـ ومع ذلك أستطيع القول بأننى عانيت الكثير فى حياتى بسبب المعتقدات ـ ليس صدفة أن الفلاحين يحبوننى. ينبغى أن نعرف الفلاح! ينبغى أن نعرف من أية..

آنـــيـــا: عدت ثانية يا خالى!

فـــاريـــا: اسكت يا خالى أرجوك.

فـــيـــرس: **(بغضب)** ليونيد أندرييفتش!

جـــايـــف: خلاص، خلاص.. ناموا. من الجنبين إلى الوسط! اضرب فى المليان.. **(ينصرف، يتبعه فيرس بخطوات قصيرة)**

آنـــيـــا: أنا الآن مطمئنة. لا أرغب فى الذهاب إلى ياروسلافل، أنا لا أحب جدتى، ولكنى مطمئنة. شكرا لخالى. **(تجلس)**.

فـــاريـــا: ينبغى أن ننام. سأذهب. في غيابك وقعت مشاحنة ففى غرفة الخدم القديمة كما تعلمين يعيش الخدم الشيوخ فقط يفيموشكا، وبوليا ويفستيجنى ثم كارب. وأخذوا يسمحون لأفاقين ما بالمبيت عندهم، وسكت. ولكنى سمعت أنهم أطلقوا إشاعة، بأننى أمرت بإطعامهم حمصا فقط. من شدة بخلى يعنى.. كل هذا من فعل يفستيجنى.. ليكن، قلت لنفسى، طالما هكذا، فمهلا. ناديت يفستيجنى.. **(تتثاءب)** وجاءنى.. فقلت له: كيف

هذا يا يفستيجنى.. يا لك من أحمق.. **(تنظر إلى آنيا)**

آنيا!..

(صمت)

نامت!.. **(تتأبط ذراع آنيا)** لنذهب إلى الفراش.. هيا!..

(تسحبها) عصفورتى نامت! هيا بنا..

(تسيران)

(بعيدا وراء البستان يعزف راع على مزماره. تروفيموف يمر عبر الخشبة، وإذ يرى فاريا وآنيا يتوقف).

فـــاريـــا: هس.. إنها نائمة.. هيا يا حبيبتى.

آنـــيـــا: **(بصوت خافت، شبه حالمة)** كم أنا متعبة.. ترن الأجراس وترن. خالى.. الرقيق.. وماما وخالى..

فـــاريـــا: هيا يا حبيبتى، هيا.. **(تنصرف إلى غرفة آنيا).**

تـروفـيـمـوف: **(بتأثر)** يا شمسى! يا ربيعى!

(ستار)

الفصل الثانى

(حقل. مصلى قديم متهالك مهجور منذ زمن بعيد بجواراه بئر، وأحجار كبيرة كانت فيما مضى، على ما يبدو، شواهد قبور، وأريكة قديمة. يبدو جزء من الطريق إلى ضيعة جايف. إلى اليمين تلوح أشجار حور باسقة مظلمة، ومن هناك يبدأ بستان الكرز. فى البعيد صف من أعمدة البرق، وبعيدا بعيدا، عند الأفق، تلوح بصورة مبهمة ملامح مدينة كبيرة، لا ترى إلا فى الجو الصحو جدا. قريبا ستغرب الشمس. شارلوتا وياشا ودونياشا جالسون على الأريكة. يبيخودوف يقف بجوارهم ويعزف على الجيتار. الجميع مستغرقون فى التفكير، وشارلوتا ترتدى «كسكتة» قديمة. تنزع بندقية الصيد عن كتفها وتسوى أبزيم الحزام).

شـــارلـــوتـــا: (بتفكير) ليس لدىَّ بطاقة شخصية حقيقية، فلا أعرف كم عمرى، ويخيل لى دائما أننى شابة. عندما كنت صبية صغيرة كان أبى وأمى يطوفان بالأسواق ويقدمان عروضا ممتازة. أما أنا فكنت ألعب Salto-Mortale[1]

---

(١) القفزة المميتة (بالإيطالية)، قفزة بهلوانية جريئة. المعرب.

وغيرها من الألعاب. ولما مات بابا وماما أخذتنى سيدة ألمانية إليها وبدأت تعلمنى. حسنا. ثم كبرت، ثم بدأت أعمل مربية أطفال. ولكن من أين أنا، ومن أنا.. لا أعرف.. من هم والداى، ربما لم يكن زواجهما شرعيا.. لا أدرى **(تستخرج من جيبها خيارة وتأكل)** لا أدرى شيئا.

(صمت).

كم أود أن أتحدث، لكن مع من.. ليس لدىَّ أحد.

يبيخـــودوف: **(يعزف على الجيتار ويغنى)** «أنا لا أبالى بالحياة وصخبها، لا فرق بين عداوة وهيام..» ما أجمل العزف على المندولين!

دونـيـاشـا: هذا جيتار وليس مندولين. **(تنظر فى مرآة صغيرة وتضع البودرة).**

يبيخـــودوف: للعاشق الولهان هذا ماندولين.. **(يغنى)** «ما دام حبى يستظل بحبها، وغرام قلبى يلتقى بغرام..».

(ياشا يرد عليه).

شـارلـوتـا: ما أفظع غناء هؤلاء.. أف.. كعواء الذئاب.

دونـيـاشـا: **(لياشا)** بالفعل، يا لها من سعادة أن تسافر إلى الخارج.

يـاشـا: نعم، طبعا. لا يسعنى إلا أن أوافقك **(يتثاءب ثم يشعل سيجارا).**

يبيخـــودوف: معلوم. كل شىء فى الخارج تمام التمام من زمان.

يـــاشـــا: طبعا.

يبيخـــودوف: أنا شخص مثقف، أقرأ شتى الكتب الرائعة، لكنى لا أستطيع أبدا أن أحدد الاتجاه، وما الذى أريده فى الواقع، وهل أعيش أم أنتحر فى الواقع، ومع ذلك أحمل معى دائما مسدسا.. ها هو.. **(يريه المسدس)**.

شـــارلـــوتـــا: خلاص. أنا ذاهبة **(تتقلد البندقية)** أنت يا يبيخودوف شخص ذكى جدا ورهيب جدا، لا بد أن النساء يحببنك بجنون. بررر! (تسير) هؤلاء الأذكياء أغبياء كلهم، ولا يوجد من أتحدث معه.. وحدى، وحدى، دائما وحدى، وليس عندى أحد و.. من أنا، لماذا أنا، لا أحد يدرى **(تنصرف على مهل)**.

يبيخـــودوف: فى الواقع، ودون التطرق إلى جوانب أخرى، ينبغى أن أعرب عن نفسى، فأقول، بالمناسبة، إن القدر يعاملنى دون رحمة، كالعاصفة مع مركب صغير. وبافتراض أننى مخطئ، فلماذا إذن، استيقظت صباح اليوم، مثلا، فإذا على صدرى عنكبوت رهيب الحجم.. بهذا القدر. **(يشير بكلتا يديه)**. وكذلك، تأخذ الكفاس، لكى تشرب، فإذا بك تجد فيه شيئا ما غير لائق إلى أقصى حد، صرصارا مثلا.

(**صمت**).

هل قرأت بوكل؟[1]

(**صمت**).

أريد أن أزعجك يا أفدوتيا فيودوروفنا فى كلمتين.

دونياشا: تكلم.

يبيخودوف: بودى لو بقينا على أنفراد.. (**يتنهد**).

دونياشا: (**بخجل**) حسنا.. لكن أحضر لى أولا إزارى.. إنه بجوار الدولاب.. الجو هنا رطب قليلا..

يبيخودوف: حسنا.. سأحضره.. الآن أعرف ماذا أفعل بالمسدس.. (**يتناول الجيتار وينصرف مداعبا الأوتار**).

ياشا: هذا العشرون مصيبة! شخص غبى، فيما بيننا. (**يتثاءب**).

دونياشا: قد ينتحر، لا قدّر الله.

(**صمت**).

أصبحت قلقة، أنزعج دائما. أخذونى طفلة صغيرة لدى السادة، نسيت حياة البسطاء وها هى يداى بيضاوان بيضاوان، كيدى السيدة. أصبحت رقيقة، مهذبة، نبيلة، أخاف كل شىء.. كم أخاف. لو خدعتنى يا ياشا، فلن أعرف ماذا سيحدث لأعصابى.

ياشا: (**يقبلها**) يا للتفاحة! بالطبع على كل فتاة أن تحافظ على نفسها، أنا لا أطيق الفتاة السيئة السلوك.

---

(١) هنرى توماس بوكل (١٨٢١-١٨٦٢) مؤرخ وعالم اجتماع إنجليزى. **المعرب**.

دونياشا: أنا أحببتك بعنف، أنت متعلم، تستطيع أن تتحدث فى أى موضوع.

(صمت).

ياشا: **(يتثاءب)** نعم.. أنا رأيى: إذا كانت الفتاة تحب أحدا، فمعنى هذا أنها بلا أخلاق.

صمت.

ما ألذ أن تدخن سيجارا فى الهواء الطلق.. **(يصيخ السمع)** أحدهم قادم.. إنهم السادة..

(دونياشا تعانقه باندفاع).

عودى إلى البيت، كأنك كنت تستحمين فى النهر، اذهبى من هذا الطريق، وإلا قابلوك وظنوا أنى كنت معك، فى موعد غرامى. أنا لا أطيق ذلك.

دونياشا: **(تسعل بصوت خافت)** أصبت بصداع من السيجار.. **(تنصرف).**

(ياشا يبقى جالسا بجوار المصلى. تدخل لوبوف أندرييفنا. وجايف ولوباخين).

لوباخين: ينبغى حسم الأمر، ليس هناك وقت. السؤال بسيط جدا. هل توافقون على تأجير الأرض لإقامة الفيلات؟ أجيبوا بكلمة واحدة. نعم، لا؟ كلمة واحدة فقط!

لوبوف أندرييفنا: من الذى يدخن هنا هذه السيجارات الفظيعة.. **(تجلس).**

جايف ها قد مدوا السكة الحديدية فأصبح كل شىء سهلا

(يجلس) سافرنا إلى المدينة وأفطرنا.. الصفراء إلى الوسط! بودى أن أذهب إلى البيت أولا، لألعب دورا..

لوبوف أندرييفنا: فى الوقت متسع.

لوباخين: كلمة واحدة فقط! **(ضارعا)** أعطونى ردا!.

جايف: **(متثائبا)** من؟

لوبوف أندرييفنا: **(تنظر فى حافظة نقودها)** بالأمس كانت النقود كثيرة، واليوم قليلة للغاية. مسكينة فاريا، تطعم الجميع حساء اللبن توفيرا، ولا تقدم للخدم العجائز سوى الحمص، وأنا أبذر بلا معنى. **(تسقط منها الحافظة، تتبعثر النقود الذهبية)** أوه: تبعثرت.. **(تشعر بالأسى)**.

ياشا: بعد إذنك، سأجمعها حالا.. **(يجمع النقود)**.

لوبوف أندرييفنا: لو تكرمت يا ياشا. ما الذى جعلنى أسافر للإفطار.. ما أحقر مطعمكم بموسيقاه، والمفارش تفوح منها رائحة الصابون.. لماذا تفرط فى الشراب يا لونيا؟ لماذا تفرط فى الأكل؟ لماذا تفرط فى الكلام إلى هذا الحد؟ اليوم تحدثت فى المطعم مرة أخرى كثيرا وبلا مناسبة. عن السبعينيات، عن أدباء الانحطاط. ولمن؟ لخدم المطعم تتحدث عن أدباء الانحطاط!.

لوباخين: نعم.

جايف: **(يشيح بيده)** لا أمل فى إصلاحى، هذا واضح.. **(لياشا بعصبية)** ما هذا، ما لك تدور دوما أمام عينىّ..

يـــــاشـــــا: (**يضحك**) لا أستطيع أن أسمع صوتك دون أن أضحك.

جـــايـــف: (**لأخته**) إما أنا، وإما هو..

لوبوف أندرييفنا: اذهب، ياشا، انصرف..

يـــــاشـــــا: (**يعطى الحافظة للوبوف أندرييفنا**) سأذهب حالا. (**يمنع نفسه من الضحك بالكاد**) حالا.. (**ينصرف**).

لـوبـاخـيـن: الثرى ديريجانوف ينوى شراء ضيعتكم. يقال إنه سيحضر المزاد بنفسه..

لوبوف أندرييفنا: وأين سمعت ذلك؟

لـوبـاخـيـن: فى المدينة يتحدثون.

جـــايـــف: العمة فى ياروسلافل وعدت بإرسال نقود، ولكن متى، وكم، لا نعرف..

لـوبـاخـيـن: كم سترسل؟ مائة ألف؟ مائتى ألف؟

لوبوف أندرييفنا: لا.. عشرة أو خمسة عشر ألفا.. ولها الشكر.

لـوبـاخـيـن: عفوا يا سادة ولكنى لم أر بعد أناسا مستهترين، أناسا غير عمليين، وغريبين مثلكم. يقال لكم بالروسية إن ضيعتكم ستباع، وأنتم كأنما لا تفهمون.

لوبوف أندرييفنا: وماذا نفعل؟ علمنا، ما العمل؟

لـوبـاخـيـن: كل يوم أعلمكم. كل يوم أقول لكم نفس الشىء لا بد من تأجير بستان الكرز والأرض لبناء الفيلات، لا بد من القيام بذلك الآن، بسرعة، فالمزاد أوشك!

أفهموا! بمجرد أن تقرروا قرارا نهائيا وبشكل قاطع إقامة الفيلات ستمنحون أى مبلغ تريدون، وهكذا فقد نجوتم.

لوبوف أندرييفنا: الفيلات، والمصطافون.. يا لها من وضاعة، عفوا.

جـــايـــف: أتفق معك تماما.

لــوبــاخــيــن: إما سأنتحب، أو أصرخ، أو يغمى علىّ. لا أستطيع! عذبتمونى! (**لجايف**) أنت امرأة!

جـــايـــف: من؟

لــوبــاخــيــن: امرأة! (**يهم بالانصراف**).

لوبوف أندرييفنا: (**بجزع**) كلا، لا تذهب ابق يا عزيزى. أرجوك. ربما وجدنا حلا ما!

لــوبــاخــيــن: عن أى حل تبحثين!

لوبوف أندرييفنا: لا تذهب أرجوك.. الجو معك أكثر مرحا مع ذلك.. (**صمت**).

طوال الوقت أتوقع شيئا ما كأنما سينهار السقف علينا.

جـــايـــف: (**مستغرقا فى التفكير**) دوبليه إلى الزاوية.. كروازيه إلى الوسط.

لوبوف أندرييفنا: ما أكثر ما ارتكبنا من ذنوب..

لــوبــاخــيــن: أية ذنوب عندك...

جـــايـــف: (**يضع حبة كراملة فى فمه**) يقولون إننى بددت ثروتى كلها على الكراملة.. (**يضحك**).

لوبوف أندرييفنا: أوه، ذنوبى.. كنت دائما أبذر النقود بتهور، كالمجنونة، وتزوجت من رجل لم يصنع سوى الديون فقط. مات زوجى من الشمبانيا، كان يشرب بفظاعة، ولتعاستى أحببت رجلا آخر، وعاشرته، وفى هذا الوقت بالذات. كان ذلك أول عقاب ـ ضربة فى الرأس مباشرة ـ هنا، فى النهر.. غرق ابنى، فسافرت إلى الخارج، سافرت نهائيا لكى لا أعود أبدا، ولا أرى هذا النهر.. أغمضت عينىّ، وركضت، وأنا لا أعى شيئا، وإذا به يتبعنى.. بلا رحمة، بفظاظة. اشتريت فيلا قرب منتونا لأنه مرض هناك، وطوال ثلاث سنوات لم أذق الراحة نهارا أو ليلا. عذبنى المريض، روحى ذبلت.. وفى العام الماضى، عندما بيعت الفيلا سدادا للديون، سافرت إلى باريس، وهناك نهبنى، ثم هجرنى، وصاحب أخرى، فحاولت الانتحار.. يا للحماقة، يا للخزى.. وفجأة أحسست بالشوق إلى روسيا، إلى الوطن، إلى ابنتى.. (**تمسح دموعها**) يا إلهى، يا إلهى الرحمة، اغفر لى ذنوبى! لا تعاقبنى أكثر! (**تخرج من جيبها برقية**) تسلمتها اليوم، من باريس.. يرجو الغفران، ويتوسل أن أعود.. (**تمزق البرقية**) هناك موسيقى تتردد فيما يبدو (**تصيخ السمع**).

جـــايـــف: إنها فرقتنا اليهودية الشهيرة. أتذكرين أربع كمنجات، فلاوت وكونتراباس.

لوبوف أندرييفنا: أما زالت موجودة؟ لو أمكن دعوتها إلينا يوما ما، لإقامة حفلة.

لـوبـاخـيـن: **(يصيخ السمع)** لا أسمع شيئا.. **(يدندن بصوت خافت)** «وبالنقود يُفَرنس الألمان روسيا»، **(يضحك)** يا لها من مسرحية رأيتها أمس فى المسرح، مضحكة جدا.

لوبوف أندرييفنا: لا أظن أنها مضحكة أبدا. ليس لك أن ترى المسرحيات، بل أن تنظر إلى نفسك أكثر. أية حياة رمادية تعيشون أنتم جميعًا، وما أكثر ما تقولون من أشياء لا لزوم لها.

لـوبـاخـيـن: هذا صحيح. لا بد من القول صراحة، إن حياتنا حمقاء..

(صمت)

كان والدى فلاحا، أبله، لم يكن يفقه شيئا فلم يعلمنى، بل كان يضربنى كلما شرب، ودائما بالعصا. وفى الواقع فأنا مثله مغفل وأبله. لم أتعلم شيئا، وخطى فظيع، أكتب كالخنزير، حتى لأشعر بالخزى من الناس.

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى أن تتزوج يا صديقى.

لـوبـاخـيـن: نعم.. هذا صحيح.

لوبوف أندرييفنا: من فتاتنا فاريا. إنها بنت طيبة.

لـوبـاخـيـن: نعم.

لوبوف أندرييفنا: إنها من البسطاء، تعمل طول النهار، والمهم أنها تحبك. ثم أنها تعجبك أنت أيضا من زمان.

لـوبـاخـيـن: طيب.. لا مانع عندى.. إنها فتاة طيبة.

(صمت)

جـايـف: يعرضون عليّ وظيفة فى البنك. بمرتب ستة آلاف فى السنة.. هل سمعتِ؟

لوبوف أندرييفنا: أين أنت وهذا. أجلس هنا..

(يدخل فيرس. أحضر المعطف).

فـيـرس: **(لجايف)** تفضل يا سيدى، ارتد المعطف، فالجو رطب.

جـايـف: **(يرتدى المعطف)** كم أضجرتنى يا أخى.

فـيـرس: دعك من هذا.. سافر صباحا دون أن يقول. **(يتفحصه).**

لوبوف أندرييفنا: كم هرمت يا فيرس!

فـيـرس: أى خدمة؟

لـوبـاخـيـن: تقول إنك هرمت جدا!

فـيـرس: أعيش من زمان. عندما أرادوا أن يزوجونى لم يكن أبوك قد ولد بعد.. **(يضحك)** وعندما ألغيت القنانة كنت أنا وصيفا أول. ولم أوافق على إعتاقى، وبقيت لدى السادة..

(صمت)

أذكر أن الجميع كانوا فرحين، ولكن لماذا، لا أحد يعرف.

لوباخين: كانت الأمور حسنة جدا فى الماضى كانوا على الأقل يجلدون.

فيرس: **(لم يسمع)** وكيف لا. الفلاحون مع السادة، والسادة مع الفلاحين، أما الآن فتفرق كل شىء، لا تفهم شيئا.

جايف: أسكت يا فيرس. علىّ أن أرحل غدا إلى المدينة. وعدونى بتعريفى بجنرال، يمكن أن يقرض بكمبيالة.

لوباخين: لن تتوصل إلى شىء، ولن تسددوا الدين، أؤكد لكم.

لوبوف أندرييفنا: إنه يهذى. ليس هناك أى جنرالات.

(يدخل تروفيموف وآنيا وفاريا).

جايف: ها هم أبناؤنا قادمون.

آنيا: ها هى ماما.

لوبوف أندرييفنا: **(برقة)** تعالى، تعالى.. يا أحبائى.. **(تضم آنيا وفاريا)** آه لو تعلمان كم أحبكما. اجلسا بجوارى. ها هنا.

(الجميع يجلسون).

لوباخين: طالبنا الخالد يسير دائما مع الآنسات.

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: قريبا يبلغ الخمسين، ولا يزال بعد طالبا.

تـروفـيـمـوف: كف عن مزاحك الأحمق.

لــوبــاخــيــن: يا لك من عجيب، لِمَ تغضب؟

تـروفـيـمـوف: لا تتحرش بى.

لــوبــاخــيــن: (**يضحك**) فلتسمح لى أن أسألك، ما رأيك فيّ؟

تـروفـيـمـوف: إننى أفكر هكذا يا يرمولاى أليكسييتش: أنت رجل غنى، عما قريب ستصبح مليونيرا. وكما أن الوحش الكاسر الذى يلتهم كل ما يصادفه فى طريقه، هو ضرورى فى عملية التمثيل الغذائى، فأنت أيضا ضرورى.

(**الجميع يضحكون**).

فـــاريـــا: الأفضل يا بيتيا أن تحدثنا عن الكواكب.

لوبوف أندرييفنا: كلا، هيا نواصل حديث الأمس.

تـروفـيـمـوف: عم تحدثنا؟

جـــايـــف: عن الإنسان الأبىّ.

تـروفـيـمـوف: تحدثنا بالأمس طويلا، لكننا لم نتفق على شىء. فى الإنسان الأبى، بمفهومكم، ثمة شىء غيبى. وربما كنتم على حق من وجهة نظركم، ولكن لو تكلمنا ببساطة، ودون حذلقات، فأى إباء هناك، وأى معنى له، إذا كان الإنسان مركبا فسيولوجيا بطريقة سيئة، وإذا كان، فى غالبيته الساحقة فظا، غير ذكى، تعيسا للغاية. كفى إعجابا بالنفس. ينبغى فقط أن نعمل.

جـــايـــف: ما الفائدة، سنموت.

تـروفـيـمـوف: من يدرى؟ ثم ما معنى «سنموت»؟ ربما كان لدى الإنسان مائة حاسة، وبالموت تموت فقط الحواس الخمس، المعروفة لنا، أما الخمس والتسعون الباقية، فتظل حية.

لوبوف أندرييفنا: كم أنت ذكى يا بيتيا!..

لــوبــاخــيــن: (**بسخرية**) جدا!

تـروفـيـمـوف: البشرية تتقدم وهى تطور قواها. وكل ما هو صعب المنال الآن سيصبح فى وقت ما قريبا، مفهوما، ينبغى فقط أن نعمل، وأن نساعد بكل قوانا كل من يبحث عن الحقيقة. عندنا فى روسيا، حتى الآن، لا يعمل إلا القليلون جدا. أما الغالبية الساحقة من المثقفين الذين أعرفهم فلا يبحثون عن شىء، ولا يفعلون شيئا، وغير قادرين على العمل بعد. يسمون أنفسهم مثقفين ثم يخاطبون الخدم بـ «أنــت»، ويعاملون الفلاحين معاملة الحيوانات، ويتعلمون بصورة سيئة، ولا يقرأون أى شىء بجدية، ولا يفعلون شيئا على الإطلاق، وعن العلم يتحدثون فقط، ولا يفهمون فى الفن إلا القليل. والجميع يبدون جديين، وعلى وجوههم ملامح الصرامة، الجميع لا يتحدثون إلا عما هو هام ويتفلسفون، بينما على مرأى منهم جميعا يأكل العمال أسوأ طعام، وينامون دون وسائد، ثلاثين

أو أربعين شخصا فى الغرفة الواحدة، ومن حولهم البق، والعفونة، والرطوبة، والقذارة الأخلاقية.. ومن الواضح أن كل الأحاديث الجيدة عندنا لا تهدف إلا إلى صرف أنظارنا وأنظار الآخرين. أرونى أين هى دور الحضانة التى يفيضون فى الحديث عنها كثيرا، أين قاعات المطالعة؟ لا تجدها إلا فى الروايات فقط، أما فى الواقع فلا وجود لها. ليس هناك سوى القذارة والابتذال والهمجية.. أنا أخاف السحنات الجدية جدا ولا أحبها، أخاف الأحاديث الجدية. الأفضل أن نصمت!

لوباخين: أتدرى، أنا أستيقظ قبل الخامسة صباحا. وأعمل من الصباح إلى المساء، حسنا، ومعى دائما نقود، نقودى ونقود الآخرين، وأرى أى أناس من حولى. ينبغى فقط أن تبدأ بعمل ما حتى تدرك كم هم قليلون الأشخاص الشرفاء المستقيمون. وأحيانا، عندما ينتابنى الأرق، أفكر: «يا إلهى، لقد أعطيتنا غابات هائلة، وحقولاً لا تحد، وآفاقا لا نهائية، ومن المفروض، ونحن نعيش هنا، أن نكون عمالقة بحق..»

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى عمالقة.. إنهم جيدون فى الحكايات فقط، أما فى الواقع فمخيفون.

(فى عمق خشبة المسرح يمر يبيخودوف وهو يعزف على الجيتار)

(بتفكير) يبيخودوف يسير..

آنـــيـــا: **(بتفكير)** يبيخودوف يسير..

جـــايـــف: الشمس غربت يا سادة.

تـروفـيـمـوف: نعم.

جـــايـــف: **(بصوت خافت، كأنما يلقى)** أيتها الطبيعة الساحرة، أنت تتوهجين ببريق خالد، رائعة ولامبالية، أنت التى نسميك أمنا، تجمعين بين الوجود والعدم، أنت تعيشين وتدمرين..

فـــاريـــا: **(بصوت ضارع)** خالى!

آنـــيـــا: خالى، عدت ثانية!

تـروفـيـمـوف: الأفضل أن تضرب الصفراء فى الوسط دوبليه.

جـــايـــف: قد سكّت، سكت.

(يجلس الجميع مستغرقين فى التفكير. سكون. لا تسمع إلا همهمة فيرس الخافتة. فجأة يتردد صوت بعيد، كأنما من السماء، صوت وتر تمزق، حزينا، متلاشيا).

لوبوف أندرييفنا: ما هذا؟

لـوبـاخـيـن: لا أدرى. يبدو أن سطلا وقع بعيدا فى المناجم. ولكن فى مكان بعيدا جدا.

جـــايـــف: أو ربما كان طائرا ما.. مثل مالك الحزين.

تـروفـيـمـوف: أو بومة..

لوبوف أندرييفنا: **(تنتفض)** أحس بضيق، لست أدرى لماذا.

(**صمت**)

فـــيـــرس: قبيل المصيبة وقع مثل هذا.. صاحت بومة، وأز السماور دون توقف.

جـــايـــف: قبيل أية مصيبة؟

فـــيـــرس: قبيل إلغاء القنانة.

(**صمت**)

لوبوف أندرييفنا: حسنا يا أصدقاء هيا بنا، المساء حل (**لآنيا**) أرى دموعا فى عينيك.. ماذا بك يا بنيتى؟ (**تضمها**)

آنـــيـــا: هكذا يا ماما، لا شىء.

تـروفـيـمـوف: أحدهما قادم.

(**يظهر عابر سبيل فى عمرة بيضاء رثة، يرتدى معطفا، ثمل. قليلا**)

عابـر السـبيل: اسمحوا لى أن أسألكم: هل أستطيع الذهاب من هنا إلى المحطة مباشرة؟

جـــايـــف: نعم تستطيع. سر فى هذا الطريق.

عابـر السـبيل: أشكركم من صميم القلب (**يسعل**) الطقس رائع.. (**يلقى**) يا أخى، يا أخى المعذب.. اخرج إلى الفولجا.. أتسمع الأنين.. (**لفاريا**) مودموازيل، تصدقى على روسى جائع بثلاثين كوبيكا..

(**فاريا تفزع فتصرخ**)

لـوبـاخـيـن: (**بغضب**) قلة الذوق تبقى فى حدود الأدب!

لوبوف أندرييفنا: (**بهلع**) خذ.. هذا لك.. (**تبحث فى حافظة النقود**) ليس هناك فضة.. سيان، خذ ذهبا..

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب! **(ينصرف)**

(ضحك)

فاريا: **(فزعة)** أنا ذاهبة.. أنا ذاهبة.. آه يا ماما، الخدم لا يجدون ما يأكلونه فى البيت، وأنت تعطينه ذهبا.

لوبوف أندرييفنا: ما العمل مع حمقاء مثلى! فى البيت سأعطيك كل ما عندى. يرمولاى أليكسييتش، أقرضنى ثانية!..

لوباخين: حاضر.

لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة، حان الوقت. لقد خطبناك هنا تماما يا فاريا، أهنئك.

فاريا: **(من خلال الدموع)** لا يجوز المزاح بهذا يا أماه.

لوباخين: أوخميليا، أذهبى إلى الدير..

جايف: يداى ترتعشان.. من زمان لم ألعب البلياردو.

لوباخين: أوخميليا، أيتها الحورية، اذكرينى فى صلواتك![1]

لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة. العشاء عما قريب.

فاريا: كم أفزعنى. قلبى يدق بعنف.

لوباخين: أذكركم يا سادة.. فى الثانى والعشرين من أغسطس سوف يباع بستان الكرز. فكروا فى ذلك!.. فكروا!

(ينصرف الجميع ما عدا تروفيموف وآنيا)

آنيا: **(ضاحكة)** شكرا لعابر السبيل، أفزع فاريا، فأصبحنا وحدنا.

---

(١) لوباخين يستشهد بعبارات من مسرحية «هملت» لشكسبير، إلا أنه يحرف اسم «أوفيليا» إلى «أوخميليا». المعرب.

تـروفـيـمـوف: فاريا تخشى أن نحب بعضنا بعضا، ولذلك لا تتركنا وحدنا. إنها لا تستطيع بعقلها الضيق أن تفهم أننا أسمى من الحب. أن نتجنب تلك التوافه والأوهام التى تعوقنا عن أن نكون أحرارا وسعداء.. هذا هو هدف حياتنا ومغزاها. إلى الأمام! إننا نمضى دون هوادة إلى النجم الساطع الذى يضىء فى الأفق! إلى الأمام! لا تتخلفوا يا أصدقاء!

آنـــيــــا: (**تشيح بيديها**) ما أروع كلماتك!

(**صمت**)

الجو هنا ساحر اليوم!

تـروفـيـمـوف: نعم، الجو مدهش.

آنـــيــــا: ماذا فعلت بى يا بيتيا حتى لم أعد أحب بستان الكرز كما فى السابق. كنت أحبه برقة، وكان يخيل إلىَّ أنه لا يوجد فى الأرض مكان أفضل من بستاننا.

تـروفـيـمـوف: روسيا كلها بستاننا. الأرض كبيرة ورائعة، وفيها الكثير من الأماكن الساحرة.

(**صمت**)

فكرى يا آنيا.. جدك، وأبو جدك، وكل أسلافك كانوا إقطاعيين، يملكون النفوس الحية.. انظرى إلى البستان، ألا ترين مخلوقات بشرية تحدق فيك من كل شجرة كرز، من كل ورقة، من كل جذع، ألا تسمعين

أصواتهم.. إن تملك النفوس الحية هو الذى أفسدكم جميعا، من عاش قبلا، ومن يعيش الآن، حتى إنكم لا تلاحظون،لا أمك، ولا أنت، ولا خالك، أنكم تعيشون بالدين، على حساب الغير، على حساب أولئك الأشخاص الذين لا تسمحون لهم بتجاوز مدخل بيتكم.. لقد تخلفنا مائتى عام على الأقل، وليس لدينا بعد أى شيء على الإطلاق، ليس لدينا موقف واضح من الماضى، إننا نتفلسف فقط، ونشكو من الوحشة أو نشرب الفودكا. ولكن من الواضح تماما أنه لكى نبدأ الحياة فى الحاضر، علينا أولا أن نكفّر عن ماضينا، أن نفرغ منه، ولن يمكن التكفير عنه إلا بالعذاب وحده، بالكد الفائق والمستمر فحسب. افهمى هذا يا آنيا.

آنـــــيـــــا: البيت الذى نسكنه لم يعد بيتنا من زمان، وسأرحل عنه، أعدك بذلك.

تـروفـيـمـوف: إذا كانت مفاتيح الكرار لديك، ألقى بها فى البئر وارحلى. كونى حرة كالريح.

آنـــــيـــــا: **(بإعجاب)** ما أروع ما قلت!

تـروفـيـمـوف: صدقينى يا آنيا، صدقينى! أنا لم أبلغ الثلاثين بعد، مازلت شابا، ما زلت طالبا، ولكن كم قاسيت! كل شتاء أجوع، وأمرض، وأصبح مهموما، فقيرا كشحاذ و.. ما أكثر ما ألقت بى المقادير، وكم طفت بأماكن!

ولكن روحى ظلت دائما، فى كل لحظة ليلا ونهارا، مفعمة بالهواجس الغامضة. إننى أشعر باقتراب السعادة يا آنيا، ها أنذا أراها..

آنـــــيـــــا: (**مستغرقة فى التفكير**) طلع القمر.

(يسمع عزف يبيخودوف على الجيتار، نفس اللحن الحزين يطلع القمر. فاريا تبحث عن آنيا قرب أشجار الحور وتنادى):

«آنيا، أين أنت؟»

تـروفـيـمـوف: نعم، طلع القمر.

(صمت)

ها هى السعادة، ها هى تسير، تقترب أكثر فأكثر، إننى أسمع خطواتها. فإذا لم نرها، لم نخبرها، لا يهم. سيراها غيرنا!

(صوت فاريا: «آنيا، أين أنت؟»)

فاريا هذه مرة أخرى! (**بغضب**) يا للصفاقة!

آنـــــيـــــا: ما العمل؟ هيا بنا إلى النهر. المكان هناك لطيف.

تـروفـيـمـوف: هيا بنا.

(يذهبان)

صوت فاريا: «آنيا! آنيا!»

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة جلوس يفصلها عن الصالة قوس. النجفة مضاءة. يسمع فى المدخل عزف الفرقة اليهودية التى ورد ذكرها فى الفصل الثانى. الوقت مساء. فى الصالة يرقصون grand-rond. صوت سيميونوف ـ بيشيك «Promenade à une Paire!» يخرجون من الصالة إلى غرفة الجلوس أزواجا: الزوج الأول بيشيك وشارلوتا إيفانوفنا، الزوج الثانى تروفيموف ولوبوف أندرييفنا، الزوج الثالث آنيا مع موظف بريد، الزوج الرابع فاريا مع ناظر المحطة... إلخ. فاريا تبكى بصوت خافت، وتمسح دموعها أثناء الرقص. فى الزوج الأخير دونياشا. يسيرون عبر غرفة الجلوس، بيشيك يصيح: «Grand-rond, balancez!» و«Les cavaliérs à genoux et remerciez vos dames!»[1] فيرس مرتديا الفراك يحمل المياه المعدنية على صينية. يدخل غرفة الجلوس بيشيك وتروفيموف).

بـيـشـيـك: أنا ممتلئ الدم، أصبت بالسكتة مرتين، والرقص صعب علىّ، لكن، كما يقال، بين كلاب الصيد إذا

---

(١) أسماء حركات رقصة. grand-rond («الحلقة الكبيرة») بالفرنسية. **المعرب**.

لم تنبح فحرك ذيلك. إننى قوى كحصان. المرحوم والدى، كان مازحا، عليه الرحمة، كان يدعى بخصوص أصلنا أن سلالة سيميونوف بيشيك العريقة تنحدر، حسبما قال، من ذلك الحصان الذى عينه كاليجولا فى مجلس الشيوخ[1]... (**يجلس**) لكن المصيبة أنى مفلس! الكلب الجائع لا يحلم إلا باللحم.. (**ينعس ويشخر، ويستيقظ على الفور**) وهكذا أنا.. لا أستطيع أن أتكلم إلا عن النقود..

تروفيموف: بالفعل هناك فى هيئتك شىء حصانى.

بيشيك: لا بأس.. الحصان حيوان طيب.. الحصان يمكن بيعه..

(يسمع صوت اللعب بالبلياردو فى الغرفة المجاورة. تظهر فاريا فى الصالة تحت القوس)

تروفيموف: (**يغيظها**) مدام لوباخينا! مدام لوباخينا!..

فاريا: (**بغضب**) السيد الباهت!

تروفيموف: نعم، أنا سيد باهت، وأفخر بذلك!

فاريا: (**بتفكير مرير**) ها قد استأجروا العازفين، فمن أين ندفع لهم؟ (**تنصرف**).

تروفيموف: (**لبيشيك**) لو أن المجهود الذى بذلته طوال حياتك بحثا عن النقود لسداد فوائد الديون، كرسته لشىء آخر، لاستطعت غالبا فى نهاية الأمر أن تقلب الأرض.

---

(١) كاليجولا ـ إمبراطور رومانى (١٢ـ ٤١ بعد الميلاد) اشتهر بقسوته وتبذيره. أراد أن يظهر احتقاره لمجلس شيوخ روما فعين حصانه قنصلا. **المعرب**.

بيشيك: نيتشه.. من أعظم الفلاسفة وأشهرهم.. رجل جبار العقل.. يدعى فى مؤلفاته أنه يجوز صنع النقود المزيفة.

تروفيموف: وهل قرأت نيتشه؟

بيشيك: يعنى.. داشنكا أخبرتنى. أنا الآن فى وضع لا يبقى لى فيه إلا أن أزيف النقود.. علىّ أن أسدد بعد غد ثلاثمائة وعشرة روبلات.. دبرت منها مائة وثلاثين.. (**يتحسس جيوبه، يقول بقلق**) النقود ضاعت! ضيعت النقود! (**من خلال الدموع**) أين النقود؟ (**بفرح**) ها هى، خلف البطانة.. أوه، لقد عرقت..

(تدخل لوبوف أندرييفنا وشارلوتا إيفانوفنا)

لوبوف أندرييفنا: (**تدندن رقصة ليزجنكا**)[1] لماذا تأخر ليونيد إلى هذا الحد؟ ماذا يفعل فى المدينة؟ (**لدونياشا**) دونياشا، قدمى الشاى للعازفين..

تروفيموف: يبدو أن المزاد لم يتم فى الغالب.

لوبوف أندرييفنا: جاء الموسيقيون فى غير وقتهم والحفل أقمناه فى غير وقته.. لا بأس.. (**تجلس وتدندن بصوت خافت**).

شارلوتا: (**تقدم لبيشيك شدة أوراق لعب**) خذ شدة الأوراق. اختر لنفسك ورقة سرا.

بيشيك: اخترت.

---

(١) رقصة قوقازية سريعة الإيقاع. المعرب.

شارلوتا: فنط الشدة إذن. عظيم جدا. أعطها لى يا سيدى العزيز بيشيك. Ein, zwei. drei![1]. والآن ابحث عنها فى جيب سترتك..

بيشيك: **(يستخرج الورقة من جيبه)** الثمانية البستونى، بالضبط! **(مندهشا)** يا سلام!.

شارلوتا: **(تضع الشدة على راحتها، لتروفيموف)** قل بسرعة، أية ورقة فى الأعلى؟

تروفيموف: حسنا.. لنقل، البنت البستونى.

شارلوتا: بالضبط! **(لبيشيك)** هه؟ أية ورقة فى الأعلى؟

بيشيك: الآس الكوبة.

شارلوتا: بالضبط! **(تضرب على راحتها فتختفى شدة الأوراق)** ما أجمل الجو اليوم!

(يرد عليها صوت نسائى غامض، كأنما من تحت الأرض):

«أوه، نعم يا سيدتى، الطقس رائع».

ما أجملك يا مثالى الأعلى..

الصوت: «وأنت يا سيدتى أعجبتنى جدا».

ناظر المحطة: **(مصفقا)** السيدة المتكلمة من بطنها، برافوا!

بيشيك: **(مندهشا)** يا سلام! شارلوتا إيفانوفنا الساحرة.. أنا وقعت فى حبك..

شارلوتا: وقعت فى حبى؟ **(تهز كتفيها)** وهل أنت قادر

---

(١) واحد،، اثنان، ثلاثة ـ بالألمانية فى الأصل.

على الحب؟ Guter Mensch, aber schlechter[1] Musikant

تروفيموف: (يربت على كتف بيشيك) يا لك من حصان..

شارلوتا: أرجو الانتباه، نمرة أخرى (**تناول حراما من على الكرسى**) ها هو حرام جيد جدا، أريد أن أبيعه.. (**تنفضه**) ألا يرغب أحدكم أن يشتريه؟

بيشيك: (**مندهشا**) يا سلام!

شارلوتا: !Ein, zwei, drei (**ترفع الحرام المدلى بسرعة. خلف الحرام تقف آنيا. تحيى بانحناءة، وتجرى نحو أمها فتعانقها ثم تعود إلى الصالة ركضا يصاحبها إعجاب الجميع**).

لوبوف أندرييفنا: (**مصفقة**) برافو، برافوا!..

شارلوتا: ونمرة أخرى !Ein, zwei, drei (**ترفع الحرام. خلف الحرام تقف فاريا وهى تحيى بانحناءة**).

بيشيك: (**مندهشا**) يا سلام!

شارلوتا: خلاص! (**تلقى بالحرام على بيشيك، وتحيى بانحناءة، وتركض إلى الصالة**).

بيشيك: (**يسرع وراءها**) العفريتة... أرأيتم؟ أرأيتم؟ (**يخرج**).

لوبوف أندرييفنا: ليونيد لم يعد للآن. ما الذى يفعله فى المدينة كل هذه المدة، لا أفهم! لقد انتهى كل شىء هناك، والضيعة بيعت. أو لم يجر المزاد، فلماذا يجعلنى أتخبط فى الجهل طول هذه المدة!

---

(١) رجل طيب ولكن موسيقار سيىء. (بالألمانية فى الأصل).

فاريا: **(تحاول طمأنتها)** خالى اشتراها، أنا واثقة.

تروفيموف: **(باستهزاء)** نعم.

فاريا: الجدة أرسلت له توكيلا ليشترى باسمها مع تحويل الديون إليها. فعلت هذا من أجل آنيا. وأنا واثقة، إن شاء الله، خالى سيشترى الضيعة.

لوبوف أندرييفنا: الجدة فى ياروسلافل أرسلت خمسة عشر ألفا لشراء الضيعة باسمها، فهى لا تثق بنا، ولكن هذا المبلغ لا يكفى حتى لسداد الفوائد. **(تغطى وجهها بيديها)** مصيرى يتقرر اليوم، مصيرى...

تروفيموف: **(يغيظ فاريا)** مدام لوباخينا!

فاريا: **(بغضب)** الطالب الأبدى! طردوك مرتين من الجامعة.

لوبوف أندرييفنا: مالك تغضبين يا فاريا؟ لأنه يغيظك بلوباخين، وماذا فى ذلك؟ إذا شئت تزوجيه، إنه شخص طيب، طريف، وإذا لم تشائى لا تتزوجيه لا أحد يرغمك ياروحى...

فاريا: أنا أنظر إلى هذه المسألة بجدية يا ماما، وإذا شئت الصراحة. إنه رجل طيب، يعجبنى.

لوبوف أندرييفنا: إذن تزوجيه. فيم الانتظار، لست أفهم!

فاريا: ماما، لا يمكن أن أتقدم أنا لخطبته. منذ سنتين والجميع يحدثوننى عنه، الجميع ولكنه إما يسكت وإما يمزح. أنا

فاهمة، إنه يجمع الثروة، مشغول بعملة عنى، لا وقت عنده. آه لو معى نقود، ولو قليلا، ولو مائة روبل، لتركت كل شىء ورحلت بعيدا. لدخلت الدير.

تروفيموف: يا للجلال!

فاريا: (لتروفيموف) على الطالب أن يكون ذكيا! **(بنبرة ناعمة، وهى تبكى)** كم أصبحت قبيحا يا بيتيا، كم هرمت! **(للوبوف أندرييفنا، وقد كفت عن البكاء)** لكنى لا أستطيع البقاء بلا عمل يا ماما.. يلزمنى فى كل لحظة أن أعمل شيئا ما.

(يدخل ياشا)

ياشا: **(لا يكاد يقوى على كتم ضحكه)** يبيخودوف كسر عصا البلياردو!.. **(ينصرف)**.

فاريا: ولماذا يبيخودوف هنا؟ من سمح له بلعب البلياردو؟ لا أفهم هؤلاء الناس.. **(تنصرف)**.

لوبوف أندرييفنا: لا تغظها يا بيتيا، ألا ترى، يكفيها ما هى فيه من همّ.

تروفيموف: إنها مجتهدة جدا، تحشر أنفها فيما لا يخصها. طوال الصيف لم تتركنا لحظة، لا أنا ولا آنيا، كانت تخشى أن تنشأ بيننا علاقة غرامية. ماشأنها؟ ثم إنه لم يبدر منى شىء، إننى جد بعيد عن الابتذال. نحن أسمى من الحب!

لوبوف أندرييفنا: أما أنا، فالظاهر، أدنى من الحب. **(فى قلق شديد)** لماذا

تأخر ليونيد؟ لو أعرف فقط هل بيعت الضيعة أم لا؟ المصيبة تبدو لى غير محتملة إلى درجة أننى لا أعرف حتى كيف أفكر، عقلى يتشتت.. قد أصرخ الآن.. قد أرتكب حماقة. أنقذنى يا بيتيا. قل شيئا، قل..

تروفيموف: أليس سيان أن بيعت الضيعة اليوم أو لم تبع؟ لقد انتهى أمرها من زمان، ولا عودة إلى الوراء، اندثر الدرب. اطمئنى يا عزيزتى. لا داعى. لا داعى لأن تخدعى نفسك، ينبغى، ولو مرة فى العمر، أن تواجهى الحقيقية مباشرة.

لوبوف أندرييفنا: أية حقيقة؟ أنت ترى أين الحقيقة وأين الكذب ولكنى لا أرى شيئا، كأنما فقدت بصرى. أنت تحل جميع المشاكل الهامة بجرأة، ولكن قل لى يا عزيزى، ألا يرجع ذلك إلى كونك شابا، وإلى أنك لم تعان مشكلة من مشاكلك هذه؟ أنت تتطلع إلى الأمام بجرأة، أفلا يرجع ذلك إلى أنك لا ترى ولا تتوقع أى شىء رهيب، إذ إن الحياة ما زالت خافية عن عينيك الشابتين؟ أنت أجرأ، وأشرف، وأعمق منا، ولكن أمعن النظر، كن سمحا ولو قدر أنملة وأشفق علىّ. أنا ولدت هنا، وهنا عاش أبى وأمى، وجدى، أنا أحب هذا البيت، وبدون بستان الكرز لا أفهم معنى لحياتى وإذا كان لا بد من بيع البستان، فلتبيعونى معه.. **(تعانق تروفيموف وتقبله**

في جبينه) وابنى غرق هنا.. (تبكى) أشفق علىّ، أيها الرجل الطيب الخيرّ.

تـروفـيـمـوف: أنت تعلمين، أنا متعاطف من كل قلبى.

لوبوفأندرييفنا: لكن ينبغى قول هذا بصورة أخرى.. (**تخرج منديلها فتسقط برقية على الأرض**) كم أشعر اليوم بانقباض نفسى، أنت لا تستطيع أن تتصور. هنا بالنسبة لى صخب، وروحى ترتجف من كل صوت، بدنى كله يرتجف، لكنى لا أستطيع الذهاب إلى غرفتى، أخاف من البقاء وحدى فى السكون. لا تقس فى حكمك علىّ يا بيتيا.. إننى أحبك كابنى. وكان من الممكن أن أزوجك آنيا بكل سرور، أقسم لك، ولكن ينبغى يا عزيزى أن تدرس، ينبغى أن تنهى الجامعة. إنك لا تفعل شيئا، والمقادير تلقى بك من مكان إلى آخر، ما أغرب هذا.. أليس كذلك؟ نعم؟ ثم ينبغى أن تفعل شيئا بلحيتك، لكى تنمو بصورة ما.. (**تضحك**) أنت مضحك!

تـروفـيـمـوف: (**يرفع البرقية**) أنا لا أريد أن أكون جميلا.

لوبوفأندرييفنا: هذه برقية من باريس. كل يوم تصلنى برقيات. أمس، واليوم. هذا الرجل المتوحش مرض ثانية، ساءت حالته ثانية.. يرجو أن أسامحه، يتوسل أن أذهب إليه، وفى الحقيقة كان ينبغى علىّ أن أسافر إلى باريس، لكى

أكون بجواره. إن وجهك صارم يا بيتيا، ولكن ما العمل يا عزيزى، ماذا أفعل، إنه مريض، وحيد، تعيس، فمن سيعنى به هناك؟، من يحميه من الأخطاء؟، من يقدم له الدواء فى أوانه؟ وما فائدة الكتمان أو السكوت، إننى أحبه، هذا واضح. أحبه، أحبه.. إنه حجر فى عنقى، يشدنى معه إلى القاع، ولكنى أحب هذا الحجر، ولا أقوى على العيش بدونه. **(تضغط على يد تروفيموف)** لا تسئ بى الظن يا بيتيا، لا تقل لى شيئا، لا تقل..

تروفيموف: **(من خلال الدموع)** اغفرى لى صراحتى، بالله عليك، ولكنه نهبك!

لوبوف أندرييفنا: كلا، كلا، كلا، لا تتكلم هكذا.. **(تسد أذنيها)**.

تروفيموف: ولكنه وغد، أنت وحدك لا تعرفين هذا! وغد حقير، تافه..

لوبوف أندرييفنا: **(مغضبة ولكن بضبط أعصاب)** سنك ست وعشرون أو سبع وعشرون سنة، وما زلت تلميذا فى السنة الثانية!

تروفيموف: فليكن!

لوبوف أندرييفنا: ينبغى أن تكون رجلا، فى سنك ينبغى أن تفهم من يحب. وينبغى أن تحب بنفسك.. ينبغى أن تعشق! **(بغضب)** نعم، نعم! وليس فى روحك طهارة بل تظاهر تافه بالطهر. أنت غريب، مضحك، مسخ..

تـروفـيـمـوف: (**مرتاعا**) ماذا تقول!

لوبوف أندرييفنا: «أنا أسمى من الحب!» لست أسمى من الحب بل أنت ببساطة، كما يقول فيرس، مغفل. شاب فى سنك وليس لديه عشيقة!..

تـروفـيـمـوف: (**مرتاعا**) هذا فظيع! ماذا تقول؟!

(**يسير بسرعة إلى الصالة وقد وضع رأسه بين يديه**) هذا فظيع... لا أستطيع، سأرحل.. (**ينصرف ويعود فورا**) كل شىء انتهى بيننا! (**ينصرف إلى المدخل**).

لوبوف أندرييفنا: (**تصرخ فى أثره**) بيتيا، انتظر! يالك من مضحك، أنا كنت أمزح! بيتيا!

(**يسمع وقع خطوات شخص ما سريعة على الدرج عند المدخل، ثم يسقط فجأة بدوى. آنيا وفاريا تصرخان، وعلى الفور يسمع ضحكهما**).

ماذا هناك؟

(**تدخل آنيا راكضة**).

آنـيـا: (**ضاحكة**) بيتيا سقط من على الـدرج! (**تنصرف ركضا**).

لوبوف أندرييفنا: ياله من غريب الأطوار بيتيا هذا..

(**ناظر المحطة يقف وسط الصالة ويقرأ قصيدة «الخاطئة» لأليكسى تولستوى**[1]. **الحاضرون يصغون**

---

(١) أليكسى تولستوى (١٨١٧ ـ ١٨٧٥) شاعر روسى، اشتهرت قصيدته «الخاطئة» عن المرأة الضالة التى غفر لها المسيح ذنوبها. المعرب.

إليه، ولكن ما إن يقرأ بضعة أبيات حتى تتناهى من المدخل أنغام الفالس فتنقطع القراءة. الجميع يرقصون. يمر من المدخل تروفيموف وآنيا وفاريا ولوبوف أندرييفنا).

يابيتيا، أيها الروح الطاهرة.. أرجو المغفرة.. هيا بنا نرقص **(ترقص مع بيتيا).**

(آنيا وفاريا ترقصان يدخل فيرس، يضع عصاه بجوار الباب الجانبي. ياشا أيضا يدخل من غرفة الجلوس وينظر إلى الراقصين).

ياشا: ماذا يا جدى؟

فيرس: أشعر بوعكة. فى الماضى كان يرقص فى حفلاتنا الجنرالات والبارونات والأميرالات، واليوم ندعو موظف البريد وناظر المحطة، وحتى هؤلاء يأتون على مضض. ضعفت قواى. السيد المرحوم، الجد، كان يداوى الجميع بالشمع الأحمر، من كل الأمراض. وأنا أتناول الشمع الأحمر كل يوم، منذ حوالى عشرين سنة، وربما أكثر. ربما مازلت حيا بسببه.

ياشا: أضجرتنى يا جدى **(يتثاءب)** إن شاء الله تفطس بسرعة.

فيرس: أخص.. مغفل! **(يدمدم).**

(تروفيموف ولوبوف أندرييفنا يرقصان فى الصالة ثم فى غرفة الجلوس).

لوبوف أندرييفنا: Merci، سأجلس... (**تجلس**) تعبت.

(تدخل آنيا)

آنيا: (**بانفعال**) هناك رجل فى المطبخ قال الآن إن بستان الكرز قد بيع اليوم.

لوبوف أندرييفنا: لمن بيع؟

آنيا: لم يقل لمن. لقد ذهب (**تراقص تروفيموف، كلاهما يبتعدان إلى الصالة**).

ياشا: شيخ ما هو الذى تحدث هناك. شخص غريب.

فيرس: وليونيد أندرييتش لم يعد بعد. ارتدى معطفا خفيفا، معطف الخريف، فى أية لحظة قد يصاب بالبرد، شباب طائش!

لوبوف أندرييفنا: سأموت الآن. اذهب، ياشا، واعرف لمن بيع.

ياشا: لكن العجوز ذهب منذ وقت طويل. (**يضحك**).

لوبوف أندرييفنا: (**بأسى خفيف**) وماذا يضحكك؟ ما الذى يسرك؟

ياشا: يبيخودوف مضحك جدا. شخص فارغ. عشرون مصيبة.

لوبوف أندرييفنا: فيرس، لو بيعت الضيعة فإلى أين تذهب؟

فيرس: سأذهب إلى حيث تأمرون.

لوبوف أندرييفنا: ما بال وجهك هكذا؟ هل أنت مريض؟ هلا ذهبت إلى الفراش..

فيرس: نعم.. (**بسخرية**) إذا ذهبت إلى الفراش فمن غيرى

سيخدم ومن سيتصرف؟ أنا وحدى لخدمة البيت كله.

يـــــاشـــــا: **(للوبوف أندريفنا)** لوبوف أندرييفنا، اسمحى لى برجاء لو تكرمت. إذا سافرت ثانية إلى باريس فلتأخذينى معك، أصنعى معروفا. لا يمكننى أبدا أن أبقى هنا **(يتلفت، ثم بصوت خافت)** ما جدوى الكلام؟ أنت ترين بنفسك، بلد جاهل، وناس بلا أخلاق، وفوق ذلك الضجر، والأكل فى المطبخ فظيع، ثم فيرس هذا يسير ويدمدم بشتى الكلمات غير المناسبة. خذينى معك لو تكرمت!

(يدخل بيشيك)

بـيـشـيـك: اسمحى لى أن أرجوك.. لرقصة الفالس يا سيدتى الرائعة.. **(لوبوف أندرييفنا تمضى معه)** أيتها الساحرة، سآخذ منك مع ذلك مائة وثمانين روبلا.. سآخذ.. **(يرقص)** مائة وثمانون روبلا..

(ينتقلان إلى الصالة)

يـــــاشـــــا: **(يدندن بصوت خافت)** «هل تدركين عذاب قلبى...»

(في الصالة شخص فى قبعة أسطوانية رمادية وسروال كاروهات يشيح بيديه ويقفز. صيحات: «برافو شارلوتا إيفانوفنا!»)

دونـيـاشـا: **(تتوقف لتضع البودرة)** السيدة تأمرنى أن أرقص،

فالمراقصون كثيرون والسيدات قليلات، بينما رأسى يدور من الرقص، وقلبى يدق يا فيرس نيكولايفتش، الآن قال لى موظف البريد كلاما بهر أنفاسى.

(الموسيقى تهدأ)

فيرس: وما الذى قاله لك؟

دونيشا: قال أنت كالزهرة.

ياشا: يا للجهل.. **(ينصرف)**.

دونياشا: كالزهرة.. أنا فتاة حساسة جدا، أموت فى الكلام الرقيق.

فيرس: ستقعين، يا فتاة.

(يدخل يبيخودوف)

يبيخودوف: أنت لا تريدين أن ترينى يا أفدوتيا فيودورفنا... كأنما أنا حشرة.. **(يتنهد)** آه، دُنيا!

دونياشا: أى خدمة؟

يبيخودوف: لا شك أنكِ ربما كنتِ على صواب. **(يتنهد)** ولكن بالطبع، لو نظرنا من وجهة نظر، فإنك، ولأسمح لنفسى بهذا التعبير، وعفوا على الصراحة، قد جعلتنى تماما فى حالة الروح. إننى أعرف حظى، وكل يوم تحل بى مصيبة ما، وقد تعودت ذلك منذ وقت بعيد، وأصبحت أنظر إلى مصيرى بابتسامة. لقد وعدتنى، رغم أنى..

دونياشا: أرجوك، سنتحدث فيما بعد، أما الآن فدعنى وشأنى. إننى الآن أحلم. (**تعبث بالمروحة**).

يبيخودوف: كل يوم تحل بى مصيبة بينما أنا، وسأسمح لنفسى بهذا التعبير، أبتسم فحسب، بل حتى أضحك.

(تدخل فاريا من الصالة)

فاريا: أما زلت هنا يا سيميون؟ يالك من شخص غير محترم! (**لدونياشا**) انصرفى أنت يا دونياشا. (**ليبيخودوف**) تارة تلعب البلياردو فتكسر العصا، وتارة تتمخطر فى غرفة الجلوس كضيف.

يبيخودوف: اسمحى أن أعرب لك أنك لا تستطيعين أن تحاسبينى.

فاريا: أنا لا أحاسبك بل أكلمك. لا تعرف سوى أن تتنقل من مكان إلى مكان ولا تفعل شيئا. نستخدم وكيل أعمال، فلأى غرض..؟ لا نعرف.

يبيخودوف: (**بزعل**) إن كنت أعمل، أم أنتقل، أم آكل، أم ألعب البلياردو، فهذه مسائل لا يستطيع أن يناقشها إلا من هم أكبر، وأكثر فهما.

فاريا: وتجرؤ على أن تقول لى هذا! (**باحتداد**) أتجرؤ؟ إذن أنا لا أفهم شيئا؟ غُر من هنا فورا!

يبيخودوف: (**وقد جبن**) أرجوك أن تعبرى بكلمات رقيقة.

فاريا: (**منفجرة**) غر من هنا فورا! غر!

(يسير نحو الباب وهى تتبعه)

يا عشرين مصيبة! إياك أن تبقى هنا! إياك أن تراك عينى!

(يبيخودوف يخرج. يسمع صوته من وراء الباب):

«سوف أشكوك»

آه، تعود؟ **(تمسك العصا التى وضعها فيرس بجوار الباب)** تعال.. تعال.. تعال وسأريك.. آه، تأتى؟ تأتى؟ إذن خذ.. **(تهوى بالعصا فى اللحظة التى يدخل فيها لوباخين).**

لوباخين: أشكرك من صميم القلب.

فاريا: **(بغضب وسخرية)** لا مؤاخذة.

لوباخين: لا بأس. أشكرك من صميم القلب على كرم الضيافة هذا.

فاريا: لا داعى للشكر **(تبتعد ثم تلتفت وتسأل بنعومة)** ألم أصبك بجرح؟

لوباخين: كلا، لا بأس. ولكن سيبرز ورم هائل.

أصوات فى الصالة: «لوباخين وصل! يرمولاى أليكسييتش!»

بيشيك: رأينا وسمعنا.. **(يتبادل القبل مع لوباخين)** تفوح منك رائحة الكونياك يا عزيزى، يا روحى. ونحن أيضا نمرح هنا.

(تدخل لوبوف أندرييفنا)

لوبوف أندريفنا: أهو أنت يا يرمولاى أليكسييتش؟ لماذا تأخرتم هكذا؟ أين ليونيد؟

لوباخين: ليونيد أندرييتش جاء معى، إنه قادم..

لوبوف أندريفنا: **(بقلق)** ماذا هناك؟ تمّ المزاد؟ تكلم!

لوباخين: **(محرجا، يخشى إظهار فرحته)** المزاد انتهى فى حوالى الرابعة.. تأخرنا على القطار، فاضطررنا للانتظار إلى التاسعة والنصف **(يتنهد بمعاناة)** أف! رأسى يدور قليلا..

(يدخل جايف، فى يده اليمنى مشتريات، وباليسرى يمسح دموعه).

لوبوف أندريفنا: لونيا، ماذا؟ لونيا، قل **(بنفاد صبر، تبكى)** بسرعة بالله عليك..

جايف: **(لا يرد عليها، فقط يشيح بيده، يقول لفيرس باكيا)** خذ، أمسك.. هنا أنشوجا وفسيخ من كيرتش.. أنا لم آكل شيئا اليوم.. كم تعذبت!

(باب غرفة البلياردو مفتوح، تسمح ضربات الكرات وصوت ياشا: «سبعة وثمانية عشر!» يتغير تعبير وجه جايف، ولا يعود يبكى).

تعبت جدا. هلا جعلتنى أغير ملابسى يا فيرس. **(ينصرف إلى غرفته عبر الصالة، وفيرس يتبعه)**

بيشيك: ماذا حدث فى المزاد؟ تكلم!

لوبوف أندريفنا: هل بيع بستان الكرز؟

لــوبــاخــيــن: بيع.

لوبوف أندرييفنا: من اشتراه؟

لــوبــاخــيــن: أنا اشتريته.

(صمت)

(لوبوف أندرييفنا مقهورة. لو لم تكن واقفة بجوار الكرسى والطاولة لسقطت. فاريا تنزع المفاتيح من خصرها وتلقى بها على الأرض فى وسط غرفة الجلوس وتنصرف).

أنا اشتريته! مهلا يا سادة، لو تكرمتم، رأسى يدور، ولا أستطيع أن أتكلم... (**يضحك**) وصلنا إلى المزاد، فإذا ديرجانوف هناك. كان مع ليونيد أندرييتش خمسة عشر ألفا فقط، أما ديرجانوف فقد عرض فوق الدين ثلاثين ألفا على الفور. عندما وجدت المسألة هكذا اشتبكت معه، وعرضت أربعين. فعرض خمسة وأربعين. فعرضت خمسة وخمسين. كان يرفع بالخمسة يعنى، وأنا بالعشرة.. حسنا، انتهى. عرضت فوق الدين تسعين، فرسا المزاد علىّ. أصبح بستان الكرز لى! لى! (**يقهقه**) يا إلهى، ياربى، بستان الكرز لى! قولوا لى إننى سكران، إننى مجنون، إن هذا كله يخيل إلىّ.. (**يدق بقدميه**) لا تضحكوا منى! لو نهض أبى وجدى من قبريهما ونظرا إلى كل ما حدث، وكيف اشترى ابنهما يرمولاى، يرمولاى المضروب، شبه الأمى،

الذى كان يركض حافى القدمين فى الشتاء، كيف اشترى يرمولاى هذا ضيعة ليس هناك أروع منها فى الدنيا. أنا اشتريت الضيعة التى كان أبى وجدى عبدين فيها، وحيث لم يكن يسمح لهما حتى بدخول المطبخ. إننى نائم، وهذه مجرد تهيؤات، هذا يبدو لى فحسب.. هذا ثمرة خيالك الملفوفة بظلام المجهول.. **(يرفع المفاتيح ويبتسم برقة)** ألقت بالمفاتيح، تريد أن ترينى أنها لم تعد ربة البيت هنا... **(يصلصل بالمفاتيح)** حسنًا، سيان.

(تسمع أصوات ضبط آلات الفرقة)

أيها الموسيقيون، اعزفوا، أنا أريد أن أسمعكم! تعالوا جميعا لتروا كيف يعربد يرمولاى لوباخين بالفأس فى بستان الكرز، وكيف ستسقط الأشجار على الأرض! سنبنى الفيلات، وسيرى أحفادنا وأبناء أحفادنا هنا حياة جديدة.. فلتعزف الموسيقى!

(الموسيقى تعزف. لوبوف أندرييفنا تجلس على الكرسى وتبكى بحرقة).

(بتأنيب) لماذا إذن، لماذا لم تصغى إلىّ؟ أيتها المسكينة، أيتها الطيبة، لا فائدة الآن. **(تسيل دموعه)** أوه، لو ينتهى كل هذا بسرعة، لو تتغير بسرعة كيفما كان، حياتنا الخرقاء التعيسة.

بيشيك: **(يتأبط ذراعه، يقول بصوت خافت)** إنها تبكى. لنذهب

إلى الصالة، فلتبق وحدها.. هيا بنا.. **(يتأبط ذراعه ويسحبه إلى الصالة).**

لوباخين: ما هذا؟ فلتعزف الموسيقى بوضوح! فليكن كل شىء كما أريد! **(باستهزاء)** السيد الجديد يسير، مالك بستان الكرز! **(يصطدم بطاولة صغيرة عفوا فيكاد يقلب الشمعدان)** أستطيع أن أدفع ثمن كل شىء! **(ينصرف مع بيشيك).**

(لا يبقى فى الصالة وغرفة الجلوس أحد سوى لوبوف أندرييفنا التى تجلس منكمشة على نفسها وهى تبكى بحرقة. الموسيقى تعزف بصوت خافت. آنيا وتروفيموف يدخلان بسرعة. آنيا تقترب من أمها وتجثو أمامها على ركبتيها. تروفيموف يقف بجوار مدخل الصالة).

آنيا: ماما!.. ماما، أتبكين؟ يا عزيزتى، يا أمى الطيبة، العزيزة، يا غاليتى الرائعة، إننى أحبك..

إننى أباركك. بستان الكرز بيع، لم يعد موجودا، هذا صحيح، صحيح، ولكن لا تبكى يا ماما، بقيت لديك حياتك القادمة، بقيت لديك روحك الطيبة الطاهرة..

هيا معى، هيا بنا يا غاليتى من هنا، لنذهب!.. سنغرس لنا بستانا جديدا، أكثر روعة من هذا، وسترينه وستفهمين، فتغمر روحك فرحة هادئة، فرحة عميقة، كالشمس وقت الغروب، فتبتسمين يا ماما! هيا يا حبيبتى! هيا!

(ستار)

الفصل الرابع

ديكور الفصل الأول. الستائر نزعت من النوافذ واللوحات من على الجدران، وبقى القليل من الأثاث الذى جمع فى ركن واحد كأنما للبيع. الخواء ظاهر ملموس. بجوار باب الخروج وفى عمق الخشبة رصت الحقائب وصرر السفر وخلافه. الباب الأيسر مفتوح، ويتناهى منه صوتا فاريا وآنيا. لوباخين يقف منتظرا. ياشا يحمل صينية عليها أكواب مليئة بالشمبانيا. فى المدخل يبيخودوف يربط صندوقا. وراء الخشبة عميقا يسمع لغط الفلاحين، الذين جاءوا للتوديع. صوت جايف: «شكرا ياجماعة، شكرا لكم».

ياشا: الناس البسطاء جاءوا ليودعونا. أنا رأيى يا يرمولاى أليكسييتش أن الشعب طيب، ولكنه قليل الفهم.

(اللغط يهدأ. تدخل من المدخل لوبوف أندرييفنا وجايف. لا تبكى ولكنها شاحبة، وجهها يرتعش، لا تقوى على الكلام).

جايف: أعطيتهم محفظتك يا لوبا. هذا لا يصح، لا يصح!

لوبوف أندرييفنا: لم أستطع! لم أستطع!

(ينصرفان)

لوباخين: **(فى الباب، فى أثرهما)** تفضلوا لو سمحتم! كأسا للوداع. لم أفطن إلى شرائها فى المدينة، وفى المحطة لم أجد سوى زجاجة واحدة. تفضلوا!

(صمت)

حسنا يا سادة! لا تريدون؟ **(يبتعد عن الباب)** لو كنت أدرى ما اشتريتها. طيب، لن أشرب أنا أيضا.

(ياشا يضع الصينية بحذر على الكرسى)

اشرب ولو أنت يا ياشا.

ياشا: نخب السفر! نترككم بخير! **(يشرب)** هذه شمبانيا ليست أصلية، أؤكد لك.

لوباخين: بثمانية روبلات الزجاجة.

(صمت)

البرد جهنمى هنا.

ياشا: لم نشغل المدافىء اليوم، فسوف نسافر.

(يضحك)

لوباخين: ماذا بك؟

ياشا: من الفرحة.

لوباخين: نحن فى شهر أكتوبر بينما الجو مشمس وساكن كما فى الصيف، يناسب التشييد. **(ينظر فى ساعته ويقول نحو الباب)** ضعوا فى اعتباركم يا سادة، لم تبق سوى

ست وأربعين دقيقة على قيام القطار! وإذن فبعد عشرين دقيقة إلى المحطة. استعجلوا.

(تروفيموف فى المعطف يدخل قادما من الخارج)

تروفيموف: أعتقد أنه حان الوقت للسفر. العربة جاهزة. الشيطان يعلم أين خفى. ضاع. **(نحو الباب)** آنيا، خفى ضاع! لا أجده!

لوباخين: علىّ أن أسافر إلى خاركوف. سأستقل معكم نفس القطار. سأقضى الشتاء كله فى خاركوف. لقد تسكعت معكم طويلا،. وهدتنى البطالة. لا أستطيع أن أبقى بلا عمل، إذ لا أعرف ماذا أفعل بيدىّ. تتهدلان بصورة غريبة، وكأنهما ليستا يدىَّ.

تروفيموف: سنرحل الآن، وتعود إلى عملك المفيد.

لوباخين: هيا، اشرب كأسا.

تروفيموف: لا.

لوباخين: إذن فإلى موسكو الآن؟

تروفيموف: نعم، سأوصلهم إلى المدينة، وغدا إلى موسكو.

لوباخين: نعم.. حسنا، الأساتذة لا يلقون المحاضرات، لا بد أنهم فى انتظار حضورك!

تروفيموف: ليس هذا شأنك.

لوباخين: كم سنة تدرس فى الجامعة؟

تروفيموف: ابتكر شيئا جديدا. هذا قديم وسطحى **(يبحث عن**

الخف) أتدرى، أعتقد أننا لن نتقابل بعد، فلتسمح لى إذن أن أقدم لك نصيحة ساعة الوداع: لا تشوح بيديك! تخلّ عن هذه العادة.. عادة التشويح. وأيضا بناء الفيلات على أمل أن يتحول بعض المصطافين إلى منتجين، هذا الأمل أيضا معناه التشويح.. مهما كان هناك فإننى أحبك مع ذلك. إن أصابعك رفيعة، ناعمة، مثل أصابع الممثل، وروحك حساسة، رقيقة..

لوباخين: **(يعانقه)** وداعا يا عزيزى. شكرا على كل شىء. إذا كنت محتاجا فخذ منى نقودا للطريق.

تروفيموف: وما حاجتى إليها؟ لا داعى.

لوباخين: ولكنك بلا نقود!

تروفيموف: بل عندى. أشكرك. تلقيت حوالة. هاهى النقود هنا، فى جيبى. **(بقلق)** ولكنى لا أجد خفى!

فاريا: **(من الغرفة الأخرى)** خذ خفك المقزز!

(تلقى على خشبة المسرح بخفين من المطاط)

تروفيموف: مالك غاضبة يا فاريا؟ إم.. إنه ليس خفى!

لوباخين: فى الربيع زرعت مائة هكتار من الخشخاش، وحصلت الآن على أربعين ألفا صافية. وعندما أزهر خشخاشى، فيا لها من لوحة كانت! وهكذا، أقول، كسبت أربعين ألفا، وعلى هذا أعرض عليك سلفة لأنى قادر. فلماذا الاستعلاء؟ إننى فلاح.. أتعامل ببساطة.

تـروفـيـمـوف: أبوك كان فلاحا، وأبى كان صيدليا، ولا يترتب على ذلك أى شىء على الإطلاق.

(لوباخين يخرج محفظته)

دعك.. دعك.. لو أعطيتنى مائتى ألف فلن آخذها. أنا إنسان حر. وكل ما تقدرونه عاليا وغاليا أنتم جميعا، أغنياء وفقراء، ليس له علىّ أدنى سلطان، مثل الزغب المتطاير فى الهواء. أستطيع أن أستغنى عنكم، أستطيع أن أمر من جواركم غير عابئ، فأنا قوى وأبىّ. البشرية تسير إلى الحقيقة السامية، إلى السعادة السامية، أقصى ما يمكن بلوغه على وجه الأرض، وأنا فى الصفوف الأولى!

لـوبـاخـيـن: وستصل؟

تـروفـيـمـوف: سأصل.

(صمت)

سأصل، أو أرشد الآخرين إلى طريق الوصول.

(تسمع على البعد ضربات فأس فى شجرة).

لـوبـاخـيـن: حسنا، وداعا يا عزيزى. حان وقت الرحيل. كل منا يتعالى على الآخر، ولكن الحياة تمضى فى طريقها. عندما أعمل وقتا طويلا، بلا توقف، تصبح أفكارى حية، ويخيل إلىَّ أننى أعرف أيضا لماذا أعيش. وما أكثر الأشخاص فى روسيا الذين لا يعرفون يا أخى

لماذا يعيشون. ومع ذلك فليست دورة الأشياء فى هذا. يقال إن ليونيد أندرييتش تولى منصبا، سيعمل فى بنك، ستة آلاف روبل فى السنة.. ولكنه لن يبقى طويلا، فهو كسول جدا..

آنـــيـــا: (**وهى فى الباب**) ماما ترجوك ألا يقطعوا أشجار البستان حتى تسافر.

تروفيموف: بالفعل، يا له من عدم لباقة!.. (**ينصرف من المدخل**).

لوباخين: حالا، حالا.. يا لهم من ناس، حقا. (**يخرج فى أثره**).

آنـــيـــا: هل أرسلوا فيرس إلى المستشفى؟

يـــاشـــا: قلت لهم صباحا. لا بد أنهم أرسلوه.

آنـــيـــا: (**لبيبخودوف المار عبر الصالة**) اسأل يا سيميون بانتليتش لو سمحت، عما إذا كان فيرس قد نقل إلى المستشفى.

يـــاشـــا: (**بزعل**) فى الصباح قلت ليجور. ما الداعى للسؤال عشر مرات!

بيبخودوف: فيرس الطويل العمر، حسب رأيى النهائى، لا يجدى معه الإصلاح، عليه أن يلحق بأسلافه، أما أنا فلا يسعنى إلا أن أغبطه. (**يضع الحقيبة على علبة كرتون بداخلها**

قبعة **فيسحقها)** هكذا، طبعا. هذا ما كنت أعرفه.
(ينصرف).

يـــــاشـــــا: **(بسخرية)** عشرون مصيبة..

فـــاريـــا: **(من خلف الباب)** هل نقلوا فيرس إلى المستشفى؟

آنـــيـــا: نقلوه.

فـــاريـــا: ولماذا لم يأخذوا رسالة للدكتور؟

آنـــيـــا: ينبغى إرسالها فى أثره.. **(تنصرف)**

فـــاريـــا: **(من الغرفة المجاورة)** أين ياشا؟ قولوا له إن أمه جاءت، وتريد أن تودعه.

يـــــاشـــــا: **(يشيح بيده)** لا يفعلون إلا إغاظتى.

(دونياشا تسعى طوال الوقت بجوار الأمتعة. وحيثما أصبح. ياشا وحده تقترب منه)

دونـــيـــاشـــا: ألق نظرة ولو مرة يا ياشا. أنت راحل.. تهجرنى.. **(تبكى وتتعلق برقبته)**.

يـــــاشـــــا: لم البكاء؟ **(يشرب الشمبانيا)** بعد ستة أيام سأكون ثانية فى باريس. غدا نستقل القطار السريع وننطلق، فلا نترك أثرا. إننى حتى لا أصدق نفسى.. فيف لا فرانس![1].. الجو هنا لا يناسبنى، لا أستطيع أن أعيش هنا.. ليس باليد حيلة. شبعت من رؤية الجهل، كفانى

---

(١) تحيا فرنسا! (عن الفرنسية).

(**يشرب الشمانيا**) لماذا البكاء؟ تصرفى بحشمة وعندئذ لن تبكى.

دونـيـاشـا: (**تضع البودرة متطلعة فى مرآة**) أرسل إلىَّ رسالة من باريس. لقد أحببتك يا ياشا، كم أحببتك! أنا مخلوق رقيق يا ياشا!

يـاشـا: أحدهم قادم. (**يسعى بجوار الأمتعة ويدندن بصوت خافت**).

(**تدخل لوبوف أندريفنا وجايف وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا**).

جـايـف: لعلنا نتحرك الآن. لم يبق وقت كثير (**ينظر إلى ياشا**) ممن تفوح رائحة الفسيخ؟

لوبوف أندرييفنا: بعد حوالى عشر دقائق دعونا نستقل العربات.. (**تطوف بنظراتها على الغرفة**) وداعا بيتنا العزيز، جدنا العجوز. سيمر الشتاء ويحل الربيع، وبحلوله لن تعود موجودا، سيهدمونك. كم رأت هذه الجدران! (**تقبل ابنتها بحرارة**) يا كنزى الغالى، أنت تتهللين، عيناك تشعان كماستين. هل أنت راضية؟ جدا؟

آنـيـا: جدا! ستبدأ حياة جديدة يا ماما!

جـايـف: (**بمرح**) بالفعل، كل شىء الآن حسن. قبل بيع بستان الكرز كنا جميعا قلقين، نعانى، ولكن حينما حسمت المسألة نهائيا، وبلا رجعة، هدأ الجميع، بل حتى ابتهجوا... أنا موظف بنك، أصبحت رجل مالية..

الصفراء إلى الوسط، وأنت يا لوبا، مهما كان، تبدين أفضل، بالتأكيد.

لوبوف أندرييفنا: نعم. أعصابى أفضل، هذا صحيح.

(يقدمون لها القبعة والمعطف)

أنام جيدا. احمل أمتعتى يا ياشا. حان الوقت. (لآنيا) يا بنيتى، سنلتقى قريبا.. سأرحل إلى باريس، سأعيش هناك بالنقود التى أرسلتهاجدتك فى ياروسلافل لشراء الضيعة، عاشت الجدة!، ولكن هذه النقود لن تكفى طويلا.

آنـــيـــا: ستعودين قريبا جدا يا ماما.. أليس كذلك؟ أنا سأذاكر، وأمتحن فى المدرسة، وبعد ذلك سأعمل، وسأساعدك. سوف نقرأ معا يا ماما مختلف الكتب.. أليس كذلك؟ **(تقبل يدى أمها)** سوف نقرأ فى أمسيات الخريف، سنقرأ كتبا كثيرة، وسيتكشف أمامنا عالم جديد، رائع.. **(تحلم)** عودى يا ماما..

لوبوف أندرييفنا: سأعود يا حبيبتى **(تضم ابنتها)**.

(يدخل لوباخين. شارلوتا تـدندن أغنية بصوت خافت).

جـــايـــف: ما أسعد شارلوتا.. تغنى!

شـــارلـــوتـــا: **(تناول صرة تشبه مولودا ملفوفا)** نم يا طفلى، نم..

(يسمع بكاء طفل: «وا.. وا..»)

لا تبك يا صغيرى، يا طفلى العزيز

(«وا.. وا..»)

كم أرثى لك! **(تلقى بالصرة إلى مكانها)** أرجوك هيئ لى مكانا، أنا لا أستطيع هكذا.

لوباخين: سنهيئ لك يا شارلوتا إيفانوفنا، اطمئنى.

جايف: الجميع يهجروننا، فاريا ترحل.. أصبحنا فجأة بلا ضرورة.

شارلوتا: ليس لى مسكن فى المدينة. ينبغى أن أرحل.. **(تدندن)** سيان..

(يدخل بيشيك)

لوباخين: معجزة الطبيعة!

بيشيك: **(لاهثا)** أوه، دعونى أسترد أنفاسى.. تعذبت.. أيها المحترمون.. أعطونى ماء..

جايف: تراك ستطلب نقودا؟ كلا، اعفونى، سأبتعد عن الشر.. **(ينصرف)**

بيشيك: لم أزركم من مدة طويلة.. سيدتى الرائعة.. **(للوباخين)** وأنت هنا.. سعيد برؤيتك.. أيها العقل الجبار.. خذ.. تسلم.. **(يمد نقودا للوباخين)** أربعمائة روبل.. يبقى علىّ ثمانمائة وأربعون.

لوباخين: **(يهز كتفيه مستغربا)** كأنما فى حلم.. من أين أخذتها؟

بيشيك: مهلا.. الدنيا حر.. حادث لا مثيل له. جاءنى إنجليز

فعثروا فى الأرض على طين ما أبيض.. **(للوبوف أندرييفنا)** ولك أربعمائة.. سيدتى الرائعة، المدهشة.. **(يناولها النقود)** الباقى فيما بعد. **(يشرب ماء)** حدثنى أحد الشبان وأنا قادم فى عربة القطار، فقال إن أحد الـ.. الفلاسفة العظام ينصح بالقفز من الأسطح.. يقول: «اقفز!» وهذه هى المسألة كلها. **(باستغراب)** يا سلام! أعطونى ماء!..

لـوبـاخـيـن: أى إنجليز جاءوك؟

بـيـشـيـك: أجّرت لهم قطعة الأرض ذات الطين لأربعة وعشرين عاماً.. والآن عفوا، أنا مستعجل.. علىَّ أن أواصل الركض.. سأرحل إلى زنويكوف.. وإلى كاردامونوف.. مدين للجميع.. **(يشرب)** تمنياتى لكم.. سأزوركم الخميس..

لوبوف أندرييفنا: سنرحل الآن للإقامة فى المدينة، وغدا سأرحل أنا إلى الخارج..

بـيـشـيـك: كيف؟ **(بقلق)** لماذا فى المدينة؟ آه، ولهذا فالأثاث.. والحقائب.. لكن لا بأس.. **(من خلال الدموع)**.. لا بأس.. أناس جبارو العقول.. هولاء الإنجليز.. لا بأس.. وهبكم الله السعادة.. وفقكم الله.. لا بأس.. لكل شىء فى هذه الدنيا نهاية.. **(يقبل يد لوبوف أندرييفنا)** فإذا بلغك أن نهايتى حلت، فلتتذكرى هذا الـ.. الحصان،

وقولي: «عاش في الدنيا فلان الفلاني.. سيميونوف ـ بيشيِّك.. عليه الرحمة».. يا للطقس الرائع.. نعم.. **(يخرج في ارتباك شديد ولكنه يعود فورا ويقول وهو في الباب)** داشنكا تهديكم تحياتها! **(ينصرف)**.

لوبوف أندرييفنا: يمكننا الآن أن نسافر. أرحل بهمّين. الهم الأول هو فيرس المريض **(تنظر إلى ساعتها)** ما زال لدينا خمس دقائق..

آنـــيـــا: ماما، فيرس أرسلوه إلى المستشفى. ياشا أرسله في الصباح.

لوبوف أندرييفنا: والهم الثاني هو فاريا. تعودتْ أن تستيقظ مبكرا لتعمل، وهي الآن بلا عمل كالسمكة بلا ماء. هزلت وشحبت، وتبكي، المسكينة..

(صمت)

أنت تعرف هذا تماما يا يرمولاي أليكسييتش. كنت أحلم.. بأن أزوجها لك. وكان يبدو، من كل الدلائل، أنك ستتزوجها. **(تهمس لآنيا، فتومئ هذه لشارلوتا وتخرجان كلتاها)** إنها تحبك، وأنت تميل إليها، ولست أدري، لست أدري لماذا يبدو وكأن كلا منكما يتحاشى الآخر. لست أفهم!

لـوبـاخـيـن: أنا أيضا لا أفهم، صدقيني. غريب كل ذلك.. إذا كان ما يزال ثمة وقت، فأنا مستعد ولو الآن.. نفرغ من

المسألة، وانتهينا. أما بدونك فأشعر أني لن أقدر على خطبتها.

لوبوف أندرييفنا: رائع إذن. تكفى دقيقة واحدة فقط. سأناديها الآن..

لوباخين: وبالمناسبة لدينا شمبانيا. **(ينظر إلى الأكواب)** إنها فارغة، شربها أحد ما.

(ياشا يسعل)

هذا اسمه.. لعق..

لوبوف أندرييفنا: **(بحيوية)** رائع. نحن سنخرج.. ياشا، allez[1] سأناديها.. **(نحو الباب)** فاريا، دعى كل شيء وتعالى هنا. تعالى!

(تخرج مع ياشا)

لوباخين: **(ينظر إلى ساعته)** نعم..

(صمت)

(خلف الباب ضحك مكتوم وهمس، وأخيراً تدخل فاريا).

فاريا: **(تتفحص الأمتعة طويلا)** غريبة، لا أستطيع أبدا أن أجدها..

لوباخين: عم تبحثين؟

فاريا: رتبتها بنفسى ولا أذكر.

(صمت)

لوباخين: وإلى أين تذهبين الآن يا فارفارا ميخايلوفنا؟

فاريا: أنا؟ إلى آل راجولين.. اتفقت أن أتولى شئون البيت عندهم.. مدبرة يعنى..

---

(١) اذهب! ـ (بالفرنسية فى الأصل).

لــوبــاخـــيـــن: هذا فى ياشنيفو؟ حوالى سبعين كليومترا.
(صمت)
ها قد انتهت الحياة فى هذا البيت..

فـــــاريـــــا: **(تتفقد الأمتعة بنظرها)** أين هى.. ربما أكون وضعتها فى الصندوق.. نعم ، الحياة انتهت فى هذا البيت.. لن تعود أبدًا..

لــوبــاخـــيـــن: أنا مسافر إلى خاركوف الآن.. وفى نفس القطار. الأعمال كثيرة. أترك هنا يبيخودوف، لقد استأجرته.

فـــــاريـــــا: آه.

لــوبــاخـــيـــن: فى العام الماضى كان الثلج يهطل فى مثل هذا الوقت، لو تذكرين، أما الآن فالجو هادئ، مشمس. فقط بارد قليلا.. حوالى ثلاث درجات تحت الصفر.

فـــــاريـــــا: لم أنظر إلى مقياس الحرارة.
(صمت)
ثم إنه مكسور..

(صمت)

صوت من الخارج عبر الباب: «يرمولاى أليكسييتش»!

لــوبــاخـــيـــن: **(كأنما كان ينتظر هذا النداء من زمان)** حالاً! **(يخرج بسرعة)**

(تجلس فاريا على الأرض، وتسند رأسها إلى صرة بها ملابس وتنتحب بصوت خافت. يفتح الباب وتدخل لوبوف أندرييفنا بحذر)

لوبوف أندرييفنا: ماذا؟

(صمت)

ينبغى أن نرحل.

فاريا: **(كفت عن البكاء ومسحت دموعها)** نعم، حان الوقت يا ماما. سأصل إلى آل راجولين اليوم، المهم ألا نتأخر عن القطار..

لوبوف أندرييفنا: **(نحو الباب)** آنيا، البسى!

(تدخل آنيا، ثم جايف وشارلوتا إيفانوفنا. جايف فى معطف ثقيل بقلنسوة. يجتمع الخدم والحوذية. يبيخودوف يسعى بجوار الأمتعة)

الآن يمكننا أن نرحل.

آنيا: **(بفرح)** لنرحل!

جايف: أصدقائى، الأعزاء الأحباء! هل يسعنى إذ أغادر هذا البيت أن أسكت، هل يسعنى أن أمسك عن الإفصاح لحظة الوداع عن تلك المشاعر التى تملأ الآن كل جوانحى..

آنيا: **(بضراعة)** خالى!

فاريا: لا داعى يا خالى!

جايف: **(بانكسار)** الصفراء إلى الوسط دوبليه سكتّ..

(يدخل تروفيموف، ثم لوباخين)

تروفيموف: حسنا يا سادة، حان وقت الرحيل!

لوباخين: معطفى يا يبيخودوف!

لوبوف أندرييفنا: سأجلس دقيقة أخرى كأنما لم أر من قبل كيف تبدو جدران هذا البيت، وأسقفه، والآن أحدق فيها بنهم، بحب رقيق..

جايف: أذكر عندما كنت فى السادسة، فى عيد العنصرة، كنت جالسا على هذه النافذة وأنظر إلى أبى وهو ذاهب إلى الكنيسة..

لوبوف أندرييفنا: أخذتم كل الأمتعة؟

لوباخين: يبدو كلها (**ليبيخودوف وهو يرتى المعطف**) انتبه يا يبيخودوف إلى أن يكون كل شىء على ما يرام.

يبيخودوف: (**يتكلم بصوت أبح**) اطمئن يا يرمولاى أليكسييتش.

لوباخين: ماذا جرى لصوتك؟

يبيخودوف: شربت الآن ماء فبلعت شيئا ما.

ياشا: (**باحتقار**) يا للجهل..

لوبوف أندرييفنا: سنرحل، ولا يبقى هنا أحد..

لوباخين: حتى الربيع القادم.

فاريا: (**تنتزع من الصرة مظلة، فيبدو وكأنها تهم بضرب أحد. لوباخين يتظاهر بالخوف**) لا تخف، لا تخف.. لم يخطر هذا ببالى..

تروفيموف: يا سادة فلنركب العربات.. حان الوقت! القطار سيصل قريبا!

فــاريـــا: بيتيا، ها هو خفك، بجوار الحقيبة. **(من خلال الدموع)** كم هو متسخ، وقديم..

تـروفـيـمـوف: **(يرتدى الخف)** هيا يا سادة!..

جـــايـــف: **(خجل بشدة، يخشى أن يبكى)** القطار.. المحطة.. الكروازيه إلى الوسط، الأبيض دوبليه إلى الزاوية..

لوبوف أندريفنا: هيا بنا!

لـوبـاخـيـن: الجميع هنا؟ لا أحد هناك؟ **(يوصد الباب الجانبى الأيسر)** الأمتعة مرصوصة هنا، ينبغى أن نوصد. هيا بنا!..

آنـــيـــا: وداعا بيتنا! وداعا حياتنا القديمة!

تـروفـيـمـوف: مرحبا بالحياة الجديدة!.. **(يخرج مع آنيا)**

(فاريا تطوف ببصرها على الغرفة وتنصرف على مهل. يخرج ياشا وشارلوتا ومعها كلبها)

لـوبـاخـيـن: إذن فإلى الربيع. اخرجوا ياسادة.. إلى اللقاء!... **(ينصرف)**

(لوبوف أندرييفنا وجايف يبقيان معا. وكأنما كانا ينتظران ذلك، إذ هب كل منهما يعانق الآخر وراحا ينتحبان نحيبا مكتوما، بصوت خافت، خشية أن يسمعهما أحد)

جـــايـــف: **(فى يأس)** يا أختى، يا أختى..

لوبوف أندرييفنا: يا بستانى العزيز، بستانى الرقيق الرائع!.. يا حياتى، ياشبابى، يا سعادتى.. وداعا!..

(صوت آنيا المرح ينادى: «ماما!..» صوت تروفيموف المرح المنفعل يصيح: «أووو»)

لوبوف أندرييفنا: لأتطلع للمرة الأخيرة إلى الجدران، إلى النوافذ.. كانت المرحومة أمى تحب السير فى هذه الغرفة..

جـــــايـــــف: يا أختى، يا أختى!..

(صـوت آنـيـا: «مـامـا!..» صـوت تروفيموف: «أووو!..»)

لوبوف أندرييفنا: نحن قادمان!..

(ينصرفان)

(الخشبة خاوية. يسمع صوت الأبواب وهى توصد كلها بالمفاتيح، ثم صوت رحيل العربات. يسود الهدوء. وسط السكون تتردد ضربة فأس مكتومة على شجرة، فترن وحيدة حزينة. يسمع وقع خطوات. من الباب الأيمن يظهر فيرس. يرتدى ملابسه المعتادة: السترة والصديرية البيضاء، وفى قدميه شبشب هو مريض).

فـــيـــرس: **(يقترب من الباب ويشد المقبض)** مغلق سافروا.. **(يجلس على الكنبة)** نسونى.. لا بأس.. سأجلس هنا.. لا بد أن ليونيد أندرييتش نسى أن يرتدى معطف الفراء، وذهب بمعطف الخريف.. **(يتنهد مهمومًا)** أنا لم أنتبه.. طيش الشباب! **(يدمدم بشىء لا يمكن فهمه)** مر العمر، وكأنما لم أعش **(يضطجع)** سأرقد قليلا ليس لديك أية قوى، لم يتبق شىء أبدًا.. آه.. ياللك من مغفل! **(يرقد بلا حراك)**

(يسمع صوت من بعيد، كأنما آت من السماء، صوت وتر تمزق، صوت متلاش، حزين. يحل الصمت ولا تسمع إلا ضربات بالفأس على شجرة بعيدا فى البستان).

(ستار)



أنطون تشيخوف (١٨٦٠ - ١٩٠٤) بالنسبة للكثيرين من المهتمين بالأدب فى كل أنحاء العالم هو أعظم كتَّاب القصة القصيرة ورائدها الأهم. كما لايقل أهمية عن ذلك ككاتب مسرحى وروائى استطاع عبر أعماله العديدة أن يحفر اسمه في ذاكرة الإنسانية، وأن يرسخ قيماً فنية تحولت إلى مدارس ومذاهب فى الكتابة، مازالت فاعلة ومؤثرة حتى الآن..

هنا نقرأ أعمال تشيخوف بترجمة "أبو بكر يوسف" والتى تصدر فى ٤ أجزاء (الأعمال القصصية - الروايات القصيرة - الروايات - المسرحيات)، وهى الترجمة التى يحرص الكثيرون على اقتنائها كترجمة متكاملة نقلت النص بحب فخرج على درجة عالية من الحساسية اللغوية الأخاذة.

هذا هو المجلد الرابع.. يضم المسرحيات الخالدة لتشيخوف وهى (حول مضار التبغ، الدب، النورس، الخال فانيا، الشقيقات الثلاث، بستان الكرز).



6 221102 022996

دار الشروق
www.shorouk.com